جامعة القاهرة

كلية الآداب

((دور الشعر الحديث))
في القوميه العربيه

رسالة تبين دور الشعر الحديث

في اليقظه القوميه العربيه بين

الحربين العالميتين في مصر

والشام والمهجر، لنيل

درجة الماجستير

في الآداب

سميره محمد زكي أبوغزاله

القاهرة

١٩٦٠

مقدمـــــــــــة

عرف العرب القدماء بشعرهم أكثر مما عرفوا بآثارهم في البناء والعمارة ، فكان ديوانهم الذي شمل حربهم وسلمهم ، كما كان منبع أحاسيسهم ومثار فخرهم وعزتهم ، ومدار كبريائهم . فاليه يرجع فضل تخليد آثارهم ، كما اليه يرجع فضل البعث الأدبي الجديد بمرحلتها الأدبية الجديدة في خدمة الحياة العربيـــــة لاثبات وجودها وتحقيق سعادتهـــا .

وكيف لا يكون الشعر العربي موضع دراسة ومجال بحث واهتمام وتفكـــير وقد استطاع منذ نشأته الأولى في الجزيرة العربية أن يؤلف بين القبائل المتفرقـــة المتنافرة المتدابرة فينزل القرآن بلغته لسانا عربيا مبينا ، ليفرض عليهم لغته تعـــم الجزيرة كلها وتنتشر في أجزاء الوطن العربي كله فتكون لغة الفكر والأدب والعلم .

ولم لا يكون الشعر العربي موضع تقدير ودراسة وبحث وقد جاء أول توحيد للعقل العربي عن طريقه ومن هذا اللسان الذي أتاح للغة العربية في العصـــر الجاهلي أن تكون لغة اجتماعية وأدبية وفكرية في مستقبل العرب فيما بعد ..

فاذا تناولته بالبحث وأوليته هذا الاهتمام فانما لكونه المكون الأول فـــي المحاولة الأولى لايجاد وحدة بين القبائل هيأتها وأعدتها للتجمع العربي الأول زمن الاسلام في جميع فروعه المختلفة السياسية منها والاقتصادية والفكريـــــة والاجتماعيـــة .

وأذا خصصت بحثي وركزت جهدي وكرست وقتي لدراسة الشعر الحديث ، فانما لكونه المكون الثاني ، والركيزة الثانية الذي لعب دوره الكبير في الدعـــوة للوحدة العربية المقبلة بين أجزاء بلادنا العربية التي فرض فيها المستعمر حدوده

ورف فوقها شعاراته وبنوده ، فخاض الشعر معارك قوميته العربية يقتحم صفوف أعدائها ، وينازل خصومها ، ويحاول أن يعلو فوق الحدود المصطنعة والتجزئة المزيفة للواقع العربي ، فكان بذلك الدعامة القوية من دعائم الدعوة لبعث كياننا من جديد قويا شامخا سيد نفسه ، كما كان الراية والنداء الذي جمع أبناء العروبة ومن كافة أقطارهم يتذوقون من منهله ويتجمعون حول مصدره ونبع الهامه ، ويتزودون منه بالعاطفة المتقدة ليجددوا من قواهم ويواصلوا كفاحهم في سبيل السيادة القومية ، فيستعيدون تحت وارف ظله تاريخا حافلا بالأمجاد ، ولغة غنية زاخرة ، وتراثا أدبيا وفكريا كان له في عصور ماضيه القيادة والسيادة ، وحضارة أثرت في حضارات العالم كله ، وكان لها فضل كبير في ميدان البناء العالمي .

والشعر القومي فوق ما للشعر من فضل ، يشكل مرحلة أدبية مهمة من مراحل تطور الأدب العربي ، ويكون ظاهرة فنية جديدة من مظاهر انتاج الأمة مستمد من حياتها المتطورة التي مرت بها ، وممتزج بتجاربها المتعددة التي خاضتها في كفاحها الجماعي ضد خطر يهدد وجودها القومي ، ومنبثق عن وجدان الأمة الجماعي ، فهو بهذا كله صدى قوي من أصداء تطور المفاهيم الفكرية والسياسية والأدبية عند الأمة العربية كلهـا .

لم يعد المجتمع العربي الجديد بهذه المفاهيم الجديدة يتقبل من الشاعر ألفاظا منمقة منسقة ، وبيانا يجيد ترصيع العبارة وتزويقها بكافة ضروب البيان الموروث ، بل أصبحت الأمة تتطلب من الشاعر أن يكون صدى وجدانها ، ومرآة أفكارها وحياتها التي تحياها وتخوض غمراتها ، وأصبح الأديب يعيش مجتمعه بكل ما يصطخب فيه ، فيؤثر فيه ويتأثر ، يشترك في توجيهه وقيادته بعقله وبعاطفته المتوقدة ، فيقول فيه من القول ما لو أوتي المجتمع موهبة القول

لعبر به عن نفسه ومشاعره ، فأفراد المجتمع انما يقبلون على الشعر باعتبار أنه شعر كل فرد منهم ، نابع من أحاسيسهم ، وصدى لوجدانهم الجماعي ، صادر عن حاجاتهم ورغباتهم •

فالشعر القومي ان هو الآ منزع مهم من منازع الحياة المتطورة في المجتمع العربي المعاصر ، وأهمية وجوده لا يمكن أن ينكرها أو يهمل حقيقتها انسان يسعى الى البحث عن مجتمعنا العربي ، فكل من يريد دراسة هذه الحقبة والبحث فيها يرى لزاما عليه أن يطلع على الأدب القومي الذي يشكل جزءا مهما في تفكير الأمة الجماعي • وما الشعر الا الجانب الوجداني منه ، فهو مادة حياتها وروحها وديوان بارز من دواوين كفاح الأمة لارساء دعائم كيانها • لقد أصبح الشعر القومي بالنسبة للأدب العربي المعاصر غرضا أساسيا من أغراض الشعر العربي ، أنشأته الظروف التي عاشتها الأمة العربية ، وولدته المشكلات والقضايا الاجتماعية والسياسية المتعددة التي خلفتها هذه الظروف فكان على الشعر أن يعيشها ، وكان عليه أن يسجل نبضاتها ويرصد اتجاهاتها وينطلق في أجوائها ، ويثبت وجوده في معركة تقرير المصير •

ولو تتبعنا الشعر العربي في كل مراحله التي مر بها ، وتأثرنا خطوات صعوده وهبوطه ، لوجدناه مرتبطا بتقدم الأمة العربية وتأخرها لأنه ميزان أجوائها ومربع أمنها وسلامتها ، عاصرها في كل خطوة خطتها ، ولازمها في كل مرحلة اجتازتها حتى رأيناه ثانية يحاول بعثها من جديد مستمدا من تاريخه الطويل من الماضي الزاخر بتراثه ونفحاته القوية وتوثبه وانطلاقه في سبيل رسالته التي اضطلع القيام بها ورفع الضيم عن الأمة وبناء كيانها شامخا لا تؤثر فيه النائبات •

تتبعثاه فى أواخر القرن التاسع عشر نسيجا مهلهلا من اللفظ ، وثوبا ممزقا من المعنى ، قد أصابه البلى وبان عليه جور الزمان وتأخر البلاد ومنا انحدرت اليه من مهاوى الظلام وقسوته ، وسرنا معه نتلمس نبضاته ونسمع خفقاته فاذا به ينازع البقاء يأبى الموت ويرفض الفناء يحاول أن يثبت وجوده ليؤدى رسالته ، وما ذلك الا لأنه نبضات أمة وخفقات شعب وديوان كيانها ووجودها ، فنهوضه انما هو بشير بوعى الأمة لماضيها ، لكيانها ، لحقيقة وجودها ، لرسالتها المقبلة فى الحياة ، ونذير للظالمين بأن عهد الظلم قد بدأت تنقشع غيومه وتدول دولته فى معركة تقرير البقاء .

كانت فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية بالنسبة للبلاد العربية فترة حفلت بأحداثها السياسية والاجتماعية والفكرية ، خاضها الشعب العربى كله وفى كل جزء من أجزائها يدافع عن وجوده ، ويحاول تثبيت كيانه ، فاصطدمت آمال أبنائه بأطماع المستعمر ورغباته فى تقييد حرية البلاد وفرض سيطرته عليها ، وتعارضت رغباته مع رغبات المستعمر فى التحرر والاستقلال ، وتعددت دسائس الغرب ومكائده فى تقطيع أواصر البلاد والقضاء على وحدتها .

لم يستطع الشعر القومى أن يبقى بمعزل عن الأحداث التى كانت تحيط به من كل جانب ، ولا يمكن للشاعر الا أن يعيش هذه الفترة بكل ما لديه من حواس ، فهو فنان أو أشبه برجل ناضج فى مرصد للنجوم يعكس فى أسلوب معماره قوانين الكون الذى يعيش فيه ، فكان لابد والحالة هذه أن يناهض الطائفية والانعزالية التى أخذت تنادى بها طائفة من ذوى المصالح الخاصة ، وناهض التجزئة ونادى باحترام حقوق الانسان وناصر مبدأ تقرير المصير ، وقام بدوره بالنسبة لتلك الفترة فى حركات التجمع العربى السياسى والأدبى ، شهدت على ذلك مهرجانات كثيرة فى ربوع القاهرة ودمشق وبغداد ، وبذلك أثبت الشعر

القومى وجوده كعامل فعال فى يقظة الأمة العربية من دواوين الشعراء من شتى أجزاء الوطن العربى ، فكان شعرهم اتجاها جديدا فى الشعر العربى المعاصر .

ويشمل بحثى هذا الشعر القومى فى قيادة معركة القومية ، وما كان له من دور فى البعث الجديد اقتضاه الشعور بالشخصية العربية منذ بدء الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية .

وقصرت بحثى هذا على الشعر القومى فى مصر والشام ، ذلك لأن كلا الجزئين كان أكثر تعرضا لمؤامرات المستعمرين المختلفة للتأثير فى أجزاء الوطن العربى كله ، كما أن فى كليهما زعامة أدبية وعلمية وحضارية ، ففى القضاء عليهما قضاء على أى بعث جديد يمكن أن يحدث بعيدا عن أهواء المستعمر ورغباته . وقد توفر فى كلا الجزئين قوة نضالية مستمرة التدفق والحيوية خفق الشعر فى ظلها بقوة وعنف ، فعبر عنها تعبيرا أدبيا مستمرا . ولا يخفى أن تجزئة البحث يساعد الباحث على التعمق فى بحثه أكثر والخوض فيه بعمق خلافا لما سيكون عليه الوضع فى بحث اتسعت مدته الزمانية ومساحته المكانية ، وكان لابد لى أن أحدد مصر والشام بالذات لأبين اختلاف الظروف السياسية التى تعرض لها كلا الجزئين مما أبعد ما بين القطرين الشقيقين لفترة من الزمن عادت بعدها مصر وحالما استقلت الى وضعها الطبيعى فى ركب القومية العربية لتحمل لواء قيادتها باعتبارها الشقيقة الكبرى وقلب الوطن العربى كله ، وبذلك أفند مزاعم المستعمر والفئات الانتهازية فى محاولاتهم عزل مصر عن أجزاء البلاد العربية الأخرى بابراز دورها الأدبى الكبير الذى قامت به فى بعث التراث القومى .

وقد اعتبرت شعر المهجر امتدادا لشعر شعراء الشام ، لما كان فى شعرهم من صدى كبير فى نفوس شعراء العربية فى كل قطر ، لأنه يعبر عن أحاسيس لم تزل قريبة العهد بأرضها متوجعة لمصابها ، تأثرت بالوضع السياسى الذى كان قائما

آنذاك ، والذى أدى الى هجرة الكثيرين من أبنائها الى المهجر • كما ان منهم مرفع لواء القومية العربية فى شعره وأوقفه على خدمتها مما كان له أبلغ الأثر فى خدمة القضية والوقوف أمام فئات حاولت الانفصال ودعت اليه •

أما المدة الزمانية فقد جعلتها بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وكان لا بد من التمهيد لها ومتابعة تطورها بعد تلك الفترة بقليل ، واضطررت أن أقصر بحثى على هذه الفترة لما تميزت به من أحداث ثورية سواء كانت سياسية أم اجتماعية هامة تقرر مصير البلاد العربية الى أمد طويل • كما كانت الفترة الزمانية التى تلتها تتميز بطابع آخر وان كان امتدادا لما سبقه الا أنه يمثل طورا آخر من أطوار النضال الفكرى والسياسى والاجتماعى مما يجب أن يفرد له بحث خاص مستقل • ولا يخفى أن تحديد المرحلة الزمانية تهيئ للباحث فرص التعمق فى بحثه أكثر ، ودراسته دراسة عميقة مستفيضة •

وجعلت من الطريقة التاريخية منهجا فى بحثى ، وذلك للعلاقة القوية بين الشعر والمجتمع • فالتاريخ يوضح لنا الكثير من المعالم الأدبية الغامضة التى عجز الشعر عن توضيحها نظرا لاختلاف التعبير بين الشعر والأدب ، واختلاف رسالة كل منهما فى تحريه للحقائق واعتماده عليها •

وكل باحث لابد أن يجابه الصعوبات ويواجه بعض المشاكل التى تعترض بحثه سواء كان فى سعيه للحصول على المصادر ، أم فى وضع منهج بحثه وتخطيط أبواب مادته ، أم فى التحقق من بعض المشاكل الأدبية التى يكثر حولها الجدل وابداء الرأى فيها ، أم فى تحريه عن بعض الاتجاهات والمواد الأدبية ومعرفة قائلها ، لكن الرغبة الأكيدة فى خدمة الواقع القومى مما علق به من شوائب القول ، والرغبة الملحة فى دراسة التطور الأدبى الفنى الذى انبثق عن هذا

الواقع القومي الذي عشناه ونعيشه وتوضيح أهميته وايماننا مني بدور الشعر كفن رفيع في خدمة كيان الأمة والوفاء لها والتفاعل المستمر بوجودها ، كل ذلك كان يزودني بالطاقة المستمرة على أداء هذا الواجب وتحقيق الهدف منه ، فكان سندا لي وعونا في متابعة دراستي والتغلب على أي مشكلة أو تعقيد يمكن أن تقف حائلا بيني وبين متابعة هذه الدراسة والوصول الى نتائجها .

وبعض هذه المشاكل قلة المواد التي تعالج هذه الفترة معالجة كلية ، فقد ظهرت في الفترة الأخيرة بعض المصادر الأدبية التي أولت هذه الناحية الفنية والقومية اهتمامها ، لكن تناولها لها كان مجزءا وعلى شكل محاضرات ، فلم تكن تكفي لمن يريد إعداد بحث في هذا الموضوع ، فلم يكن أمامي الا دواوين الشعراء أطلع عليها لأحاول أن أستضمنها أكبر قدر مستطاع من المعلومات لتكون مادة لبحثي ، فافتقدت الكثير من الشعر المطلوب لم يجمع في دواوين بعد ، ولم يظهر منه الا قصائد متفرقة في بعض الجرائد اليومية كانت تكتب بأسماء مستعارة نتيجة للظروف السياسية التي كانت تجتازها البلاد ، لذلك كان اعتمادي على المطبوع من الشعر الموثوق به . وكان الكثير من هذه النصوص غير مؤرخة مما كان يضطرني الى الاطلاع على كثير من الحوادث السياسية والمصادر المتعددة لمعرفة ما قيل من هذه القصائد قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها ، ومتابعة تفاصيل أحداثها السياسية ..

هذا وأرجو أن أكون قد توصلت في بحثي الى مراعاة الاتجاه العلمي المجرد لأقدم جزءا من واجبي تجاه تراثي الأدبي ، ورصد تطوره الفني ، والتي تراثي القومي والعمل على المساهمة في خدمة كيانه

ليكون بناء حرا كريما عزيزا ، وبذلك أكون قد وفيت ولو جزءا بسيطا من حق تراثي الأدبي علي لكونه لبنة مهمة من لبنات صرح الأمة العربية كلها ولواءا عزيزا من ألوية كفاحها وتقدمها .

فالى مرشدتي الأولى في ميدان بحثي أقدم شكري وامتناني وتقديري .

سميره محمد زكي أبو غزاله

البــاب الأول

اختلاف مفاهيم القوميـــة

من الطبيعي أن يفتقد المفهوم القومي الدقة والتحديد خلال تاريخ العرب الحديث • فقد اختلط منذ القديم بالدين لما كان للاسلام من دور كبير في تثبيت دعائم الكيان العربي وارساء قواعد وجوده • والمحافظة على قومية الامة العربيـــة أمام غزوات الشعوب الغريبه عنها •

وكان لاختلاف مفاهيم فلاسفة الغرب ومفكريهم الأثر الكبير في ذلك الغموض والاضطراب في تفسيرها فرأيناها تقترن عند البعض بالنزعات الاقليميه المختلفـــه ، كما اختلطت بمفاهيم الوطنيه ، واتجهت عند البعض الاخر وجهة الاصل أو الجنس •

فمنذ أن اختارت الجماعات الحديثة الصورة التي تتخذها علما على ذاتهـــا تجاه نفسها و تجاه الاخرين،والكتاب والمفكرون يحاولون أن يصلوا الى حقائق هـــذه القوى الكامنة في الأمم والتي انبعثت الى الوجود قوة فعالة هزت الشعوب جميعهـــا وخلقت تيارات سياسية وفكرية متعددة • حتى زخرت المكتبات القوميه بهذه التعاريف فما تسيني يقول : " الامه مجتمع انساني طبيعي مؤسس على وحدة الارض، والمنابع والتقاليد واللغة المندفعة اندفاعا حيويا باتحاد كامل متفاعل بين وسائل الحيـــاة ووسائل الوعي الاجتماعي ". (١)

كما قال زوانجل "القوميات قديمه كالاهرام" وقال : "المجتمعـــــات الحديثة لاتختلف عن القديمه الا بوجود الوعي القومي ، وقد عبرت عن ذاتها بطريقتها بواسطة الاساطير الالهية والخرافات القومية والتقاليد القصصيه • اما اليوم فقد حلت النظرية محل الاسطورة ، كل شعب يبحث عن هويته بالنظريات المستوحاه من التاريخ" (٢)

ويقول كذلك يورد براد بيه فورد يريه : "الامه اجتماع سكان مقاطعة واحدة لهم لغة واحدة ، وقوانين واحدة ، واصول واحدة ، ويجمعهم انسجام جسدي ومؤهلات أخلاقيه واحدة ، ووحدة في المصالح تفاعلت منذ زمن طويل ، وانصهار في الوجـــود الناتج عن حقب زمانية موغلة في القدم تعود الى ماقبل التاريخ ، وبكلمة قوميه نفهـــم (٣)

---

١) "تأليف ارنولد فان جيبب ورينيه جوهانيه" ـ ترجمة محمد عيتاني • هذه هي القوميـــة • ص ٢٥ دار بيروت للطباعه والنشر •

وجود أمة، ويعترف بيوبوهسر بأن القوميه تولد بواسطة اللغة والتقاليد والتاريخ المشترك والعادات والاداب .. لكنه يزيد على ذلك فيقول " ... أنهم أخوة تفصلهم عن الاجناس الغريبة وتصور لهم قبل الرابطه التى تجمعهم بشعب ليس شعبهم .. (١)

واذا أردنا أن تستعرض ألوانا أخرى من هذه التعاريف فإننا نجد هنا تحرف إنحرافا آخر لتحقق فى نفوس الداعين لها مايقصدون اليه ، فيقول أوليفييه الفرنسى : " فى سياسة القوميات ليس ثمة من حدود طبيعية جغرافيه ، فالحدود الحقيقيه هى إرادة السكان ، أما الحدود الأخرى فجدران سجون ، وللقوميين الحق فى تحطيمها ساعة شاءوا .. (٢)

ويتجه روانجل إتجاها نفسيا إجتماعيا فى تفسيره للقوميه " القومية فى مظهرها الداخلى أو المجوف ـ ضرب من الاحساس أو الوجدان ، لايمكن أن يفسر أبدا الا بواسطة علم النفس ، فعلم القوميات هو بالفعل فرع من علم النفس الجماعى أو يجب أن يكون كذلك ـ وهو ينبثق عن العمليه التى أقترح تسميتها بناموس الاندماج بواسطة الاحتكاك ، وهو الناموس الذى تتوحد بواسطته ذرات تصادفيه بجاذبية مغناطيسية متبادلة ، فتتحول الى كتله وثيقة الاتحاد والاندماج ، كما يحدث ـ على صعيد آخر ـ فى حزب سياسى مثلا أو فى لعبة رياضية حين يملك كل فريق روحا جماعية خاصة ... (٣)

ويرى السيد راميزا (٤) أن القوميات نتيجه لظروف معينه محضة . أما السيد آوذيس باروا . فيؤكد أنها حوض جغرافى . (٥)

ويرى الاستاذ ريشارفى مؤلفه الصادر عام ١٨٧٠ فى جنيف بعنوان " دراسة فى القوميات " أن الامه هى مجموعة من الناس منتظمين إجتماعيا ليمارسوا أفضل تعبير عن القوانين الدينيه المعنوية التى يمكنها وحدها أن ترضى عناصر الطبيعة البشرية . (٦)

١ـ " ارنولد فان جيبب ورينيه جوهانيه " ـ ترجمة محمد عيتانى . ص ٢٩ دار بيروت للطباعه والنشر .
٢ـ نفس المصدر ص (٢٩)
٣ـ " " ص (١٧)
٤ـ " " ص (٢٨)
٥ـ " " ص (٢٨)

- ٢ -

من هذا الاستعراض السريع لاشهر مفاهيم القومية التى ظهرت فى اوروبــــا ووجدت طريقها فى صفوف امتنا العربيه نجـد :ـ

١ـ النظريه الالمانيه التى تضع الجنس واللغة فى المقام الاول فتنحـو نحوا عنصريا ، فاللغة الام تتحد فى جوهرها مع الجنس .

٢ـ النظرية الفرنسيه التى تضع الارادة فوق أى اعتبار آخـر .

٣ـ المفهوم النفسى الجماعى بغض النظر عن اى شيء آخـر .

وبين هذه المفاهيم الثلاثة نجد مفاهيم أخرى بعضها يصبغ القوميـــــه بالصبغة الدينية ، وبعضها يربطها بالعنصر الجغرافى ، وآخرون يربطون وجود هـا بظروف معينه .

فبأى مفهوم من هذه المفاهيم ارست القوميات الاوروبيه دعائم وجود هـا ؟ وأيها كان اكثر فعــاليه فى خلق الكيانات القومية ؟؟

وهل ينطبق ذلك على مفهوم القومية العربية ، والى أى مدى ؟؟

ا

العوامل التي ايقظت القوميات الاوربية

أ ـ انجلـــــترا

كانت انجلترا أولى الدول التي ساعدت على ايقاظ حركات التحرر والاستقلال القومي في اوروبا ، فلم يأت القرن الرابع عشر حتى كان لانجلترا ثقافتها الخاصـــة التي كونتها وصقلتها بلغتها الانكليزيه بعد أن كانت تتكلم الفرنسيه التي كانة لغـة الطبقة الارستقراطيه والحكومة • فاستطاعت اشعار تشوسر ووليم لانجلاند أن تتاغـم الاسماع بلسانها • ولم يمنع انجلترا أو يقف في طريقها ارتباطها الديني بكنيســة روما ، اذ سرعان ماكون جيمس الاول لجنه من رجال الدين عام ١٦٠٤ ـ ١٦١٤ واصدروا الترجمة الانجليزيه الرسميه للكتاب المقدس • وبذلك توفرت لانجلترا أولـــى دعامات وجودها القومي بلغتها الخاصة مما جعلها انموذجا تحاول الدول جميعـها أن تحذو حذوها في بدء وعيها وكفاحها، وتتخذها مثلا أعلى تجاهد للوصول اليـه •

وكانت تطوراتها الدستورية على نهج يناسب احوالها الخاصة بحيث توفـــر لها حرية الرأي التي تعتبر حجر الزاوية في بناء الحريات عند بقية الدول • ففـــي عام ١٢١٥ حصلت على العهد الأعظم فكان أول احتجاج رسمي ضد حكومه فاسـدة • ثم كان عام ١٢٦٥ حيث سارت في اسس التوسع في الحكم بحيث اصبح للبلاد برلمانها، هزم الملك هنري الثالث واقتصر على الزامه أمام الامه مجتمعة بحكم البلاد وفقـا لما ينصح به مجلس البارونات (١) وتقدمت الاسس الدستوريه اكثر الى أن كانت ثـــورة ١٦٨٨ بعد وفاة كرمويل بثلاثين عاما جعلت الكلمة العليا للبرلمان في كل من أمـور التشريع ونزاهة القضاء وتأمين حقوق الافراد وحرية التفكير والصحافة والتسامح الديني. (٢) وبذلك اخذت انجلترا تتطور الى ملكية دستوريه بعد ان كانت دول اوروبا تحكم حكما مطلقا •

---

١ ـ هـ • أ • ل • فشر ـ تاريخ اوروبا ـ العصور الوسطى ص (٢٩٦) دار المعارف بمصر نقله الى العربية ـ محمد مصطفى زيادة ـ السيد اناز العريني ـ ابراهيم احمد العدوى •

٢ ـ " هانز كهن ـ ترجمة امين محمود الشريف • القومية معناها وتاريخها ص ١٥ •

وكانت انجلترا أولى البلاد التى حصل فيها الانقلاب الصناعى واستخدمت القوى الآليه فى الصناعة لأول مرة ، ذلك لأنها غنية بالفحم والحديد ، كمــــا أن المواصلات بين الاقاليم الصناعية بها اسهل وايسر بالقياس لغيرها من الـــدول ، فضلا عن تهيأ لها من السبق والتقدم البحرى والتجارى فى انحاء العالم حيث ميادين التجارة مفتحة الابواب لصادراتها .

واستفاقت اوروبا على اصوات هذه التغيرات الاجتماعيه لتجد أمامهـــا انجلترا فتتحقق فى ضوئها عن حقيقة أمرها ومواطن دائها وبذلك تدخل هى الأخرى فى ميادين بناء كيانها القومى متخذه من لغتها القومية الدعامه الأولى فى إعـــادة تشييد هذا البنـاء .

ب ــ الثورة الفرنســية

" إحيـاء فرنسـا فى ظل حكم تسوده الحريه الحقة "

كان الهدف الاول لثورة ١٧٨٩ الحقيقية قبل أن تنتهى الثورة الى ما انتهت اليه .. فكانت تستمد وحيها من نظام الحرية الدستورية المقيد فى انجلترا . فقـــد زار مونتسكيو انجلترا وأعجب بالحكومة الدستورية ، وكان مثله الأعلى حكومة دستوريــه على النمط الانجليزى تمنع الملكية من النزول الى درك الاستبداديه . وقد أثار فى كتابه " روح التشريع " فصل السلطات الثلاث التنفيذية والقضائية والتشريعية وكـان لهذه النظريه اثر ظاهر فى تطور الفكر السياسى فى عهد الثورة . (١)

وزار فولتير انجلترا عام ١٧٢٦ واعجب بحكومة انجلترا لأن دستورا ينظـــم حقوق الملك والاشراف والشعب ، ويكفل لكل فريق من هؤلاء أمنه وسلامته ، من شأنـه البقاء والدوام بقدر ما فى طبيعة الاشياء التى هى من صنع البشر من قدرة على البقاء والدوام (٢) .

---

١ ــ " تأليف محمد فؤاد شكرى ــ صراع بين البرجوازية والاقطاع جـ١ ، ص٤٨ دار الفكر ال

٢ ــ " " " " " " ــ " " " " م ١ ص١٥٦

وهكذا بدأت بذور الثورة فى فرنسا وسرت موجة الحماس الشديد التى أدت الى مولد هذه الأمة • فقد كانت مقسمة الى ولايات ومدن لها قوانينها وتقاليدها الخاصه واقتصادها المحلى وأوزانها ومقاييسها كما كانت مقسمه الى طوائف وطبقات لها إمتيازاتها المحددة وحقوقها وواجباتها الخاصه • (١)

وفى عام ١٧٨٩ اجتمع أول برلمان يمثل طبقات الأمة ، واقدمت الطوائف والطبقات على الغاء إمتيازاتها وحقوقها ، كما طالبت منطقة فنسين وافنيون التابعتين للبابا بحق تقرير المصير للاتحاد مع فرنسا •

وفى عام ١٧٩٠ أقيم احتفال كبير لمرور سنة على استيلاء الشعب على سجن الباستيل ، وأقامت كل الطوائف مذبحا للوطن نقشت عليه " يولد المواطن ويحيا ويموت فى سبيل الوطن " •

وكان الناس يحتشدون أمامه ويقسمون اليمين بتأييد الوحده الوطنية (٢)

وفى عام ١٧٩٣ تحول اللوفر • القصر الملكى السابق الى أول متحف قومى ، وكانت الاحتفالات والمدارس تساعد على نشر اللغة باعتبارها اللغة الوحيدة التى تستعملها الأمه قاطبة على حين كان البريتون والفلمنكيون والباسك والألزاسيون والكاتاليون والبروفنسيون يستعملون مصطلحاتهم الوطنية (٣) •

وفى ١٩ نوفمبر عام ١٧٩٢ استصدر المؤتمر الوطنى قرارا اعلن فيه باسم الامه الفرنسيه مد يد الأخوة والمساعدة لجميع الشعوب التى تريد استرجاع حرياتها المسلوبه ، وتكليف السلطة التنفيذية اعطاء القواد العسكريين الأوامر اللازمه ليقوموا بنجدة هذه الشعوب والدفاع عن المواطنين الذين يضارون بسبب تأييدهم ليقظة الحرية (٤) .

وقد استطاعت الثورة أن ترسم الخطوط الأولى لبداية الحركات القومية

١ـ "هانس كهن ـ ترجمة أمين محمود الشريف (القومية معناها وتاريخها ص ٢٥) مكتبة نهضة مصر
٢ـ " " ـ " " " " (" " " ص ٢٩ ")
٣ـ " " ـ " " " " (" " " ص ٣)
٤ـ الدكتور محمد فؤاد شكرى الصراع بين البرجوازيه والاقطاع ص ٣٩٩

فى أوربا وأن تستحث الشعوب على النهضه والتحرر من أى سلطة اجنبيه لبناء كيانها القومى • كما كان لنداءاتها القوميه أثرها القوى فى ايقاظ الشعوب •

ولم تستمر الدعوة القومية فى طريق تحقيق رسالتها الحقيقية التى نادت لها دعت إليها بل انتقلت مبادئ الثورة الى ميدان السيطرة على الحكومات والشعوب فى أوروبا بدعوى تطبيق هذه المبادئ فارتدت ثورة هذه الشعوب فى مقاومة السيطرة الأجنبيه وخصوصا فى المانيا وايطاليا • وبدأت أقلام الكتاب والشعراء والفلاسفة فى تأدية دورها •

I

جـ ـ الأدب يقود معارك القومية الأوربية

لاشك أن الثورة الفرنسيه ومبادئها ، والقوميه الانجليزيه ونظام الدولة الدستورى ، عملا معا على احياء آمال الشعوب التى رضخت طويلا تحت حكم الاجنبى بتفجيرها الظاهرات التى كانت من قبل كامنه مستجنة فى الشعوب ، بعد أن كان شعورها مستكنا فى اعماقها كقوة محركة تحاول أن تجد الوقت المناسب للعمل • وكان الأدب أول تعبير عن مراحل تحقيق هذا الوجود الذى أدى الى نجاح الثورات القوميه ودق أجراس ميلاد بعث جديد •

ففى ايرلنده ظهر توماس اسبورن فألف عدة قصائد تثير فى الشعب الايرلندى روح الثورة للانفصال عن انجلترا من اجل الاستقلال بكيانهم القومى • وفى الدنمرك ظهر نيقولا فردريك جرند رفيك وهو شاعر وقسيس دنمركى ووطنى متحمس ، إنشأ مدارس شعبية راقيه فى أوساط الفلاحين ، وجعل الشعر والتاريخ أساسا فى التعليم[1] وفى بولنده ظهر الشاعر البولندى آدم ميكيويز وصار هذا الشاعر العظيم من زعماء القوميه البولندية بعد اخفاق ثورة ١٨٣١ ، فكان هو وزملاؤه الشعراء المهاجرون يترقبون ساعة الخلاص ، فظلت قلوبهم عامره بالثقة والايمان بالشعب البولندى فى غمرة الخذلان واليأس[2] •

١ ـ هانس كهن ـ ترجمة أمين محمود الشريف ـ القومية معناها وتاريخها ص (٥٨) •
٢ ـ " " ـ " " " " ـ " " ص (٥٧) •

وجان كولار الشاعر القسيس الصقلبي ، لقد بكى في مقطوعته الشعرية (بنت سلافا) تدهور سلطان الصقالبه ، ودعا الى وحدة جميع الشعوب الصقلبيه كما تكهن لها بمستقبل عظيم[1].

وبدأت تظهر في النرويج الانشودة الوطنية التي تدعو الشعب النرويجي الى التحرر من السيطرة الأجنبية المفروضه عليه من الدانمرك ، وتدعو الى تحطيم الأغلال التي رسفت فيها أجيالا طويلة . وكذلك ظهرت في فنلنده أنشودة وطنية من الطراز نفسه وكانت فنلنده تخضع آنذاك لحكم السويد[2] . وظهر في المانيا الشاعران ويلاند وكلوبستوك ، ونشر الأخير أهم قصائده عام ١٨٤٨ فبدأ الأدب القومي يخرج الى الوجود للمرة الأولى في المانيا . وكذلك اشتهر غور وأرنت . وظهر شعراء في إسبانيا كذلك دعوا الى وحدة إسبانيا لارساء قواعد كيانها القومي . وغير أولئك كثيرون ممن لا يحصيهم عد . كما رافق ذلك ظهور المؤرخين الذين بدأوا بكتابة تاريخ أمتهم وبعث أمجادها بقصص وأساطير خرافيه تخص الأبطال والآلهة كما حصل في اسكنديناوه وبلغاريا .

وهكذا بدأ الشعور القومي ينمو ويكبر ليتخذ صوره العطيه التي سنراها في تحرير الشعب وبناء كيانه .

---

١) هانس كهن – ترجمة محمود الشريف – القومية معناها وتاريخها ص(٥٧) مطبعه نهضه مصر

٢) دكتور محمود فؤاد شكري – صراع بين البرجوازية والاقطاع – ص(٢٨) دار الفكر العربي

أ

اليقظة القومية فـي أوروبـــــا

كانت الوطنية الصحيحة عند الالمان هي الشعور بعدم وجود الحواجـــز والفوارق بين الأمم [(١)]، كما كان شيلر يتناول القومية من الناحية التعقليه البحتة ، واعتقد بامكان تحقيق التآلف والانسجام بين أمم الأرض [(٢)]. وبذلك كان قادة الرأى الالمان متمسكين بالفكرة المثالية التى نادى بها فلاسفة القرن الثامن عشر ، فناصروا الثورة الفرنسية على اعتبار أن أوروبا وطن الرجل المسيحى وهى الدولة التى فى كل عصـر من العصور تتبوأ مكان الصدارة متزعمه الحضارة والدنيه . [(٣)]

ولكن الحال لم تستمر على ماهى عليه ، فقد اشتدت السيطرة النابليونيه ومع السيطرة تيقـظ الشعور القومى الألمانى واعتقدوا أن فقدان الوحدة القوميـــه سبب قوى من أسباب اشتداد هذه السيطره .. وبدأوا يفتشون عن ذاتهم الجرمانية فوجدوها فى الجنس واللغة والتاريخ . فالالمان دون غيرهم من الشعوب الأوربيـة المتحضره لهم لغة اصيله على عكس الفرنسيين والانجليز والاسبان والطليان الذيـــن جنوا على حياتهم العقلية باتخاذهم لغة منتحله على الرغم من انتمائهم الى الأصـل الجرمانى بصفة جزئية على الأقل [(٤)]

وعلى الرغم من تعدد الامارات والتقاليد التاريخية ، والتباين بين شمال المانيا وجنوبها . وعلى الرغم من المشكلة الدينيه التى تتمثل فى العداوة بيـــن البروتستانت والكاثوليك فقد استطاع اقليم بروسيا ان يتولى زعامة الحركة فيطارد النمسا ويحقق الوحدة الالمانية بعد جهود دامت حوالى سبعين سنه . فكانت وحدتهـــا من اكبر انتصارات الفكرة القومية فى القرن التاسع عشر ... على الرغم من أن بسمارك بنى الوحده على حساب الحرية الدستورية والسياسية .

١ـ دكتور محمد فؤاد شكرى ـ الصراع بين البرجوازيه والاقطاع ١٧٨٩ـ١٨٤٨ ص (٤٦٠) م ١ : . دار الفكر العربى

٢ـ نفس المصـــــدر ص (٤٥٩) .

٣ـ " " ص (٤٦) .

٤ـ " بانس كهن ـ ترجمة امين محمود الشريف ـ القومية معناها وتاريخهـــا

٤

ونشب الاختلاف في تحديد القومية وتعريفها عندما أرادت ألمانيا ضم ولايتي الألزاس واللورين إلى أراضيها مستندة على الحقوق التاريخية والجنسية لهاتين المنطقتين • بينما اعتنقت فرنسا مبدأ المشيئة والارادة في تعريفها للقومية •

أما ايطاليا فقد استوحى كافور اصلاحاته الاقتصادية التقدميه من انجلترا فعزز الثقة في زعامة سردينيا حين تزعمت حركة الوحده باعتبارها المملكة الدستورية الوحيده ، وكانت أيطاليا متعددة الامارات متباينه التقاليد التاريخية مختلفه في الأوضاع الاجتماعية • هذا عدا الاختلاف على ماهية الحكم أ سواتحاد أم وحدة ، ملكية أم جمهورية • كما كانت النمسا تحتل بعض مقاطعات ايطاليا ، وكان للبابا مملكه بيد منت يناصره الفرنسيون فيها •

واستطاعت القوميه الايطالية أن تجلى قوات النمسا عن ارضها وترغم الفرنسيين على الانسحاب وتعلنها ملكية ، وبذلك اصبحت روما عاصمة المملكة الايطالية وكان بداية تاريخ جديد تكتب سطوره القوميات في اوروبا التي اخذت تستيقظ من سياستها لتنقل تاريخ أوروبا كله الى مرحلة جديدة من مراحل تقرير المصير •

ونهضت بلاد البلقان التي كانت ترزح تحت حكم العثمانيين قرونا عديدة فبدأت في نشر اللغة والثقافة اليونانية واحياء التاريخ اليوناني لتبعث في نفوس اليونانيين قوميتهم اليونانية فيعيدوا تكوينها دوله مستقلة فلم يحل عام ١٩١٣ حتى كانت قد برزت الى الوجود بكامل شخصيتها ماعدا قبرص التي بقيت خارج حدودها تجاهد لارجاعها ثانية الى حوزتها ، وثارت بلغاريا على محاولة الكنيسة اليونانية يوننتها ، فكان عليها أن تتحرر من سلطة الكنيسة اليونانية لتحرر لغتها وثقافتها أولا ، ثم تتحرر من سلطة الدولة العثمانية لتثبت كيانها السياسي مستقلا متحررا • وقد سارت رومانيا في نفس الطريق التي سارتها بلغاريا فيه لأنها جابهت نفس المشكلة • فأخذت كل في مضمارها تجاهد للاستقلال أولا عن الكنيسة اليونانية وتحرير لغتها من سيطرتها ، فكونت كنيسه جديدة مستقلة عن بطريركية الفنار تقيم طقوسها بلغتها وتنشر بها ثقافتها وتكتب تاريخها وتحيي تراثها •

الدولة التركية الى الاعتراف باستقلال رومانيا بعد أن توحدت الامارتان الافلاق والبغدان عام ١٨٦١. وفي عام ١٨٦٦ سميت رومانيا واعترفت بها الدولة العثمانية عام ١٨٧٨ . أما بلغاريا فاعترفت الدولة العثمانية باستقلالها الفعلي عام ١٨٠٨.

ولم تتأخر البانيا عن هذا المضمار فأخذت تبني كيانها على أساس لغتها القومية واحياء تراثها بدلا من اللغة الايطالية واللغة التركية الى أن استقلت عام ١٩١٣. وتولى الصرب في يوغسلافيا قيادة معركة القومية وبدأوا باهتمامهم لغتهم القومية واحياء تاريخهم، فدونوا قواعد الصرف وجمعوا كلمات لغتهم في قاموس، كما ترجموا الكتاب المقدس وألفوا الكتب الأدبية ثم أخذوا يناضلون للتحرر من حكم العثمانيين الى أن تحقق ذلك عام ١٨٧٨، ولكن الحرب كانت تشعر انها جزء الصرب من أمة عظيمة تضم الخروات والسلوفن والبشناق، وازداد التحمس للفكرة عندما اعلنت النمسا الحرب على صربيا التي انتهت بانضمام الخروات والسلوفن مع البوسنة والهرسك والجبل الاسود، ومع كل العقبات التي اصطدمت بها هذه الوحدة الا أن الشعور بالوحدة كان كفيلا بالقضاء على النزعات الاقليميه بأجمعها[١].

ولم يقتصر الشعور القومي على شرق أوروبا بل تعداها الى غربها فقام البلجيكيون يناضلون في سبيل لغتهم الفلمكية ضد اللغة الفرنسية التي كانت سائدة فيما مضى[٢]. وقامت الآداب القومية بدور كبير في ايقاظ الشعور القومي. وكذلك كان دور ايرلنده اذ قام شعراؤها بدور كبير في اشعال جذوة الفخر بماضيهم والعمل على احياء اللغة الايرلنديه. وتوجه القوميون الى النشاط الثقافي والتعليم لاثارة العواطف القوميه. كما نوه الايرلنديون بضرورة احياء اللغة الايرلنديه والتقاليد الكلتيه القديمه. فاضطرت انجلترا م عام ١٩٢١ أن تعترف بالدولة الايرلنديه الحره. (٣)

١ــ ساطع الحصري، محاضرات في القومية العربية ص (١٢٢)

٢ــ هانس كوهن ــ ترجمة أمين محمود الشريف (القومية معناها وتاريخها ص ١٠٠) مطابعة نهضة مصر.

٣ــ نفس المصدر السابق ص (١٠٢)

ولم تقتصر القوميات على أواسط أوروبا أو شرقها وغربها بل ظهرت فى أمريكا والشرق الاقصى ، حركات قومية ترمى كل منها الى ابراز الكيان القومى وتحريره وانشاء دولة قومية تصونه وتعزز أركانه •

الجنس والدين وعلاقة كل منهما بالقومية

أ - الجنس :

من خلال تتبعنا السريع المختصر لنمو القوميات الأوروبية وجدنا أن عامل اللغة والتاريخ كانا من العوامل التي أشعرت كل أمه بكيانها وخلقت فيها وعيا وإراده مشتركة لبعث هذا الكيان ، وكانت كل أمه تؤكد في لغتها القومية اعتبارها الاول لتراث الاباء والاجداد بتقاليده وأساطيره وصور أبطاله وما يحمل الماضي للأمة من عزة ومجد ، فاللغة القوميه إذن أداة لابد منها ولا غنى عنها ، لم يقف في طريقها ارتباط بكنيسه أو دين ، اذ انها من دعائم القوة التي ترتكز عليها القومية .

ولابد من الحديث عن عامل الجنس الذي احتضنته الأمة الالمانية في بناء قوميتها واتخذته علما على ذاتها حتى أصبحت القوميه في نظر البعض عنصرا من عناصر الخطر على حرية الشعوب ، واتجاها استعلائيا يسبب القلق والاضطراب للعالم .

وقد استغل امرها حينا استغلالا لتبرير سيطرة شعب على آخر بدعوى التقدم الاقتصادي أو الثقافي او غيره ... وقد وصفت هذه النظريه في فلسفة فخت وهيجل وأتباعهما في بقاء الجنس الأصلح في ميدان السياسة . ثم تقدم نيتشه بنظرية الانسان الكامل Super Man ، وقرر أن الانسانيه لا تحقق سعادتها الا اذا ظهر فيها جنس يمتاز بالتفوق والقوة والسيادة ، ويتخذ من الانسان الكامل مثالا لصفاته ونموذجا يقتدى به [1] .

وحمل لواء هذه الفلسفه شبنجلر الذي قرر أن الحرب هي النظام القانوني الذي يسيطر على العلاقات الدولية ، وهو وسيلة التقدم .

وهكذا استغلت هذه النظرية في استعمار واستغلال الأمم الضعيفة، وقد شغلت هذه النظرية اذهان العلماء فأخذوا يبحثون فكرة الجنس في علم الوراثة البشرية والأنثروبولوجيه . وفي دار اليونسكو عام ١٩٥١ لم يتوصلوا الى حقيقة توضح معنى كلمة

---

١ - مصطفى الخشاب . علم الاجتماع ومدارسه . ص (١٢١) طبعة أولى سنة ١٩٥٥ . مطبعة لجنة البيان العربي .

جنس ، وقالوا " نظرا لأن جميع الأجناس تخضع للتغيير والكثير منها يتدرج بعضـــه نحو البعض الآخر ، فالاجناس بناء على ذلك لاوجود لها ، لأن الجنس نتاج لعملية تطوريه • كما لم يستطيعوا أن يثبتوا امتياز او نقاء جنس على آخر ، أو وجود اختلافات مطلقة لاتقبل التغيير بين جماعات من البشر (١)

فاختلاف الذكاء يرجع الى البيئة لانهم لم يتمكنوا من اثبات اذا كانـــت النسبة المئوية للاشخاص الموهوبين أعلى في بعض الاجناس منها في البعض الاخــر • بل قالوا إن هذه الحالات موزعة توزيعا عادلا بين كل الشعوب على الأرض الى حــد كبير (٢) كما صرحوا بأن الحضارة مزيج من اختلاف المناخ والوضع التاريخي والاقتصادى لأى أمه من الأمم • فحضارات مصر والصين واليابان لم تتطور في عزلة • كما أن تدهورها مقرون بعوامل سياسية واقتصادية وليس بانحطاط مزعوم لجيش ممتاز أدى اليــــه التهجين لمجموعات أخرى منحطة وأثبتوا كذلك أن المجموعات البشرية أجناســـا أو قبائل أو شعوبا تملك فيما يبدو نفس المجموعة الأساسية للصفات الوراثية ولكن بنسب مختلفة (٣).

أما وقد عجز العلماء عن تعريف الجنس ونفوا وجود الجنس الممتاز لخضوعـــه لتطورات مستمرة • فقد كتب مورتنيـــه رأيه في ذلك • ورتب الجنس الى مايأتي (٤) :ـ

١) الجنس الناشئ من الاصل وهو اسرة متكاثرة متطورة •

٢) الجنس الناشئ عن البيئة وهو ثمرة سكنى طويلة •

٣) الجنس الناشئ عن الانصهار وهو ناتج عن اختلاط طويل بين جنسين أو أكثر •

ولا نجد أمة من الآمم الا وتكون مزيجا من هذه الانواع من الأجناس التـــى عبر عنها مورتيه ، لذلك فالنظرية الالمانية تخالف مبادئ القومية ، لأن القومية ســـلام

١ــ ماهو الجنس ــ من مؤلفات اليونسكو باشراف ادارة الثقافة العامة ووزارة التربية تعريب الدكتور يوسف ابو الحجاج ، مراجعة الدكتور محمد محمود الصياد ص (٨٣) •

٢ــ نفس المصـــدر ص (٥٦) •

٣ــ " " ص (٥١)

٤ــ " ارنولد فان جيب ــ رينيه جوهانيه ــ ترجمة محمد عيتاني ــ هذه هي القومية ص (٥٥) • دار بيروت للطباعة والنشر " •

وانسانيه وليست عنصريه استعلائية عدوانيه ،ولا يسعني الا أن أؤيد رينان في مقدمة قوله : الجنس يدون المؤسسات لا يعد شيئا مذكورا ،فالمؤسسات هي معيار قوة الشعب ،وهي المعبر عن حقيقته وطاقته ،ومن بين المؤسسات نجد اللغة أشدها حيوية وأخطرها شأنا • لذلك حل مفهوم اللغة محل مفهوم الجنس في تقسيم الجماعات الانسانية • (١)

ب - الدين وعلاقته بالقومية

من تتبعنا للقوميات التي نشأت في أوربا وجدنا أن الكيان القومي كان الهدف الذي سعى اليه الشعب ،فقد اتخذت الشعوب تعي الخطر الذي يهدد كيانها من جراء تحكم رجال الدين وارتباطاتهم بروما مثلا أو ببطريرقيه الفنار في اليونان فكان استقلالهم الديني وترجمتهم للكتاب المقدس واقامة الشعائر بلغتهم القوميه حفظا لهذا الكيان القومي من اي تسلط أجنبي أو قوة غريبه عنهم تتحكم في مصائرهم كما حدث عندما استقلت انجلترا عن الكنيسة في روما وعندما استقلت بلاد البلقان عن التبعيه للكنيسة اليونانيــة •

رأينا كان عامل الاستقلال القومي قويا لم تقف أمامه فروق مذهبية أو دينية • فوحدة ألمانيا جمعت بين بافاريا الكاثوليكية وروسيا البرتستنتيه ،ووحدة ايطاليا اقتضى تحقيقها محاربة البابا وتجريده من سلطته ،،ووحدة يوغوسلافيا وحدت الكاثوليك والأرثوذكس والمسلمين ،لذلك لانستغرب قول بعض الباحثين :-

أن الاصلاح الديني كان نقطة الابتداء للحركات القوميه في البلاد الاوربية • فالى أي حد تستطيع الدعائم القومية هذه أن تنطبق على كياننا العربي ؟؟ وما هي أسس قوميتنا العربية • وما دور الشعر في قيادة معركتها ؟ •

١- ارنولد فان جينيب - رينيه جوهانيه - ترجمة محمد عيتاني (هذه هي القومية ص (٧٦) - دار بيروت للطباعة والنشر) •

ــــمـ(الفصل الثانى)مـــ

٥

مفهوم القوميـــــة العربيــــــــــة

لاشك أن تبلور القومية العربية أفاد من ظهور القوميات الأوربية المختلفة التى عاصرتها أو سبقتها ، لكنها لم تكن يوماً قوميه عنصرية عدوانية توسعية كما كان الحال عند بعض القوميات التى نشأت فى ظل النظام الرأسمالى ، بل كانت قوميــة تسعى للتحرر والاستقلال والوحدة من أجل حياة أفضل • ويقول أبو ماضى يستحث العرب ويدعوهم لطالب الاستقلال كما فعلت الشعوب الاخرى • (١)

ثوروا عليهم واطلبوا استقلالكـــم وتشبهوا بالصـــرب واليونـــان

ويقول فى موضع آخر :

أدركت غاياتها كل الشعـــــوب نهض الصيـــن ومازلنا نيـــام

وقد انطلقت قوميتنا النشطة من صميم حياة العرب وظروفهم التى اجتازوهـــا بعد أن انضجتها الحوادث وأوضحت معالمها الأيام •

نشأت مشوبة بالعاطفة الدينية التى حفظتها مدة طويلة من الزمن من غارات التتار والمغول ، وكان ولاؤهم للدولة التركيه قائما على أساس دينى لأنها أقوى دولة اسلامية آنذاك •• ولما فوجئ العرب بالدعوة الطورانية ، ورأوا حركة التتريـــك ، وشاهدوا معول النهدم ، يحاول القضاء على معالم قوميتهم ، ثارت مشاعرهم وأدركـــوا بأحاسيسهم النفسية مدى مابينهم وبين العثمانيين من اختلاف لغوى وثقافى وفكـرى ، فكان رد الفعل المباشر للحركة الطورانية المناداة بالقومية العربية •

أخذت هذه الفكرة تنمو حتى رأيناها تبرز عند الامة العربية فى النضـــال ضد المستعمر للتحرر من سيطرته الأجنبية ، ومن استغلاله لأرضه وخيرات بــلاده ،

---

١ ـــ زهير ميرزا ــ ابو ماضــى ــ شاعر المهجر الاكبر ، ص ١٨٧ اليقظه دمشق ١٩٥٤

٢ ـــ نفس المصدر ص (١٥٦) •

ومن استعباده السياسي والفكري ، وما يسببه من التجزئه الطائفيه والعنصريه. تم تتقدم القومية لتصبح عقيدة ايجابيه بناءه تنادي بالتحرر والوحدة تمهيدا لقيام نظام اشتراكي ديمقراطي تعاوني يرمي الى اسعاد الفرد وتقدم المجتمع ليستطيع أن يلحق بالدول القومية الأخرى التي سبقته •

وعلى ذلك فالقوميه العربية التي تبلورت أواخر القرن التاسع عشر والعشرين ليست فكرة أو اتجاها سياسيا ، بل هي واقع تاريخي اجتماعي حي تكون منذ فجر التاريخ ومنذ قيام المجتمعات • وهي ليست نزعة انعزالية ضيقه بل هي قوة فعالة تأخذ وتعطي وتزيد الانسانية خصبا •

فالقومية هي الشخصية الجماعية المتميزة للامة العربية عن غيرها من الامم بفعل واقعها التاريخي واللغوي والثقافي والاجتماعي بما في هذا الواقع من اهداف ومصالح وتقاليد وعادات •

وينتمي اليها كل انسان يتكلم اللغة العربية وينتمي الى التاريخ والمجتمع العربي الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا الى الخليج العربي وهضبة ايران شرقا ، ومن جبال طوروس والبحر الابيض شمالا الى اليمن وشواطئ جنوبي جزيرة العرب على المحيط الهندي والصحراء الافريقية جنوبا ، وتشمل ، شبه جزيرة العرب والبحرين وعربستان والعراق وسوريا ، ولبنان والاردن وفلسطين ومصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش •

أ ـ الوحدة اللغوية

لقد كانت اللغة في القوميات الأوروبيه الأداة التي اشعرت كل شعب بذاتيته ، وتراثه القومي ، وأثارت فيه الاعتزاز بماضيه وحاضره ، فقد اخذت منذ القرن السادس عشر تشغل حيزا كبيرا في نشأة القومية وتطورها حتى اصبحت تحل مكان مفهوم الجنس في تقسيم الجماعات ، وفي ذلك يقول شوقي :

رب لسان جمع الأقواما وكان كالجنس لهم قواما

وفى هذا المعنى يقول فوزى المعلوف (١) :

ان لم نكن كلنا فى أصلنا عربـــا   فنحن تحت لواها كلنا عرب

ويقول بدوى الجبل فى حديثه عن فضل الضاد فى جمع الأنساب المتفرقة وفى كونهـا خير أم وأب للعروبة .

للضاد ترجع أنســاب مفرقـــة   فالضاد أفضــل أم برة وأب

فأول معركة كانت تخوضها الشعوب هى معركة ايجاد لغتها وتطويرهـــا وتنقيتها من أى لغات أخرى ،فكانت تنفق الملايين لتبنى بها المدارس وتنشر الكتب وتضع قواميس اللغة وتترجم كتبها المقدسة الى لغتها ،كل ذلك قبل ان يفكروا فـــى شراء آلات الحرب ،ذلك لأنها النداء الأول للسلاح والتعبير القومى العميـــق . فالطابع القومى يكمن فى اللغة ، اذ تشكل جزءا هاما من قضية الوعى القومـــى ، فتحمل فى طياتها التراث التاريخى والأدبى .وقد بلغ من تلازم القومية واللغـــة وسيرهما جنبا الى جنب أن الحكومات المعنيه ببعث الوعى القومى فى أوساط معينه كانت تعتقد أن اتمام عملها حين تنشر لغتها فى الشعب الذى تريد ضمه الـــى نفوذها . ففى رأيها أن الفرنسه والجرمنه والأنكلزه والروسنه انما تنحصر فى مضاعفة المتكلمين بالفرنسية والالمانية والانكليزية والروسية فى المناطق المنشودة . تمامـــا كما يفعل الفرنسيون فى المغرب العربى وخاصة فى الجزائر . قال بلانـــــش

عندما تتبنى أمه من الأمم لغة جديدة غريبة عنها يفقد الانسان بسببهـــا قوميته . (٢)

وفى كشف نوايا المستعمر ومكائده للايقاع بلغتنا العربية يقول محمود غنيم :

أبناء عمى من نـــزار ويعـــرب   ليسوا بأعراب ولا أعجـــام

لاتأمنوا المستعمرين فكـــم لهم   حرب تقنع وجهها بســـلام

حرب على لغة البلاد وعادها   ليست تشن بمدفـــع وحســـام

---

١ ـ الديوان ص (٣٠) .

٢ ـ انظر فلن حصيى : رينيه جيهانيه ـ ترجمة محمد عيتانى .

واللغة العربية لغة أعرق من اللغات الأوربيه التى نشأت ونمت وترعرعت

انها لغة تضم مجموعات كبيره من العرب من المحيط الى الخليج العربى وهى غنية بالمعانى والالفاظ ، وقد زادها القرآن قوة وغنى ، وأكد وجودها وقواها بالعقيدة فثبتت أمام الغزاة والفاتحين ، وهزمت جميع اللغات الشائعة فى ذلك العصر ، كما هزمت أية محاوله للقضاء عليها ، وحملت فى مواكبها الثقافة والأدب والعلم تنشرهما اينما حلت . وكان من تأثير قوتها وفعاليتها فى الأمم الأخرى أن أسقف قرطبة قال فى منتصف القرن التاسع : ان اخوانى المسيحيين يبتهجون لاشعار العرب وحكاياتهم ويدرسون مؤلفات علماء الدين والفلاسفة المسلمين ، لابقصد افحامهم بل ليكتسبوا أسلوبا عربيا صحيحا أنيقا ، فأين هو العلمانى الذى يقرأ تفسير الاشعار المقدسة باللاتينيه ؟؟ ومن هو الذى يدرس الأناجيل والأنبياء والرسل ؟؟ وا أسفاه . ان الشبان المسيحيين المعروفين بمواهبهم ، لايعرفون أدبا ولا لغة سوى العربية ، انهم يقرأون ويدرسون الكتب العربيه بشغف . ويجمعون منها مكتبات بثمن عظيم . ويشيدون فى كل مكان بآداب العرب ، وعند ذكر الكتب المسيحيه يحتجون باحتقار أن مثل هذه الكتب غير جديرة بعنايتهم .

انه لأمر مؤسف حقا ، لقد نسى المسيحيون لغتهم وليس فى الألف واحد منهم يستطيع أن ينشىء بلاتينية متوسطه خطابا الى صديق ، أما بالعربيه ، فالكثيرون منهم يستطيعون التعبير بكثير من الاتقان ، وحتى نظم أشعار تفوق فى صحتها الشكلية اشعار العرب انفسهم . (١)

وبذلك نرى أن اسبانيا قد أصبحت بفضل العربيه الزعيمة الفعلية لأوروبا قرونا عدة تحت حكم العرب ، وبلغت قرطبة ذروة قوتها فى القرن العاشر وتبودلت الشعارات بين الخلفاء وأباطرة الامبراطورية المقدسه ، فكانت العلوم العربيه خلال القرن الثانى عشر تدرس فى مدرسة كاتدرائية هيرفورد بالاضافة الى الفنون الحرة وعلوم الدين . (٢)

١ــ نجلاء عزالدين ــ العالم العربى ــ ص ٧٥ دار احياء الكتب العربيه .

Dosy Spanish Isiam .P. 268

ولم ينقض القرن الثاني عشر حتى أصبحت علوم العرب أكثرها بين أيدى الاوروبين ، فكان للغة العربية من الغنى والمرونة ماجعلها قادرة على النمـــو والتكيف ، فكانت اداة لمدنية عظيمة •

I

لقد كانت سياسة المستعمر منذ أن وطئت أقدامه أرض البلاد العربيه محاربة اللغة العربية بكل وسيلة ، فحاول في مصر أن يشجع اللهجة المحلية حتى يفصم العرى التي تربط مصر بالعروبه كما حاول في غيرها من البلاد العربية أن تكون لغته هــى السائدة يصيغها في برامج التعليم وفي صلب الثقافة ، لذلك نجد الشعر يدافع عــن كيانها ويفتخر بعظمتها تلك التى اختارها الله لكتابه الحكيم • كانت اللغة العربيـة في نظر العربي لها صفة التقديس وسمة الولاء ، لذلك كانت نظرته الى محـاولات القضاء عليها نظرته الى القضاء على عقيدته سواء بسواء ، لذلك نجد دفاعه عنها مشوبا بالعقيدة الدينية ، يفتخر بذلك ويعتبره شرفا للغه لم تحظ بمثله لغة اخرى •

فعبد الرحمن الرافعي يقول (١) :

لغة بفضل جمالها وجــلالهــا شهــدت شواهد محكم القرآن

ونجد أمين ناصر الدين يفتخر بهذا التفضيل للغة العربية فيقول (٢) :

نحن الألى بلسانهم قد انزلت آى الكتاب وذلك الالهــام

(٣) ويقول أبو الفضل الوليد يرد على كل من يحاول أن يهاجم العربيه ويمسها بســـوء

كفاها أنها الله اصطفاهـــا لقرآن تبلـــج كالصبـــاح

ويرد د شوقى كذلك هذا الفضل الذى اولاه الله للغة العربية فيقول (٤) :

الله جل ثناؤه بلســـانهم خلق البيان وعلم الامثـــالا

وتخير الأخلاق أحسنها لهم ومكارم الأخلاق منه تعالـــى

١ـ انيس المقدسي الاتجاهات الادبية ـ جـ١ ـ ص (٩٨) • بيروت
٢ـ امين ناصر الدين ـ الالهام ـ ص (٩٣) • المطبعة • لبنان
٣ـ أبو الفضل الوليـد ـ الانفاس الملتهبه ـ ص٨٣ ، طبعه (٢) بيروت
٤ـ ديوان الشوقيات ـ جـ١ ـ ص (٢٤٤) ـ الاستقامه

وكذلك يقول على الجارم يذكر شرف اللغة العربية التى أُنزل فيها القرآن : (١)

نزل القرآن بالضـــاد فلـــو لم يكن فيها سواه لكفاهـــا

ولما جرت محاولات القضاء على اللغة العربيه بالدعوة الى اللغات الاجنبيه أو بالدعوة الـــى مناصرة اللهجات الاستعمارية كأسلوب من أساليب التجزئه البغيضه أو كرد فعل اعمى للهجات الاوربيه التى انفصلت عن اللاتينيه ثارت المشاعر العربية فى كل بلد عربـــى تدافع عن اللغة الام وتذود عنها عائدات الليالى •

مصطفى صادق الرافعى يقول فى ذلك :

أَمْ يكيد لها من نسلها العقـــب ولا نقيصته الا ما جنى النسب

كانت لهم سببا فى كل مكرمـــة وهم لنكبتها من دهرها سبب

كان الزمان لنا واللسن جامعـــة فقد غدونا له والامر ينقلـــب

اذا اللغات ازدهت يوما فقد ضمنت للعرب اى فخار بينها الكتب

ويندد فؤاد الخطيب بهذا الجور الذى لحق اللغة فيقول :

جاروا على لغة القرآن وانصدعت له القلوب وضج البيت والحـــرم

فالقدس باكية والشام شاكيـــــة وفى الحجاز يكاد الركن ينحطم

ولا يصمت حافظ ابراهيم عن ان يتكلم باسمها فى قصيدته اللغة العربيـــة تنعى حظها بين أهلها فيقول : (٢)

أَيهجرنى قومى عفا الله عنهـــم الى لغة لم تتصل بـــــرواة

سرت لوثة الافرنج فيها كما سـرى لعاب الافاعى فى مسيل فرات

ويصف غناها وخصبها ومرونتها فى مجاراة مخترعات العصر تلك التى لم تضــق عن أن تسع كلام الله كله لفظا وغايه •

ونجد شوقى ينوه بهذا المعنى فى فضل اللغة وما اسبغ عليها من صفه الكمال بنزول الذكر بلسانها • فيقول : (٣)

١ـــ الديوان جـ ١ ص ٢٥ ـــ القاهرة

٢ـــ ديوان حافظ ابراهيم ص (١٣٥) جـ ١ دار الكتب المصريه

(١)

لغة الذكر لسان المجتبى كيف تعيا بالمنادين جوابا

كل عصر دار ها ان صادفت منزلا رحبا وأهلا وحبابا

ائت بالعمران روضا يانعا وادعها تجر ينابيع عذابا

لا تجئها بالمتاع المقتنى سرقا من كل قوم ونهابا

سل بها أندلسا هل قصرت دون مضمار برلن حين أهابا

غرست فى كل تربة أعجم فنزكت أصلا كما طابت نصابا

ومشت مشيتها لم ترتكب غير رجليها ولم تحجل غرابا

وقد زادهم اعتداء المستعمر على لغتهم ايمانا بهذه اللغة فتفننوا فى مدحها وذكر محاسنها واصالتها وغناها ، لا يخلو شعر شاعر من اعتداده بلغته وبيانه •

فشوقى يخاطب الريحانى لاهماله امر اللغة رغم ان معانيه جيده : (٢)

ان الذى ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره فى الضاد

ويقول خليل مطران مبشرا بمستقبل اللغة حيث ان التجدد للسان حياته • فيقول (٣)

فى عصرنا للضاد فتح باهر زيدت به فخرا فهل من مأثم

وهكذا لا نتصفح ديوانا من دواوين الشعراء الا ونجد اعتزاز الشاعر بلغته مثار كبريائه ومعقل قوته ومثار احاسيسه ومشاعره ، لكن التفكير باللغة يتطور تطورا آخر بحيث ينظر الشاعر اليها نظرته الى امته مجتمعة غير مجزأة ، نظرته الى ماض يربط هذه الامه وحاضر يضمها ويلم شتاتها ، ومستقبل يجب ان تستعد لـه ، اخذ الشاعر يرى قوميته من خلال لغته ، ينظر اليها نظرة التقديس من حيث جمعها لاجزاء وطنه • فاللغة العربية تضمهم ادبا وفكرا وثقافة ، واللغة العربية تجمع ارحامهم وهى دون غيرها من اللغات برهان وحدة الامه وطريق عزتها التى لا تموت فهى علاج ناجح لمرضى الطائفية أو أى لون من ألوان التعصب الدينى ،

١ــ الشوقيات جـ١ ص١٣ • الاستقامه

٢ــ الديوان جـ١ صـ١٢٥

٣ــ ديوان الخليل جـ١ صـ٣١

يقول شفيق جبرى فى ذلك (١) :

لولا قوافى بوادى النيل ننشدها ... فى غوطة الشام او فى ارز لبنان

لقطعت بيننا الارحام واضطربت ... فينا الوساوس فى وصل وهجران

ويرد حليم دموس على دعاة التفرقة ، ويشدد فى مخاطبتهم لتحاملهم على اللغة التى هى بمثابة الاصل تجمعهم تحت لوائها . (٢)

ستظل رابطة تؤلف بيننا ... فهى الرجاء لناطق بالضاد

ويقول مصطفى الغلايينى ايضا : (٣)

ما فى الديار وان لجوا سوى عرب ... من عهد آدم سل اثارهم تجب

ان فرقتهم ديانات فقد جمعت ... اهواءهم لغة الاجداد فى سبب

ويؤكد الوحدة التى تستند على اللغة (٤) :

ان فرق الايمان بين جموعنا ... فلساننا العربى خير موحد

قربت به الاقطار وهى بعيدة ... وتوحدت من بعد فرقتها اليد

ويعتقد ابو الفضل الوليد ان بناء الامه ببناء لغتها ، وهى ما عبر عنه كثير من فلاسفة الغرب ومفكريه عندما ردد احدهم ان بقاء الامه ببقاء لغتها ، فاذا تخلت عنها فقد فقدت قوميتها . فيقول : (٥)

ان الشعوب حياتها بلغاتها ... ومماتها الاهمال والنسيان

هى مظهر الارواح فيها فاحفظوا ... ارواحكم وشعوركم برهان

ويتجه حافظ اتجاها آخر فى التعبير عن هذا النسب العالى الذى يربط بين البلاد فيقول (٦) :

أيرغبان عن الحسنى وبينهما ... فى رائعات المعالى ذلك النسب

١ـ ذكرى الشاعرين ص (١٩١)

٢ـ حليم دموس ـ المثالث والمثانى ص (١٢٢) . صيدا

٣ـ الديوان ص (١٠٠) ـ العباسيه ـ حيفا

٤ـ انيس الخورى فى الاتجاهات الادبيه ـ جـ١ ـ ص (١٠٢) . ـ اليقظه دمشق .

٥ـ الانفاس الملتهبة ـ الوفاء . بيروت

ويعترف خليل مطران كذلك ، ان الضاد هي التي تجمع الاجزاء المختلفة من البلاد العربية فتحيلها وطنا واحدا :

وطن واحد وتجمعه الضـــــنا د لمغزى فى لفظة الاوطان

وهكذا نجد الاجماع التام على قوة هذا الرابط بين البلاد العربية حتـــى تبلور البعث العربى الجديد في صورته الواقعية ، اليست اللغة العربية تحمل الينا القديم والجديد ؟؟ اليست اللغة فى بردتها تاريخنا الثقافى والسياسى والأدبى والفكرى والعلمى ؟؟ ، اليست هى الطابع الذى يطبع شخصية الامة وقوتها او ضعفها وقـــد رأينا ما رأينا من انتشارنا واقبال العالم عليها ؟؟ ثم اليست هى وسيلة تفاهمنـــا وتخاطبنا وأداة تعبيرنا عن الافكار والاحاسيس والانفعالات ، انصبت بها عاداتنـــا وتقاليدنا ومثلنا وصفاتنا ومقاييسنا بحيث تولد اتجاها ثقافيا واحدا وانسجاما متقاربا فى التفكير والمشاعر • اصبحت اسس الوجود القومى فى نظر العربى وغدت بنــــاءه الذى يرتكز على قوته فى انطلاقه المقبل سواء . المسلم أو المسيحى حتى بلـــغ من تعصب المسيحى للغته ان اسرع يعرب كنائسه وصلواته ، وكان ذلك عيدا عنــــده يهنىء به بعضهم بعضا ، فلغتهم نصرا لقوميتهم وصونا لها من أى تدخل اجنبـــى غريب • ؟؟

-=-=-=-=-=-=-=-=-=-

ب ـ وحدة التاريخ

أ

لقد رأينا في تتبعنا للقوميات الاوروبية ان القاسم المشترك في بنائهم القومي كان بعث تاريخهم ليكتب بلغتهم القوميه ، وذلك لتصل الامه حاضرها بماضيها ، ولتبعث في نفوس ابنائها قوة الايمان بأمتهم وحضارتهم ولتضع على اكتافهم مسئولية المحافظة على هذا التراث والاستمرار في إنمائه والعناية به ، فكان التاريخ اساسا آخر من أسس الوجود القومي يصوغون منه عبادات وترانيم تشعل الحماس في النفوس • فشعور الافراد بتاريخهم هو شعورهم بآلامهم ، بعظمتهم ، باحداثهم بالعبر والمواعظ ، هو شعور بالعدو والصديق على حد سواء فالتاريخ ان هو الا النافذة التي يطل المواطن منها على ماضيه ليعرف من أين اتجاهه وكيف يسير • والتاريخ زاخر بالقيم الروحيه التي هي عباره عن عادات الامه واخلاقها ومثلها وتقاليدها المشتركة •

والتاريخ خلايا الامه الحيه يمدها بالحركة المستمره ويزودها بالطاقة الخلاقه من أجل البناء ، بل من أجل حفظ البقاء الجماعي • فهو ناقوس يدق بعنف وقوة اذا حاول ان يشوه معالمه اى طارق غريب عن الدار •

والامه العربيه عاشت تاريخا واحدا وخضعت لظروف تاريخية واحده في معظم الاحيان ، لذلك كونت وحده تاريخيه شامله • فحين حكم الفراعنه امتدت فتوحاتهم الى ما بين النهرين في العراق ، • وحين حكم السوريون انهار حكمهم على يد قبائل ساميه جاءت من جزيرة العرب واستوطنت ما بين النهرين . وحين خرج البابليون والكلدانيون والاشوريون من جزيرة العرب واستوطنوا ارض العراق ، وصلوا في امتدادهم ارض الفراعنه في وادي النيل واسسوا دولا شملت قسما كبيرا من ارض الوطن العربي •

والفينيقيون انطلقوا الى المغرب العربي حيث اسسوا قرطاجنه الى أن تكونت الوحده العربيه التاريخية في جبهة عربية واحدة يخضعون لنظم ومقاييس واحدة عندما جاء الاسلام •

ولما بدأت التجزئة بضعف الدولة العباسية ، لم ينعزل كل جزء عن الاخر ، كما لم يكن لكل منها تاريخ خاص منفصل ، فكانت تخضع ولو اسميا لخليفه واحده ، كما انها كانت تعمل دوما على مد نفوذها الى الاجزاء الاخرى، فاختلط تاريخها ببعض • فالفاطميون امتدوا في الارض العربيه حتى المغرب ومصر وسوريا وقسما من جزيرة العرب •

والطولونيون والاخشيديون والايوبيون امتدوا حتى شملوا قسما كبيرا من سوريا •

والمماليك اسسوا دولة شملت مصر وسوريا ولبنان وفلسطين وقسما كبيرا من جزيرة العرب •

والاستعمار التركي شمل الوطن العربي

ومحمد على الكبير شمل حكمه مصر والسودان

ولما جاء الاستعمار شمل البلاد العربية

والتاريخ كذلك كون وحده اجتماعية بين الامه العربية في تشابه اقتصادي واخلاقي لأنها كانت تعيش في ظروف شملت معظم اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقيه والثقافية •

فحين كانوا يعيشون في الجزيرة قبل الاسلام كانوا يتبعون عادات وتقاليد واحده ، ويلتزمون مقاييس وقيما اخلاقيه واحده ، ويتداولون ثقافة واحدة تنعكس في أعمالهم •

وحين جاء الاسلام شملت النهضة العربية كل الامه وتجسدت في نظم الادارة والتشريع والثقافة •

ولما انهارت الدولة العباسية امتد الانحطاط الى كل مرافق الحيـــاة العربية والواقع القومـي •

ولما جاء الاستعمار ، كان الظلم والجهل والتأخر والجمود نصيب الأمـة العربية كلها تتأثر به أيا كان موقعهـا •

ولما حل الاستعمار سواء كان البريطاني أم الفرنسي نظر الى الامــة العربية نظره واحده ، فحين احتلت فرنسا الجزائر احتلت تونس ومراكش لضمــان السيطرة ، واتبعتها بسوريا ولبنان •

ولما احتلت بريطانيا عدن امتدت سيطرتها على كل الشاطىء الجنوبـي لجزيرة العرب كما أخذت تعد العدة لاحتلال العراق •

ولما احتلت بريطانيا مصر بدأت تعمل لاحتلال فلسطين لضمان سيطرتها على مصر والقناة •

وهكذا تأثرت الامه العربية بالاستعمار وبما خلقه من دوافع وآمال وذكريات ومشاعر ، كما انه كان عاملا مهما في بلورة الشخصية العربية •

٢

يقول على مصطفى : فكما أن الاوربين عندما افاقوا من قرونهم الوسطـى عمدوا الى احياء ماضيهم فبعثوا الثقافة الاغريقيه وجعلوا منها اساسا لنهضتهـم ، كذلك نحن في الشرق ، قد هدانا وحي السليقه الى منابع عظمتنا فرجعنا الـــى ماضينا ليكون قاعدة لصرح تقدمنا •

وقد كان دور الشعر في هذا المضمار ووعيه لتاريخه الحافل كبيرا ممـــا ساعد الامة العربيه على تكوين الوجدان الجماعي لها •

ونحن نقرأ لشوقي ابياتا كثيره تضع التاريخ في منزلة مهمه لما له من الاثر في بعث الامة بما يودعه فيه من حكمه واخباره [٢]

١ـ أنيس الخوري المقدسي ـ الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ص(١٢٨) طبعة دار العلم للملايين

٢ـ الشوقيات جـ٢ : ١٢٢

الروح فى التاريخ الاعتبار   وحكمه تودعها الاخبار

فنجده يستعمل التاريخ واحداثه ومواقعه ومآسيه ليثير الشعور ويقدم العبرة والمغزى .

وكان لذكرى النوابغ والابطال نصيب كبير فى الشعر لم يغفل عنه شاعر ايا كان فى ابطال الصوره ، سواء كان هؤلاء الرجال من رجال السياسة والحرب والادارة أم من رجال العلم والادب والدين . فكانوا وسيلة اتخذهم الشعراء المحدثون لرفع انظار الجيل الحاضر الى المثل القومية العليا .

فمحمد عبد المطلب كتب علويته المشهورة (١) التى ألقاها فى حفلة برياسة اسماعيل صبرى باشا .

أرى ابن الارض اصغرها مقاما   فهل جعل النجوم بها مراما

ومثلها بكرية عبد الحليم المصرى وخالدية عمر ابو ريشه ، وعمرية حافظ ابراهيم التى مطلعها :

حسب القوافى وحسبى حين القيها   أنى الى ساحة الفاروق أهديها

وبعد ان يعدد اعمال الفاروق ومكارمه وحسناته يختم القصيدة بقوله :

هذى مناقبه فى عهد دولته   للشاهدين وللاعقاب أحكيها

لعل فى أمة الاسلام نابتة   تجلو لحاضرها مرآة ماضيها

وحسبها ان ترى ماكان من عمر   حتى ينبه منها عين غافيها

وكذلك نظم شوقى موشحا بعنوان صقر قريش وقصه نجاته من العباسيين ورحيله الى افريقيا ، ثم ماكان من أمره فى الاندلس ، وكتب خير الدين الزركلى فى هذا المعنى (٢):

للملك أهل وللتيجان اهلونا   لايهدم الدهر مادمنا بانونا

١ــ الديوان عبد المطلب ص(٢٣٠) ــ الاعتماد ــ القاهرة .

٢ــ الديوان جـ١ ص(٦) ــ العربيه . القاهرة

ثم يتكلم عن عبد الرحمن وكيف أن اليتم لم يصده ويوقفه عن مطامحه الكبرى بل زاده تمكينا ، وهكذا كل من يخلق للمجد كما خلق يصيبه النجاح وتضمن اقدامه الايام ، ثم ينتهي الزركلي الى الطريقة التي انتهى اليها حافظ من استخلاص العبرة والعظة ، واثارة الأجيال فيما أصاب الآباء من مجد ، فيقول :

اترك رفاتك للأجيال تذكرة وعبرة للمطايقين المكبينا

قضيت حق المعالي فانتصفت لها من واتريها وحققت الاظانينا

وكذلك يختم عمر ابوريشه قصيدته في " مجد " (١)

فأعيدي مجد العروبة واسقي من سناه محاجر النبراء

قد ترف الحياة بعد ذبول ويلين الزمان بعد جفاء

وكذلك يختم أنور العطار قصيدته "جيش اسامه " بقوله

صرخ الجرح بالمواجع ثوري وأطاب الاسى بعيني جودي

ارجعي يامرادة الفاتح السمح وياعزة الابيين عودي

وكذلك تهدف القصائد الشعرية التي قيلت في البطولة تصل الماضي بالحاضر وتتخذ منه صرخة جديدة لبعث جديد لحياة العرب .

ولم يقتصر الشعر على ذلك بل اتجه بعض الشعراء الى الاخبار التي تحيي مكارم الاخلاق العربية كالشجاعة والوفاء والعدل والحلم والكرم والنزهة كأمثال حاتم ومعن والاحنف ، وقصص الخلفاء والسلاطين .

فهذه قصة خوله بنت الازور وأخيها ضرار لشبلي الملاط تصف بطولة الفارس العربي حين يقول ضرار لخوله (٢) :

يا خول ان ابي وجدي استشهدا قبلي على مرأى النبي الهادي

وأنا على اثار من درجوا ومن سعدوا من الاباء والاجداد

١ـ الديوان ص (٢١٢)

٢ـ ديوان في ظلال الايام ص (١٠٠)

٣ـ ديوان الملاط ص (٢٨٣)

ثم ينتهى الى وصف قصة خوله وكيف استطاعت بشجاعتها وحماستها وجرأتها أن تثير الهمم وتشحذ العزائم فى صفوف الحرب فيستبسلون فى المعركة حتى تنقذ خوله أخاها من الاسر فيقول الشاعر :

وشى النزاة الفاتحون ود وخوا ... لاد وخوا من أمه وبلاد

قل للألى عزت بهم أوطانهم ... وتسودوا من طارف وتلاد

كونوا ضرارا فى الجهاد وخولة ... ان المجد ود تسيرفى الاجتاد

٣

وكان العربى فى مشاعره يحن الى الماضى الزاهى الزاخر بالبطولات والعزة والسيادة ، كان الشعر يصور هذا الاعتزاز بالماضى فى كل مناسبة تتمثل فى قول مصطفى الغلاييني (١) .

سل الركن عنهم والحطيم وزمزما ... وارض بنى قحطان إن هى تنطق

وسائل بهم مصر المعالى وتونسا ... وبغداد تصدقك الاحاديث جلق

وسل إن جهلت العرب اندلسا وما ... اقاموا من الامجاد فيها ونمقوا

وكذلك تحدث الشعر الحديث عن ما جرى للامير الاموى ابراهيم بن سليمان ابن عبد الملك يوم فر من سيف السفاح العباسى واحتمى عند رجل كان الامير قد قتل والده وهو لا يعرف الرجل ولا الرجل يعرفه فيقول فى ذلك (٢) :

حدثينا عن قومنا العرب اهل ... المجد قدما والهمة القعساء

عن رعاة جاءوا عراة من القفر ... فحازوا ملكا على الدنياء

رفعتهم خلالهم فتساموا ... ثم هانوا من بعد ذلك العلاء

وبناء الاخلاق اعلى وأقوى ... من بناء المعاقل الشماء

١ـ الديوان ص (١٠٥) ـ العباسيه • حيفا

٢ انيس الخوري المقدسي ـ الاتجاهات الادبية فى العالم العربى الحديث طبعه دار العلم للملايين •

ثم يكشف الرجل الامير فيقول له :

كن من تشاء إنك ضيفـــي   وهو عندي من أقدس الاشيـاء
لست والله خافرا ذمتي منك   وقد كنت من طعامي ومائـي

ثم يختم الشاعر القصيدة مفتخرا بأمجاد آبائه ..

تلك آباؤنا وذاك تراث المجد   منهم باق الى الابنـــاء
شرف في سماحة ، وذكاء في   وقار وقدرة في وفـــاء

وتكلم العربي في شعره الحديث عن المواقع الحربيه التي انتصر فيها العرب فيقول عن معركة اليرموك مثار فخر العربي ومدار كبريائه .(1)

الا هبوا أحدثكم بمجـــد   لكم غشى الجزيـرة والشـآما
الى اليرموك إن تبغوا المعالي   وفوق ضفافه فاجثوا احترامـا
هنا الاسلام ضاق له حســام   غـداة استل خالده الحساما
وهب ابو عبيده مثل ليـــث   يجر وراءه الموت الزؤامـــا
فأصلى الروم حربا اي حــرب   ونكل بعزمه الجيش اللهـاما
وسار على روابي الشام يخطو   تحز له الربا هاما فهامـــا

وكما يذكر العربي الايام المشرقة من تاريخه فيثير في ذكراها الهمم ويشحذ العزائم لاستعادة ايامها والسير على منوالها ، فانه لاينسى ابدا المواقع السود التي أودت بكثير من مجد العرب وسودت صحائف تاريخهم ، وهو اذ يذكرهـــا فانما يذكر العربي بها لكي يتخذ منها عظة وعبره . فتكون عونا له على متابعة نضاله بأضواء الماضي التي كشفت عن الاخطاء ، فمصرع الامين للدكتور رشيد الحنـــاوي(2) يتحدث عن مجد العرب منذ ظهور الاسلام الى سقوط عرش الامين ...

١ــ انيس الخوري المقدسي ــ الاتجاهات الادبية في العالم العربي ص (١٨٢) طبعه دار العلم للملايين .
٢ــ نفس المصدر ص (١٨٢)

تعب القرون تناولته ساعـــــة ضلت مسالكها وحار هداهـــا
هذى جناية هاشم فى ملكهـــا غفر الاله لهاشم عقباهـــــا

ثم يذكر انتصار الفرس على العرب في ذلك فيقول /

ما ان رأت عينى كيومك مصرعـا لحمى العروبة واستباح حماها
وازاح عن عرش النبى متوجـــا من أهله وأحله كســـــراها

ثم نراه يدعو الى عصبية قوميه ، لان الملك فى نظره لا يقوم بدونها . ولا يبدو من الاعتماد على الدول القوية ، فيقول محذرا :

ما الاقوياء وان أرولك ليـــــانه الا ذئاب تستلين شـــياهــا
فاذا أصابك منك موضع رقـــــة دلفت اليك بشرها وأذاهـــا

ولا ينسى الشعراء ان يتحدث عن الأمصار والاثار العربية التى خلدت صورا مـــن المدنيات فى العالم ، تلك التى زهت فى الحواضر الاسلاميه كدمشق وبغداد وقرطبة واشبيليه وغرناطه والقيروان ، فهى تمثل عهودا لاتنسى فى التاريخ .

فحبيب اسطفان يقول (١) :

دمشق بها ذكرى امية خلدت وبغداد ذكرى للرشيد مخلــد
وفى القدس انوار المسيح مضيئة تنار بها اقصى الشعوب وترشد
وام القرى بيت الاعارب مكـــة لها الشرف العالى القديم الموطد
اقام لها التوحيد دينا مشرقا وانبت مجد العرب فيها محمــــد

ويتجه الشعراء فى تمجيد تاريخهم القومى وجهة التغنى بالحضارة العربية وما تركته من مدنيه وعمران ، وما فتح العرب من اقاليم ، يحاولون ان ينطقـــــوا الاثار نفسها كى تروى ما رأته وسمعته ، وهم بذلك كله يفاخرون الحضارة الغربيـــة التى اكب عليها بعض الضعفاء يولونها وجوههم ، منكرين مالهم من يد بيضاء علـــى هذه المدينه . ونحن نسمع مصطفى لطفى المنفلوطى وهو يدعو الجيل الى تشتته .

١ــ " صبرى الاشتر " المختار ص (٥)

نشأة شرقية فيقول :

ان دعوناهم الى الحضارة لنضرب لهم مثلا بحضارة بغداد وقرطبة ودمشق وفينيقيا لا بباريس وروما وسويسرا ونيويورك • وان دعوناهم الى فكرة فلنقص عليهم آيات الكتب المنزلة وأقوال أنبياء الشرق وحكمائه لا آيات روسو وباكون ونيوتون وسبنسر وان دعوناهم الى حرب ففي تاريخ خالد وسعد وموسى وصلاح الدين مايغنينا عن تاريخ نابليون وولنجتون وواشنطون ولسون ولوثر • وفي وقائع القادسية وعموريه وافريقيا والحروب الصليبيه مايغنينا عن وقائع ترلو وترافلغار واسترليتز والسبعين •

ونجد محمود غنيم يندد بهؤلاء الذين ركضوا وراء اضواء الغرب بينما نسوا ان ينتحلوا تاريخهم على ضوء تاريخهم • (١)

استرشد الغرب بالماضي فارشده ونحن كان لنا ماض نسيناه

انا مشينا وراء الغرب نقبس من ضيائه فأصابتنا شظاياه

وفي قصيدة حبيب العبيدي : (٢)

كل بلاد قد وطئنا صعيدها غدون رياضا زاهيات زهورها

واتقن احسانا وعدلا وحكمه وعلما وفضلا زاهرات بحورها

وفي قصيدة لعمر ابو ريشه " امه " يقول : (٣)

أوقفي الموكب يارمال البيد انه تاه في مداك البعيد

ثم ينتقل الى مافعله الاسلام بالروم والفرس •

وقفت موجة الهدى تغسل الشرك وتروي النفوس بالتوحيد

فرمت بالكتائب الغر روما وبأبطالها الغزاة الصيد

وضفاف اليرموك ترسل منها زغرات الحداء لابن الوليد

ثم يفتخر بما كان للأمة العربية عند ما يقول :

أمه يعربية تركت فسح الدهر آية التمجيد

١ــ الديوان ٧٨ــ٨٢

٢ــ أنيس الخوري المقدسي الاتجاهات الادبية في العالم العربي صــ ١٨٨ ــ دار العلم

ولكنه يعود ليصل الماضى بالحاضر فيذكر العربى بما آل اليه أمره من بعد ماكان عليه من سيادة ٠

وخبت نارها وصب عليهم عاصفات التعذيب والتنكيد
وانتهت سيرة الجدود الينا فجررنا القيود اثر القيود
والتفتنا فلم نجد غير ملك مزقته اصابع التبديد

ويستبد الشعور بالوضع الراهن حين يقارن الشاعر بالماضى الذى كانت هذه الحضارة والعمران والمدنيه ٠ فيقول اليامن قنصل (١) :

أنرضى بالهوان ونحن قوم ملأنا صفحه التاريخ فخرا
أيرهبنا الحديد وقد بنينا بحد السيف مجدا مشمخرا

٤

غدت رسالة الشعر العربى بعثا لماضى العرب ليصلوا ما انقطع منه فهم ابن الجدود الذين كان لهم ماكان من تاريخ ، اصبحت رساله الشعر حث العرب على النهضة كما نهض الغرب ، وهذا طبيعى فى مجتمع يريد ان ينهض ، فتكوين الطاقة لابد منها ، وتنبيه النائم لابد من أن يحصل ، ولو أدى هذا الى التعصب لفترة من الزمن فهو أمر لازم لامة ارادت أن تنهض وتهيء القوى للعمل ، ونحن نسمع أمجد الطرابلسى يقول :

تكلم جزيرتكم ياعرب باسمه ترنو اليكم وتحنو اى تحنان
سيروا اليها نعيد البعث ثانية ونملأ الارض من عدل وعمران
اليس منا الالى قادوا جحافلهم واخضعوا الارض من فرس ورومان

ويستبد الحماس بأحمد محرم حين يثير نخوة العرب وهو يتحدث عن فلسطين قائلا :

١ـ ديوان الهام ص(٤١) طبعة ٢ ، ليونس لهوى بونس ايرس

(١)

يا آل يعرب من يريني خالـــدا | يزجي الخميس ويستحث المقنبا
من شاء منكم فليكنه ولا يقـــل | ذهب القديم فانه لن يذهبا
السرباق والزمان مجـــدد | والسيف ما فقد المضاء ولا نبا

وقد اشتد الحماس لدى بعض الشعراء في التغني بالماضي وعزته ورجالـه وحضارته ومجده ،حتى رأينا بعض شعراء آخرين يقللون من هذا الاندفـــاع نحو تمجيد الماضي ويحاولون أن يشيروا للناس واقعهم الاليم ،فالواقع هو الذى يجب ان يركز الفرد عليه عطـه ليرى سيئاته ويسعى الى تحسينه ،فلا ينخـــدع المرء في احاسيسه فتقـوده الى الاتكاليه على عظمة هذا الماضي بل يجب أن يأخذ المرء منه مايوحى اليه العمل والتضحية وتشتد به قوته في حياتنا الحاضره ،

ويقول محمد عبد الغني (٢) :

قل للمفاخر في الحياة بأصلـــه | فيم افتخارك بالقديم الأبعـد
ماقيمة الماضي الدفين ومجـده | إن لم يقم بالحاضر المتولـد
هذا زمان لاتقاس كرامـــــه | فيه لماض غائب لم يشهـــد

=

ولابد لنا من القول ان التاريخ من أسس الوجود القومي والبعث الجديد ، ونحـــن نجـد الآن كثيرا من الدول العربية أخذت تدخله ضمن برامج الدراســة في المدارس ،كي يستطيع الطالب أن يرى ويلمس ماكان عليه آباؤه فيمضى قدما فـى تحقيق رسالته الجديدة ،فالوطـــن العربي هو الحقيقة الخالدة الباقيـــة ، وقد جاء في الدستور السوري :

يجب ان يهدف التعليم الى انشاء جيل قوي بجسمه وتفكيره ،مؤمن باللـه

١ــ الديوان ٢١٠ ــ ٢١٨

٢ــ الدكتور جميل صليبا ــ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام ــ ص(٨٧) معهد الدراسات العربية .

متجمل بالاخلاق الفاضله ، معتز بالتراث العربى ، مجهز بالمعرفة مدرك لواجباته وحقوقه ، عامل للمصلحه العامه ، مشبع بروح التضامن والاخوة بين جميع المواطنين كما جاء فى نظام المدارس الثانوية الصادر عام ١٩٤٥ . :

ان تاريخ الامه العربية وماضى الوطن العربى يجب أن يشغلا المكان الاول بين جميع مباحث التاريخ .. ومع أن فكرة العروبه لاتظهر فى مناهج لبنان بوضوح ، الا أن لبنان خدم الحضارة العربية وبعثها ودافع عنها فلا عجب أن نسمع لبنانيا مثل بشاره الخورى يقول فى وطنه لبنان ..

عربى النجار شد عراه ... باللوائين عبد شمس وهاشم

وأن نسمع آخر منهم يقول :

فيا لقومى وما قومى سوى عرب ... ولن يضيع فيهم ذلك النسب

وحبذا لو كانت دساتير البلاد العربيه جميعها تأخذ بهذا الاتجاه فيستيقظ من كان لايزال نائما ، أو من يدعى تأخر العرب وعدم قدرتهم على متابعة ركب الحضارة ، فالتاريخ ركن مهم من أركان القومية العربية فى انطلاقها نحو الوحدة والتحرر .

وفى ذلك يقول عزيز فهمى (٢) :

الستا جميعا أمه وحضارة ... توحدنا ارض ويجمعنا عهد

اذا أن شامى تنبه هاجه ... بمصر وفى بغداد والتفت نجد

غفونا جميعا وانتبهنا فجاءه ... كأنا على وعد وقد انجز الوعد

١ــ جميل صليبا الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام ــ ص(٨٧) ــ معهد الدراسات العربية .

٢ــ الديوان ص(٤) ــ دار المعارف

جـ ـ وحدة المشاعر

الوعى بالكيان القومى ضرورة حتمية لنمو الوجود القومى حتى تتكامل أجزاؤه ويتم بناؤه • والوعى خطوة أولى تخطوها البلاد على أصوات تحطيم قيود ها القديمة البالية لتقدم ماتستطيع تقديمه من فكر وأدب من أجل تقدم الأمه ، وإحياء أمجاد ها والسير بها الى الازد هار والخصب فلم تستيقظ البلاد الاوربية وتطالب بتحقيق وجود ها القومى الا بعد أن أد ركت بوعيها شخصيتها الجماعية التى تتميز عن غيرها من الأمم الأخرى ، فكان شعورها بكيانها حافزا قويا لشعور الامه بكل مايحيط بها من خطر وبكل ماتتطلبه من تضحيات •

الوعى يربط الأمه بكثير من مشاعر التراحم والتعاطف والتساند ، يوقظ فى إحاسيسها الجماعية وحده الشعور بالأمل والألم معا مهما بعدت أجزاء البلد الواحد ومهما تعددت مشاكل الاقليم • هو شعور الجسم الواحد بكل مايصيب اجزاءه الاخرى من ضرر وبكل ما يحيق به من ظالم •

وقد شعرت البلاد العربية بهذه المشاعر منذ أن بدأت تعى كيانها وتلمس وجود ها وتحس بشخصيتها ، وعت أن لها تاريخا واحدا حاول المستعمر الغريب بكل الطرق أن يمزقه بتقسيم البلاد ليكون لكل بلد تاريخا خاصا ، وبذلك تعرضت الامه العربية لآلام شتى أيقظت أحاسيسها وبعثتها بعثا جديدا لتتلمس العضو الذى أصابه هذا الألم ووقع عليه عبء الاضطهاد • فكنا نسمع الشاعر فى مصر يرثى أخاه فى العراق أو يتأوه لبلاء حل فى الشام ، ورأينا صوت زعيم من الزعماء يولد فى نفوس شعراء البلاد العربية مشاعر من الأسى والألم باعتبار هذا الزعيم واحدا مهما تجزأت البلاد وتقاسمتها الانواء • وكان استقلال أحد الأجزاء فرحه كبرى تصيب المجموعة العربية بلون من السرور يشرق فى شعرهم ألوانا من الغناء العذب •• ورأينا البلاء الذى أنزله الفرنسيون فى سوريا وتد ميرهم لمدينة د مشق وقتلهم يوسف العظمة • سرى فى جسم الامه العربية ألوانا من الأسى والألم سطرته نفوس الشعراء بمداد قلوبهم وحرارة نفوسهم أغانى حزينة تشاطر أهل سورية الألم وتقاسمهم العزاء ، فلم تستطع أيدى المستعمر أن تقضى على مشاعر أبناء الامة

كان شعري الغناء في فرح الشرق   وكان العزاء في أحزانـــــه

فالشاعر العربي هو الانسان الذي يعكسها في مجتمعه من آمال والام ، ومن ابتسامات ودموع ، ومن غضب أو رضى ، الشاعر العربي مرتبط بواقعه ، بماضيه وحاضره ، وهو خير من يعبر عن هذا الواقع الذي يعيش فيه تعبيرا يحمله فيض انفعالاته ومشاعره وآلامه وآماله وما يختلج في صدره من مشاعر وانفعالات ، فكذا كان له الفضل في يقظة الأمه وتنبيهها الى حقوقها الضائعة ، وكذا كان له فضل شحن نفوس الامه بالطاقات التفاعليه المستمرة للكفاح من اجل الحرية والحصول على الحقوق ، فكذلك كان له فضل ربط أواصر الأمه بكثير من المشاعر والاحاسيس وبكثير من التراحم والتساند •

٢

المشاعر والاحاسيس الواحده التي اصبحنا نلمسها في الشعر العربـــي بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ثمره من ثمار الوعي القومي ، وصوت قـــوى من أصوات البعث الجديد تفعل في صدور ابناء الامه العربية فعلها القـــوى لتنقلهم الى مرحلة جديدة من مراحل الكفاح •••

وقد كان أحمد شوقي من الشعراء المقلين في غير ما هو متصل بالقصـــر والخديوي ولكننا نلمس في شعره بعد الحرب العالمية الاولى لفحات من المشاعـــر القويـــة رددها أبناء الامه العربيه من المحيط الى الخليج واعتنقوها مبـــدأ وداغعوا عنها عقيده ، والقصائد الثلاث التي بانت من سطورها هذه الروح قيلـــت في ذكرى استقلال سوريه ، وفي حفل افتتاح مؤتمر تكريمه وقد تقاطر شعراء البـــلاد العربية ليقلدوه لواء الاماره ويقلدوه وسام الزعامه في الشعر ، أما الثالثة فقيلـــت في نكبة دمشق وقد عز عليه مصابها وآلمه ما اصابها من نكبات • القصائد الثـــلاث صوره من صور نمو الوعي القومي الذي لم يألفه العربي زمن الانحلال الذي اصاب الدولة العربية •

شوقي يقول في أولى قصائده ، ذكرى استقلال سوريه وذكرى شهدائها[1]

في قصيده مطلعها :

حياة ماتريد لها زيالا ودنيا لا نود لها انتقالا

يقول فيها :

بني البلد الشقيق عزاء جار أهاب بدمعه شجن فسالا
قضى بالأمس للأبطال حقا وأضحى اليوم بالشهداء غالي
يعظم كل مجتهد عبقري أكان السلم أم كان القتالا
وما زلنا اذا دهت الرزايا كأرحم مايكون البيت آلا

فهل ماهو أقوى تعبيرا من البيت الاخير في التعبير عن الآلام التي تجمعهم آلام أسرة واحدة وأهل أقرباء ..

أما القصيدة الأخرى فقد قيلت في دار الأمرا عندما غصت بوفود البلاد العربية وقد هرعت لتقديم ولائها لأمير الشعراء تقديرا له وفخرا واعتزازا به ، وفيها يفتتح القصيدة قائلا[2] :

مرحبا بالربيع في ريعانه وبأنواره وطيب زمانه

ثم يلتفت اليهم قائلا :

يا عكاظا تألف الشرق فيه من فلسطينه الى بغدانه
افتقدنا الحجاز فيه فلم نعثر على قسه ولا سحبانه

وبعد أن يشير الى هذا الجمع يقول :

رب جار تلفتت مصر توليه سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتني معزيا بمآقي وطني أو مهنئا بلسانه
كان شعري الغناء في فرح الشرق وكان العزاء في أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح وأن نلتقي على أشجانه
كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه في عمانه

١ــ الشوقيات جـ١ ، ص١٧٦
٢ــ الشوقيات جـ١ ص١٨٤

وبذلك كانت الآلام التي يعانيها البلد الواحد تؤلف مع البلد الآخر وحدة من مشاعر الألم قوية عارمة ، تزيد مابين الأمه الواحدة من أواصر أخرى • فالأنين الذي يعلو صوته في أحد أجزاء البلاد العربيه يكون من قوة التأثير وشدة وقعه في البلد العربي الآخر أن يشعر هذا الجزء وكأنه هو المصاب الذي حل به الظلم • أما لون التعبير الثالث الذي عبره شوقي عن وحده الالم في صفوف الأمه العربية وقوة هذا الرابط بين أبناء الأمه الواحدة قوله في نكبة دمشق [1]:

نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا في الهم شرق

ويجمعنا اذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق

أما حافظ ابراهيم فرغم قلة ماأورده من الشعر الذي يدعو الى دعم أواصر الامه العربية كلها ، فان هنالك بعض الالتفاتات الشيقة في شعره ، التي كان لها الاثر القوى في إيقاظ النفوس لوحده الالم الذي يربط بين أجزائها وهي من أوائل ماقيل من الشعر [2] :

اذا ألمت بوادى النيل نازلة باتت لها راسيات الشام تضطرب

وان دعا في ذرا الأهرام ذو ألم أجابه في ذرا لبنان منتحب

ولم يصمت بقية الشعراء عن التعبير عن مابينهم من وحدة في الالم ، وما تفعله هذه الوحده في نفوسهم من شد أواصر القربى وتقوية مابينهم من عناصر الوحده ، ويطول على الجارم في ذلك مصورا هذا الالم الشديد الذي يتجاوب في صدر الامه العربية اذا اصاب احد اطرافها مصاب فيقول [3] :

تذوب حشاشات العواصم حسرة اذا دميت من كف بغداد إصبع

ولو صدعت في سفح لبنان صخرة لدك ذرا الأهرام هذا التصدع

ولو بردى أنت لخطب مياهه لسالت بوادى النيل للنيل أدمع

١ـ الشوقيات جـ٢ ص٧٠
٢ـ الديوان جـ١ ص٢٦٨
٣ـ ديوان علي الجارم ـ الديوان جـ٤ ص٤١

فتصوير الألم بهذه الصورة هو تعبير وأقعى عما أصبحت تحس به الأمه العربية الواحده ، فالقلب ينفطر حسرة وأسى اذا أصاب أحداً طرفا من أطراف العراق بسوء مهما صغر هذا الطرف ومهما كانت قيمته .

ويعبر الجارم تعبيرا آخر عن امتزاج النفوس بعضها ببعض اذا أصاب ايا منها اى الم أو مصاب ، فموت الزهاوى شاعر العراق يعتبر فى نظر الشاعر مصاب الأمه العربيه كلها (١) :

سموت الى بغداد والشوق نحوها   يساورنى حينا وحينا أساوره
كلانا نأى عن أصله وعشيره   ليلقاه فيها أصله وعشائره

الى أن يقول :

تجاورنى فى دوحة النيل روحه   وروحى بروح الرافدين تجاوره
اذا اجتمع القلبان فالكون كله   مكان وان شقت وطالت معابره

أما عمر أبو ريشه فيعترف بهذه الالام التى قوت مابين الامه العربية من أسباب الوحدة وشدت من أواصر الاخاء فيقول اثر انجلاء الحرب العالمية الثانية وانتزاع سورية حريتها من الامم المستعمرة (٢) :

لمت الآلام منا شملنا   ونمت مابيننا من نسب
فاذا مصر اغانى جلق   واذا بغداد نجوى يثرب
بورك الخطب فكم لف على   سهمه أسنان شعب طيب

ويعود حافظ ابراهيم عام ١٩٢٩ فيزور دمشق وقد اشتدت الأواصر بين البلدين قوه وزاد الرقى مابينهما من روابط فيقول (٣) : "

إذا بكت جنبات النيل من ألم   بكت دمشق بدمع منه هتان
أواصر بيان العرب محكمة   النيل والشام فى الآلام صنوان

١ــ الديوان جـ٢ ص (١٠٤)
٢ــ ديوان ابو ريشه ص (١١٥)
٣ــ " مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ــ ص (٩) جـ٦ ، ص (٣٧١)

والشاعر عزيز فهمي ايضا من هؤلاء الشعراء الذين لم يصمتوا عن تصوير ماتفعله الآلام في نفوس الامه من التئام للشمل ورأب للصدع فيخاطب أهل العراق من قصيدة طويلة يقول فيها (١) :

أنا لتجمعنا بكم أقوى العرا … والاس أبقاهـا على الازمـان

ويزيدكم حبا الينا اننـا … في الجرح والآلام مشتركـان

ولم يصمت شعراء العراق عن تقوية أواصر الألم المشترك الذى كانوا يشعرون به اتجاه الآم الامه العربيه جميعها ، فمهدى الجواهري يقول (٢) :

ثقوا إنا توحدنـا همـوم … مشاركة ويجمعنا مصـاب

تشج كريمه في كـل طـرف … عراقـى طيوفكم العـذاب

٣

أما عنصر الأمل المشترك الذى يداعب مشاعر الشعراء ، ويزيد من عناصر كفاحهم ، ويوحد نضالهم في سبيل تحقيقه ، فقد ورد على السنتهم في معظم قصائدهم . والامل ينتج عن الالم الذى عانوه وقاسوا من شدته وقسوته ، فيزيدهم ايمانا بوحدة مصيرهم ووحدة اهدافهم ، وفي ذلك يقول محمد عبد الغنـى (٣) :

قد وحدت بيننا الآلام موجعـةً … وألفت بيننا الآمال والطلـب

فكان الألم في نظره هو الذى يولد الأمل ، فلكل داء دواء ، ويعبر عمر أبو ريشه تعبيرا آخر عن الأمل في النفوس نتيجة للآلام والرزايا التى تعصف بالأمه ، ولولا هذه الآلام لما كان هناك أمل أو وحدة في هذا الأمل ، (٤) :

والرزايا كـم قربت بين اشتـات … بداد وأمنيـات بـداد

١ـ الديوان ص (٢٩) .
٢ـ الديوان ص (١٨٨) .
٣ـ "من نبع الحياة" ص (٩١٥) .
٤ـ الديوان ص (١١٢) .

وقد حاول الشعراء أن يعبروا عن هذا الأمل ويحددوه ، وحاولوا أن يفسروا ما يختلج في نفوسهم من ابتسامات نتيجة لذلك العبوس الذي قاسوه فوجده بعضهم بالوحده حين قال جميل صليبا (١) :

وما العيد الا وحدة عربيـــة ترف بها أعلامها وبنودهـــا

مطالعها ... والبحر دونهـــا وطوروس من أقصى الشمال حدودها

وكان هذا الامل يبعث في نفوسهم وحدة الكفاح لطرد المستعمر ، وكان هذا الأمل يبعث في نفوسهم مواصلة النضال في القضاء على أي مؤامره تحيـــق بالأمه العربية ، بل وكان هذا الامل يدفعهم الى التفتيش عن أي ضعف في جسم الأمه العربية ليعالجوه ويقضوا عليه ، فقاوموا التجزئه العنصرية ، وقاوموا التعصب الديني والاقليمي ، وضاعفوا من كفاحهم ليصلوا الى مستقبل مشرق يعيد الـــى الأمه العربية مجدها الماضي مما سيأتي ذكره في الفصول الآتيه عند حديثنا عـن معركة الشعر القومي • وبذلك كان التجاوب في المشاعر دليلا حيا من أدلـــه الوعي القومي الذي اخذ يشق طريقه ليخرج أبناء البلاد العربية عن عزلتهـــا السياسية التي فرضها عليها المحتل ، فتشعر انها ليست وحدها في المعركـــة وأن عليها واجبات اتجاه شقيقاتها تتطلب اليقظة والتضحية والفـداء •

٤

يعتبر ازدياد التجاوب الشاعري بين ابناء الامة العربية ازديـــادا للوعي القومي ، فنحن نرى تجمعات الشعراء القوميين من أجزاء الوطن العربـــي كافة في كل مناسبة تدعو الى ابداء هذا الالم او التعبير عن مسراتهم تجاه اي حدث قومي ، ويتجلى هذا التجاوب في المشاعر عند الأحداث التي ألمت بالبـلاد العربية ، فموت مصطفى كامل ألهب المشاعر ، لأن موته في رأيهم خساره تصاب بها البلاد العربية ، وموت سعد يثير مشاعر الشعراء العرب فيعبرون عن آلمهم لهـذا

١ـ جميل صليبا ـ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب (ص ١٢٥)

الحادث ويكشفون عن مشاعرهم تجاهه • فيرثيه بشاره الخوري بشعره [1] وينظم فيه محمد شريقـي قصائده المتعدده [2] ويقول فيه خليل مطران قصيدته [2]

يا مصر خطبك خطب الشرق أجمعه   على اختلاف بنيه والاسى يجم

• وتثير ثوره مصر مشاعر العرب كلهم فيهب شعراء العرب يؤازرونها بشعرهم ، ويعبر شفيق جبري عن ذلك قائلا :

ماهاج فى ظل المقطم هائج   الا سرت أصداؤه فى الشام

وكذلك تثير ثورة سورية الشعراء العرب فى أقطارهم المختلفة فيعبرون عن أحاسيسهم اتجاهها ويولونها الكثير من مشاعرهم ، وفى ذكرى استقلالها لاينسون أن يشاركوها هذه الفرحة التى تعم أرجاءها ، ويعبر عن هذه الفرحة شعراء المهاجر السورية واللبنانية مثل الشاعر القروى والياس فرحات والدكتور جورج صوايا والياس قنصل ، وكذلك شعراء لبنان وفلسطين مثل مصطفى الغلاييني وعلى الحوماني وابراهيم طوقان وفتى الجبل وغيرهم من الشعراء العرب . وقد حفلت دواوين الشعراء باشعار قيلت فى التألم لما كان يحدث لعرب فلسطين من نكبات المستعمر واليهود •

ولم يقتصر هذا التجاوب فى المشاعر على قطر دون آخر بل كان يعم الشعراء جميعهم سواء كان تجاوبا سياسيا أم أدبيا أم فكريا ، وستأتى على ذكرى ذلك فى مواضعه فى الفصول التالية •

بهذا كله نجد أن آمال الامه العربيه وآلامها صهرت النفوس فى وحدة نفسيه عجز المستعمر عن القضاء عليها ، وكانت دافعا قويا نقل البلاد العربية الى مرحلة اخرى من مراحل الكفاح القومى المستمر •

١ــ ديوان الالهام ص (١٤٦)

٢ــ ديوان الثورة ص (٤٢ ــ ٤٣)

الباب الثانـي

١

الاشتقاق اللغــــوي للقوميـــــــــــة

يرجع الاشتقاق اللغوي لكلمة قومية كما أوردها ابن منظور (١)
القومية والقوام أو القامة استعملت بمعنى واحد حسب قول الأصمعي
فيقال لا قومية له ، أي لا قوام له . (١)

ويقال القوام حسن الطول ، فهو حسن القامة والقومية والقوام كمـــا
ورد في صحاح الجوهـــري . (١)

وبناء على ذلك فالقوام هو ما يوضح معالم المرء الخارجيه ومظاهـــره
المتعدده من طول وعرض ولون ، بل هو مجموع صفات الفرد وخصائصه الجسميه
والعقليه والاجتماعيه التي تميزه عن غيره من الناس .

فاذا استعملنا كلمة القوام للامه دلت هذه على مجموع صفات هذه
الامه المتعدده وخصائصها ومميزاتها على أساس جماعي فقد كان لها وجود
واحد مظاهره لغه وتاريخ وما يتضمنهما من عادات وتقاليد ومثل تميزهـــا
بطابع معين . وليست هذه الصفات وليده عصر معين أو جيل محدود ، انما
هي عميقه ممتده في جذور نشأتها الاولى .

ومع أن سكان شبه الجزيره العربيه انطلقوا بهجراتهم خارج الجزيره
وحول الانهار وفي الوديان وعلى السواحل ، وأبعدت بين بعضهم البعـــض
المسافات فلا تزال لهم قوميه خاصه يعرفون بها وتميزهم عن غيرهم من الشعوب
كوحده .

والقومي من دان بمذهب القوميه ونقيضه اللاقومي أو الاممـــــــــي
وتبدأ القوميه بشعور بسيط في الفرد وفي ارتباط الفرد بجماعته وأرضـــه
وعاداته وتقاليده ثم تصبح عقيده في نفوس أبناء الامه الواعيه يعملون علـــى
المحافظه على كيانهم القومي ان كان مستقلا وعلى تقدمه وازدهاره السياســـي

١ـ ... لسان العرب ـ " مادة قوم " ص (٤٠١) ج ٥ ١ـ ١٦ .

والاجتماعي والاقتصادي أو يناضلون في سبيل استقلاله ليحفظوا كيانه من أي اخطار خارجية وليأخذوا به الى مستوى الامم الناهضه ٠

والقوميه العربيه من النزعات الحديثه في تاريخ الامه العربيه يسعى ابناؤها لاستقلال بلادهم ووحدتها ليهيئوا لها من الحكم الاشتراكي الديمقراطي الصحيح مايكفل لهم حياة سليمه بعيده عن القلاقل والاضطرابات تتوفر فيها لكل فرد فرصته العادله لان يسعد هو ومن حوله ٠

أما علاقه الشعب بالامه ، فقد ورد في ماده شعب ،

" الشعب ابو القبائل الذي ينتسبون اليه ،اي يجمعهم ويضمهم ، وفي التنزيل " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " ٠

وقال ابو العباس ــ الشعوب الجماع ،والقبائل البطون ،بطون العرب والشعب ماتشعب من القبائل ٠ (١)

أما أمه : الجنس والجيل من كل حي أو القرن من الناس أو الهيئه عن اللحياني ٠ (٢)

وبما ان الاجيال التي اعقبت الجيل الاول هي امتداد له ،وهي نفس تسلسل الجنس الاول ،وتحمل نفس المقومات ومميزات السلف من الاجيال أو الاجناس أو قرون الناس ،فيمكن ان تطلق تعبير أمه لكل من سكن الجزيره وتفرع منها الى أجزاء اخرى خارج الجزيره ٠ وعلى ذلك فالأمة مرادفه للشعب لغويا ٠

وقد وردت في الاصطلاح الحديث بمعنى الامه ،وبمعنى جماع سكان بلد وبمعنى طبقه مخصوصه من الامه ٠ لكن المعنى الهام هو أن الشعب جزء من الامه له كيان سياسي مثل قولنا شعب مصر وشعب العراق وشعب السودان

١ــ لسان العرب ــ " ماده شعب " ج٢ ص(٣ ٨ ٤)

٢ــ " " ــ " ماده أمم " ص (٢٨٨)

وهم اجزاء من الامة العربيه • فالامة العربيه هى جماعة الشعوب العربيه ، وسكان سورية وتونس واليمن مثلا ليسوا امما بل شعوبا من امة واحدة هي الامة العربية ، ولهم قومية واحدة هى القومية العربيه •

الفرق بين الوطنية والقوميه :

المعنى اللغوى لكلمة وطن : الوطن المنزل الذى نقيم به ، وهو موطن الانسان ومحله والجمع أوطان •(٢)

وفي الاصطلاح الحديث ، الوطن هو البلد الذى ولد فيه المرء او البلد الذى ينسب المرء اليه من حيث جنسيته أو تابعيته • والبلد فى اللغه ليس القريه او المدينه التى ولد فيها ونشأ • بل هو القطر كله أو بتعبير المعجمات ، جنس المكان كمصر والشام والعراق ، بخلاف البلده الجزء المخصوص من البلد كالمدينه والقريه (٢)•

والوطن يكون واضح المعالم عند الدوله التى حققت وجودها القومى بان جمعت شمل الامه كلها ، فيفهم الجميع مالهم وما عليهم من حقوق وواجبات ازاء قضايا الوطن المشترك العام • ويضطرب مفهوم الوطن عند الامه التى تتعدد الدول المسيطره على شئونها • فيصبح فى مفهوم الشعب الوطن الذى تعترف به الدول والذى يتحدد بحدود الدوله التى تحكمه ، والوطن العام الذى يشمل جميع الاراضى التى تسكنها الشعوب الامه الواحده على اختلاف دولها واوضاعها السياسيه •

---

١ ـ لسان العرب " ماده وطن"

٢ ـ الامير مصطفى الشهابى ـ محاضرات عن القوميه العربيه تاريخها قوامها مراميها ص(٢) ـ معهد الدراسات العربيه العاليه

وبناء على ذلك يقول الاستاذ ساطع الحصري :

تكون الوطنيه موضع خلاف ومثار جدل بين المواطنين ، فينقسم الناس الى فريقين ازاء قضايا الوطن الاساسيه ، فريق الاقليمين وفريق القوميين ، فالاقليميون ينكرون وحده الامه ، ويكتفون بالوطن المعترف بـه دوليا ويقصرون انظارهم داخل حدود الدوله التي ينتسبون اليها ، وفريق القوميين الذين يعتقدون بوحده الامه على الرغم من تعدد الدول التي تسيطر عليها ويتجهون بقلوبهم الى الوطن المثالي الذي يجب ان يجمع مختلف شعوب الامه تحت رايه واحده ، ويتطلعون دائما الى الحدود القوميه التي تمتد الى ما وراءها .(١)

٢

شبه الجزيره العربيه المهد الاول للساميين :

هناك شبه اجماع الى ان "الطور الاخير الذي بلغ فيه الجليد غايه انتشاره ، وهو ما يسميه "ثيش" طور الورم الجليدي " قد اخذ ينحسر منذ نحو خمسة عشر الف سنه . أما الاعتبار النهائي الذي لم تتخلله الافترات جزئيه قصيره الاجل من البرد ، فهم يقدرون وقوعه غير جازمين منذ اقل من عشره آلاف سنه ، وحيث كانت طبقات من الجليد تغشى مساحات واسعه جدا من اوروبه وأواسط آسيا ، كانت الصحراء الكبرى وبلاد العرب فيما يظهر تجود هما الامطار في الشتاء ويكثر فيهما الكلأ ... ومن المفروض الوقتيه الوقتيه المفيده القول بظهور الانسان الحديث في اثناء هذا الطور من البرد ، وفي وسط هذه المراعي الواقعه بين ساحل الصحراء الكبرى على المحيط الاطلسي .

[illegible]

ويعلل كثير من علماء الجيولوجيا ذلك بأن شبه الجزيره العربيه كانت المخزن الأول لهجرات متواليه حدثت عندما اخذت الامطار تقل فيها ، فبدأ الانسان الأول في الرحيل والهجره الى أحواض الأنهار وحول النيل والفرات ، ثم اخذ يتقدم الى الصاحل والارد ن ، وبدأ في استقرار جديد عند ما شقت هذه الأنهار مجاريها • وكان من أمر هذا العدد الكبير من الهجرات وجود عدد كبير من القبائل الساميه في مصر وافريقيا ، ثم تلتها موجات اخرى من الاكديين الى مابين النهرين ، والعموريين الى سهول سوريا الشماليه ، والفنيقيين والكنعانيين الى الساحل السوري ، والاراميين الى اواسط سوريا والانباط في البطراء • وعدد كبير من القبائل الى شرق الأرد ن وجنوبي البحر الميت ، منهم المؤابيون والعمونيون الخ • كما ازدهرت عدة ممالك عربيه قويه كتدمر والحيره والبتراء والصفا شرقي حوران •

وقدم هذه الهجرات العربيه يؤيدها قدم كلمه عرب ، اذ عرفها الفراعنه واليونان قبل الميلاد ، ومنهم أخلس وهيرود تس وبونترسطي واسترابون وغيرهم ، وجاء ذكرهم في التوراه والتلمود [1] :

كما أن بعض المؤرخين أيد الرأى القائل أن لفظه عرب بالنسبه لمكان عربه ، والبعض الآخر نسبها الى يعرب بن قحطان ، كما أن عددا من ثقاة المؤرخين الاوربين يرى أن العرب والساميين شيء واحد •

وسواء أيدنا هذه الاراء ، أم عارضناها وناقشناها فهذا لن يغير من اقتناعنا ان الاسلام عندما نشر لواءه استجابت له البلاد العربيه جميعها

١ــ الامير مصطفى شهابي ــ محاضرات عن القوميه العربيه ــ تاريخها قوامها مراميها ص (٢٠) ــ معهد الدراسات العربيه العاليه •

وكأنها مهيأه له منذ زمن طويل ، وعندها استعداد طبيعي لتلبيه دعوته والفنير تحت رايته ، فتمكنت اللغه العربيه من النفوس وسادت الثقافة العربيه بعد أن عجز الفرس والرومان واليونان ان يوحدوهم كأمه ويجمعوهم في وحده ثقافيه أو لغوية ، كما أن القوميه العربيه لا تتخذ الجنس من أسس كيانها لان العربي من كانت لغته العربيه واقام ببلاد العرب أو ولد بها واتحدت آماله القومية مع آمال العرب.

أصاله الثقافه العربيـــــة

كان مهد العرب الاول الجزيرة العربيه حيث ظلوا في مأمن من أي طارق حتى قال عنهم ديودور الصقلي ..

ولما كان العرب القاطنون في هذه البلاد لاينالون في حرب ، فقد ظلوا احرارا ابدا ، لايستعبدهم مستعبد ، واكثر من ذلك أنهم لا يقبلون قط رجلا أجنبيا عنهم سيدا ، وهم لايزالون يحتفظون بحريه لاتشوبها شائبه ، فلم يقدر على استعبادهم اشوريوا الزمان القديم ، ولا ملوك ميديا ولا الفرس ولا ملوك مقدونيا ، ومع أن هذه الامم قد جردت عليهم جيوشا جراره فانها جميعا عجزت عن تحقيق غايتها [1]

وقد حببت إليهم هذه العزله وطبيعه الارض الشحيحه بالرزق صفة الشجاعه والنجده والبأس والقدره ، والموت في سبيل العزه . كما بغضت اليهم الجبن والضعف والاستكانه ، لذلك كان شعرهم سجلا لأعمالهم وتفكيرهم وبغضهم وحبهم ، يصور النفس العربيه في فترة من اجل فترات حياتها وهي تجتاز التاريخ . ورغم التشكيك في بعض الشعر الجاهلي ، فان الشعر الجاهلي في مجموعه مازال يفرض وجوده ويدل على خصائص أصيله لم يكن باستطاعه من أتوا بعد الاسلام ابتداعها كلها ابتداعا دون ان يكونوا قد اطلعوا على اصول لها في الحياه والشعر الجاهليين . بالاضافه الى ان النمو الطبيعي للقصيده العربية سواء أكان في اللغه ام في الاوزان ام في الموضوعات ام في الاساليب يتطلب ان تكون قد مرت

بأدوار كثيره قبل ان تكمل في شعر امرئ القيس او من أتى بعده أو من سبقه ، سواء من المقلدين أو الجاهليين ، وفي ذلك قال دوي فرجيه

ان أصول هذا الادب قد هربت منا لسوء الحظ ، فهو حيث يطالع علينا لاول مره ، يطلع علينا من قلب الصحراء ، تام الخلقه كما خرجت منيرفا مستويه من ذهن جوبيتر ... » (١)

وان نزول القرآن بهذه القوة وهذا النضج على الأمه العربيه ولسانها العربي لم يكن عبثا ، فقد نزل بلغه القوم ، وما اسرع ما فهمه ووعاه كل من سمعه فكان انتشاره سريعا والتأثر بمعانيه عاما وهذا يؤكد لنا أن اللغه العربية قد فرضت وجودها في شبه الجزيره كلها وخارجها ، كما يؤكد لنا وجود الاسواق الادبيه والتجاريه التي كانت تعقد في كل شهر من شهور السنه في مكان معين من الجزيره العربيه •

كان العربي من حمير أو مضر اذا جاء العراق لايحتاج في مخاطبة الكلداني أو البابلي أو الاشوري الى ترجمان ، وكذلك اذا يمم فينيقيه أو الحبشه ، فانه يفهم لسان أهلها كما يفهم الشامي لسان أهل مصر اليوم ، ويؤكد ذلك ماجاء في التوراه عن ابراهيم الخليل ، فانه نزح من بلاد الكلدان في نحو القرن العشرين قبل الميلاد فاجتاز سوريه وفينيقيه وبلاد العرب وخالط اهلها ، ولم يفتقر في مخاطبتهم الى مترجم • وكذلك بنو اسرائيل في تيههم حوالى القرن الخامس عشر قبل الميلاد فانهم قضوا أربعين سنه في اعالي جزيرة العرب لم يحتاجوا الى مترجم (٢) •

١ـ الدكتور احمد محمد الحوفي ـ الحياة العربيه من الشعر الجاهلي ـ ص (٥) ـ مطبعة نهضة مصر •

٢ـ جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الاسلامي جـ١ ص (١٠) ـ دار الهلال •

وقال الدكتور شورتز والاستاذ ابورنا ركيج في تاريخ هازموورث العالمي

وقبل أن تؤسس مكه بزمن طويل كان من عاده الحجاج ان يجتمعوا في بعض الاماكن في الاشهر الحرم يقيمون أسواقا يتبادلون منتجات قرائحهم ، وكان أشهرها عكاظ ، يجتمع فيها من قبائل العرب وشجعانهم وفصحائهم يتنافسون في الاشعار فينشد منها فخرا بعشائرهم ، وإشادة باعمال رجالهم ، أو اجتهادا في الفوز بالجائزة التي كانت تعطى لأحسنهم غزلا ونسيبا . وكان مشايخ القبائل يرأسهم من ينصبونه أمير الشعراء يحكمونه في تلك المسابقة التي كانت تقام في أشهر السلم والى أن يتشوف الى نتيجتها في جميع انحاء العالم .(١)

وكانت لهم أسواق أخرى مثل دومه الجندل بين الشام والمدينه قرب جبل طيء ، بينها وبين دمشق سبع مراحل ، وكانت منازل لكنانه من كلب كان ينزلها الناس أول يوم من شهر ربيع الاول فيقيمون أسواقهم بالبيع والشراء والاخذ والعطاء ، وكان يعشرهم اكيدر دومه ثم ينتقلون الى سوق هجر في شهر ربيع الاخر ، ثم يرتحلون نحو عمان فتقوم سوقهم بدبا ثم بصحار ، ثم يرتحلون فينزلون عدن ، ومن سوقها تشترى اللطائم وانواع الطيب ، ثم يذهبون الى الرابيه من حضرموت ، ومنهم من يجوزها ويرد صنعاء فتقوم أسواقهم بها (٢) :

لا يمكن أن يجتمع العرب في هذه الاسواق ولهجاتهم متباينه غير متقاربه ، فلابد أن يكون هناك تقارب كبير في الالفاظ يمكنهم من التحدث وتبادل الاراء ومبادئه السلح والتناوض عليها ، والاستماع الى الانتاج الادبي ، وكانوا لا يجدون مشقه في تفاهمهم سواء التقوا فرادى ام جماعات في نواديهم وأسواقهم ومواسمهم وحروبهم ، فقد كان اللسان العامل الاول الذي جمعهم وكون وجودهم وكان

١ــ الدكتور احمد محمد الحوفي ــ الحياة العربيه من الشعر الجاهلي ص (٢٦) ــ مطبعة نهضه مصر .

٢ــ نفس المصدر السابق ــ ص (٢٤) ، (٢٥)

اطارا لشخصيتهم وتأكيدا لوجودهم ، وفي ذلك يقول اديبنا الكبير الدكتور طه حسين :

الأمه العربيه من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها الى غربها كانت في العصر الجاهلي مختلفه أشد الاختلاف ، قوام حياتها الخصام والصد وان والغارات والنهب والسلب ، ولم يكن يجمعها في هذا العصر الجاهلي الا لغتها على اختلاف شديد في لهجات هذه اللغه ، والذي استطاع ان يؤلف شيئا ما بين هذه القبائل المتفرقه هو الشعر ، الذي لم يكد ينشأ حتى فرض لهجه بعينها على الأمه العربيه في جميع اقطارها من الجزيره العربيه ، فكان الشاعر العربي اذا انشأ قصيده وانشدها في ناد من الأنديه فهمها عنه الناس مهما تكن قبائلهم ومهما تكن لهجاتهم أو لغاتهم الخاصه . ولم يكتفوا بفهمها ، وانما كان الرواق يتناقلونها عن الشاعر ، وكانت القصيده لاتكاد تنشد حتى تشيع في الجزيره العربية ويحفظها كثير من الرواد في الاقطار المختلفه من أقطار الجزيرة فأول توحيد للعقل العربي جاء من هذه الناحية ، من هذا اللسان الذي أتاح للغه العربيه في العصر الجاهلي ان تكون لغه تستطيع القبائل على تباعدها واختلافاتها وخصوصاتها أن يفهم بعضها بعضا وأن يشعر بعضها بما يشعر به البعض الاخر . فالمكون الاول في المحاوله لايجاد وحدة لهذه القبائل ، انما هو الادب او الشعر بنوع خاص لانه هو الذي سبق الى الوجود ، ولم يوجد النثر الا بعده بعصور تطاولت قليلا . (١)

فالعرب اذن فرضوا وجودهم منذ أن وعوا لغتهم التي يتمثل فيها عقلهم وتفكيرهم وذوقهم وأحاسيسهم ، كما تحمل في مواكبها ثقافه الامه وعاداتها وموازينها ومثلها ، فاصاله اللغه العربية اصاله عميقه تمتد في جذور نشأة الامه وتنمو في جذوعها وأغصانها .

١ـ موتمر الادباء العرب ـ ص (٥٩) المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب .

التجمع العربى الاول

لم تكن الجزيره العربية فى يوم من الايام بمعزل عن التيارات الفكريـــه المتضاربه ، فالمسيحيه واليهوديه مضافا اليها دين الصابجـــه ومذهب عبـــاد الطبيعه ، والمجوس والدهريون كلها مذاهب دينيه كانت معروفه فى الجزيـــرة ، ولكن واحدا من هذه المذاهب الدينيه لم يتمكن من السيطاره وبسط النفوذ ، ولـم تكن الجزيره أيضا فى معزل عن محاولات الاجنبى فى اختراقها والسيطاره عليهـــا سواء كانوا من الرومان أو خلفاء الاسكندر أو من الاحباش الذين كان يوم خـــزارى اعنف يوم فى تاريخهم ومظهرا من مظاهر الاتجاه الشعورى فى أمه أهاجتهـــا الاحداث الى طلب وحدة كبرى لمقاومه شر أحاط بها •

ولم تكن الجزيره العربية مع ذلك بمعزل عن غيرها من البلاد العربيـــة الاخرى ، بل كانت طرقها التجاريه تربطها بهم باستمرار ، فمن عمان المركـــــز التجارى الهام الذى كانوا يحضرون اليه التجاره من الهند والحبشه فتنقل فـــى البحر الاحمر الى مصر والشام والعراق • ثم قضت صعوبه الابحار فى البحـــــر الاحمر الى ان تنقل التجاره برا من حضرموت الى مآرب فمكـه فالبتراء فغـــزه وكان العرب يستعينون بالفنيقيين زمنا طويلا لبيع سلعهم ، لان لغة هـــؤلاء وهؤلاء متقاربه ، فكان الفنيقيون يخزنون سلع العرب فى مدنهم الكبيره كمدينـــه صور ، ثم يبعثون بها الى الخارج لبيعها [1]

فى القرن السادس الميلادى آلت التجاره الى عرب الحجاز فتسلمـــت مكه مقاليد التجاره التى سيطر عليها العرب الجنوبيون قرونا عديده ، وكـــــان للدول المجاوره كبيزنطه وفارس ممثلون فى قلب مكه[2] •

١ــ جوستاف لوبون ـ حضارة العرب (ص ١١٩) طبعة ٢ ـ ترجمة عادل زعيتر •

٢ــ

وفى القرن السابع بعد الميلاد انطلقت آخر موجه من موجات هـذه القبائل العربيه تحمل فى انطلاقها نداء الوحده الاجتماعيه والسياسية والثقافيه لتصبح العربيه اللغة الرسميه لهذه البلاد وكأنه الوضع الطبيعى الذى كانت البلاد العربيه متهيئه لاستقباله ولابد أن تنتهى اليه •

والفرق بين هذه الموجه وغيرها من الموجات العربيه أنها لم تفقد الصله مع موطنها الاصلى بل ظلت وثيقه الاتصال به بفضل العقيده الدينيه التى ربطت الاقطار العربيه بها ، وكان اولى نداءات تنظيم المجتمع محاربة العصبية القبلية فلا قتال الا من اجل العقيده ، ولا تفاخر بالاباء والاجداد ، ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى "ليس منا من دعا الى عصبيه ، وليس منا من قاتل على عصبيه وليس منا من مات على عصبيه ••".

وبعد الفتح بقليل كتب احد بطارقه الكنيسه الشرقيه يقول :

"إن العرب الذين منحهم الله السيطره على العالم هم الان كما تعلمون بين ظهرانينا ، غير انهم ليسوا اعداء المسيحيه ، بل هم على العكس يمتدحون ديننا ويكرمون كهنة الرب وقديسيه ، ويقدمون المنافع للكنائس والأديار ••••

أما اللغه فلم تعد ميدانا للتفاخر بالعصبيه ، وانما صارت ميدانا للعمل على مسانده العقيده ، وكان لها من غناها ومرونتها ماجعلها قادره على النمو والتكيف ، وفاقت بقدرتها على الاستيعاب والابداع اللغات الشائعة فى ذلك العصر حتى اصبحت فى العصور الوسطى واسطه التخاطب واداه التعبير الفكرى من آسيا الوسطى الى اسبانيا ، وظلت العصبيه الجاهليه مكبوته فى عهد الشيخين لانصراف العرب الى الجهاد ولحزمهما وعدلهما ، فلما ولى الامر عثمان كافح الناس بعصبيته الاموية لاقوميته العربيه ، فانتهت بمقتله وتفرق العرب شيعه واحزابا ، وبانتصار معاويه انتصرت النزعات والتقاليد العربية وكان للعصبيه القبليه المكان الاول ، مما ادى الى تقويض حكمهم على

لا ينكر ما أدته الدوله الامويه من خدمات الى العربيه ، اذ عربـــــوا الدواوين ، وحافظوا على العادات التي نشأوا عليها في بداوتهم بعد أن هذبها الاسلام ، فالشجاعة والحريه والنجده ، والعزه صفات اصيله فيهم • وقد جعلـــوا من الاسلام دولة عربيه بعد ان كان دينا • وامتد ت فتوحاتهم الى الهند والصين شرقا ، وجبال البرانس غربا ، وتكونت مراكز للادب والثقافة في مكه والمدينة والبصره والكوفه ودمشق والفسطاط والقيروان يتنقل فيها طلاب الفقه واللغه والشعر والأدب من كل اقطار البلاد العربية •

وظهر الصراع شديدا عنيفا بين الفرس والعرب في عهد الخلافه العربية الاولى ففتك المنصور بابي مسلم والرشيد بالبرامكه حتى بلغ الامر اشده في عهـــد المأمون والامين •

ولما عجز الفرس عن تحقيق مايبتغون من سلطان في الحكم عمدوا الـــى نشر المذاهب المختلفه لضرب العرب في سلطانهم ، فظهرت حركة الشعوبيـــه لتصغيـــر أمر العرب ، وحركه الزندقـه لبث البدع في الدين حتى يهـن أمـره ذلك الذي كان سببا في نشر سلطانهم ، كما انتشرت مذاهب الخلاعه والمجـــون كل هذا والدوله ماضيه في تحقيق المساواة واطلاق حريه البحث واحياء العلـــوم والفنون ، ونقل معظم علوم الفرس واليونان والهنود الى العربية •

وبدأ العنصر التركي يتوافد على البلاد زمن المعتصم ويتمتع بالمســاواة التامه مع السكان الاصليين ، واخذ نفوذهم يشتد ويقوى حتى أصبح لهم يد فـي انتخاب أي خليفه أو إسقاطه ، ولولا قدسية الخلافة في نظر الجمهور لتداعـــت الخلافه العباسية منذ العصر الثاني منها ، ولما استنجد المكتفـي بالبويهيــــن عبثوا بالسلطه وتلقبوا بالقاب شاهنشاه وقتلوا الخلفاء بصوره مزريه لأنه لم يكن لديهم الرادع الديني الحقيقي ، واضطر القائم ان يستنجد بالسلاجقه ليستبـــدل بهـــم حكم البويهييـــن •

وفى هذه الفترة شمل البلاد العربيه اضطرابات سياسيه واقتصاديـــة فاستقلت اجزاء كثيره • نشأت فى مصر دوله الطولونيــن والاخشيدين ثم الفاطمين وكانت كل اسره منها تحاول ان تعيد الاجزاء التى استقلت وتوحدها ، فكانـــت الشام والحاله هذه قطب الرحى ، فقد توزعت تحت سلطه الامراء المحليين وأخـذ كل منهم يعمل على توسيع نفوذه وبسط سلطانه الى ماوراء حدود امارته وعلـــى حساب الطامعين الضعفاء من أمثاله من الامراء المحلييـــن ، وتحولت هذه المنطقة الى امارات تركزت حول الموصل وانطاكيـه والرهـا وحلب ودمشق والقدس وغيرهـا من الامارات التى لم تكن لها حدود ثابته دائمه والتى لم يجمع بينها ولاء واحـد للخلافه العباسيه أو للدوله التى كانت تحكم مصر • فكانت كل منها تتجه بالطاعـه والخضوع نحو الجانب الذى ارتبطت به مصلحة الامير المسيطر وان كان هـــذا الارتباط موقتا فى كثير من الاوقات(١).

واستطاع شيركوه ان يقضى على الخلافه الفاطميه ويخطب للخليفه العباسى وان يسعى صلاح الدين من بعده لفتح فلسطين وتوحيد الشام كله ليقف أمـــام الغزو الصليبى الاجنبى الذى بدأت حملاته على الشام • ولما زال الخطـــر الصليبى تجزأت البلاد ثانيه الى ان استطاع المماليك أن يستولوا على مصـــر ويعيدوا فتح الشام لصد غارات التتار الذيـــن استولوا على بغداد ، وينصبـــوا احد امراء العباسييـــن خليفه وبهذا أصبحت القاهرة مقر الخلافة • واستمـــر الحال كذلك الى ان انتقلت معظم البلاد العربية الى يد سلاطين آل عثمـــان وأصبحت مصر وسوريه من ولايات العثمانيين فى القرن السادس عشر •

العثمـــانيـــون

فى الوقت الذى اصبحت فيه الدول العربيه من ولايات العثمانييـــن

١ـ شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى المعروف بابى شامه ـ نشر وتحقيق الدكتور محمد حلمى محمد احمد "كتاب الروضتين فـــى

كانت الدوله العثمانيه تسير نحو الانحطاط من الوجوه الماديه والمعنويه ، فالجيش الانكشاري اصبح آله فساد وفوضى ، ونظام الألويه والأيالات كان يؤدى الى نتائج سيئه يفسح المجال للاطماع الشخصيه ، والى ابتزاز الاموال والرشوه والمؤامرات ، ونظام المركزيه كان يؤدى الى تعطيل الاعمال ، فأهملت المواصلات ، وتقهقرت الزراعه ، وتدهورت الحاله الاقتصاديه ، وانعدم الامن والنظام ، واندثرت الصناعات ولم يبق الا الحرف البدائيه ، ورافق هذا تجمد عقلى ، فلم يبق من أشهر مراكز العلم الا الجامع الازهر الذى كان له فضل المحافظة على اللغة ، واصبح مركز العلم الرئيسى فى العالم الاسلامى .

وأمام هذا التفكك والانهيار الذى أصاب السلطنه العثمانيه أصبحت البلاد العربية موضع منافسه الدول الغربيه ومجال مساوماتها وخداعها ، كل منها تنتظر الفرصه السانحه لاقتطاع جزء منها .

وقامت المنافسه بين انجلترا وفرنسا أولا ، حين قام نابليون بأعماله الاولى فى غزو الاقطار العربيه فى اواخر القرن الثامن عشر . ولكن انجلترا ساعدت الدوله العثمانيه فى معركة ابى قير البحريه نهزمت الجيوش الفرنسيه ، ثم احتلت انجلترا عدن عام ١٨٣٩ لتجعلها مستودعا للفحم ومرفأ للسفن ، ثم عقدت اتفاقيه مع سلطان مسقط ، وحين منح خديوى مصر امتياز احفر قناة السويس للفرنسيين سارعت الحكومة الانجليزيه فاشترت معظم اسهم الشركة المصرية فى القناه ، ثم دخلت فى معاهدات مع سلاطين وشيوخ حضرموت وعمان وقطر والكويت لتأمين سفنها الى الشرق الاقصى .

ثم توالت القفزات الاستعماريه فاحتلت فرنسا عام ١٨٨١ تونس وقد اخذت المساومة بينها وبين انجلترا شكلها العملى . اذ لم تتوان انجلترا عن احتلال مصر عام ١٨٨٢ فسيطرت على الجزيره لاسيما خليج البصره والعقبه وبسطت حمايتها على الكويت بينما استقلت فرانسا بمراكش وركزت أطماعها فى سوريا .

وهكذا بدأت الشام ومصر تشكل كل منهما اطارا سياسيا تختلف أوضاعه بعضها عن بعض فبينما اصبح الصراع في مصر ضد الانكليز المحتلين وكان الدين عامل تعبئه للشعور القومي لمقاومه المستعمرين ، اصبحت الشام تصارع السلطنه العثمانيه ولم يستطع الدين ان يقف حائلا بين الشام وبين مطالبها في الاستقلال عن السلطنه العثمانية ، ثم في الثوره عليها لانقاذ قوميتها .

تباشير البعث الجديــد

الاصلاح الديني ودوره في بعث القوميه في القرن الماضي

أعتنق الدين الاسلامي كثير من الامم التي لم يكن لها حظ من ثقافه أو علم أو حضاره كالاتراك والبويهيه والمماليك ، الخ . كما دخل بلادا كان لها معتقداتها الخاصه وطقوسها الوثنيه كبلاد فارس ، واحتك بامم حاولت جهدها أن تحاربه ببث الوان من البدع لتشويهه والاساءه اليه ليهين امر العرب ويضعف كغلاة الشيعه من الحشاشين والقرامطه وغيرهم ، كما توفر للدول العربيه حكام أعاجم لم يكن لديهم حظ من لغه أو إدراك ديني ، فأسلموا امرهم الى علماء اتخذوا الدين حرفه يرتزقون منه ، فأصبح لاعمل لهم الا التقرب الى الحكام بألوان التزلف ومحاربه كل من تسول له نفسه منافستهم في أرزاقهم ، وبلغ الامر أشده في اواخر الدول العثمانيه حين كان الحكام يستشيرون العلماء في كثير من الامور لتبرير أعمالهم وتصرفاتهم بفتاوى شرعيه يحصلون عليها من علماء ليرتكبوا مايريدون من قتل وتشريد وتعذيب .

وكتب حاجي خليفه في مؤلفه كشف الظنون ، اركان الدوله في العصر العثماني أربعه ــ منها العلماء ، وكان رجال الدين الاسلامي متنوعين منهم القضاه المفتون ، الأئمه ، الخطباء ، السادة ، الاشراف ، المشايخ ، المدرسون طلبه العلوم ، الدراويش ، المريدون (1)

١ــ ساطع الحصري ــ البلاد العربية والدوله العثمانيه ص (٤١) معهد الدراسات

وكان عدد هؤلاء العلماء يزيد ومستواهم العلمي ينحط فيؤثر انحطاط مستواهم على عقول الشعب والسلاطين

وكان صرخة محمد بن عبد الوهاب الخطوة الاولى في حركة الاصلاح الديني الذي تلتها في صوت جمال الدين الافغاني ، فكانت دعوته نبذ البدع والخرافات والدعوة الى يقظة دينية وهي امتداد لدعوة ابن تيمية في القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري . وقد قوبلت دعوته بالهجوم الشديد من الخلافة العثمانية ومن اشراف مكة ومن زعماء نجد المحليين ومن المسلمين أنفسهم للمغالاة الشديدة في التعصب لهذه الدعوة ، وتمسك الوهابيين في النصوص القرآنية واخذهم بظواهرها وحرفيتها .

ذ

جمال الدين الافغاني

واكسب الدين حركات التحرر ضد السلطات الاجنبية في البلاد العربية وكان جمال الدين الافغاني اول مسلم أيقن بخطر السيطرة الغربية المنتشرة ، وأدرك شؤم المستقبل وما سينزل بساحة الاسلام والمسلمين من النائبة الكبرى اذا لبث الشرق الاسلامي على مثل حاله التي كان عليها .

بدأت طلائع النهضة الاولى تتخذ عنصر الدين اداة لمقاومة الخارجي ودعوة للكفاح ضده ، فقال جمال الدين .

"ان العالم النصراني على اختلاف اممه وشعوبه عرقا وجنسا هو عدو مقاوم مناهض للشرق على العموم وللاسلام على الخصوص فجميع الدول النصرانية متحدة معا على دول الممالك الاسلامية ما استطاعت الى ذلك سبيلا . والروح الصليبية لم تبرح كامنة في صدور النصارى كمون النار في الرماد ، وروح البغض لم تنفك حية معتلجة في قلوبهم حتى اليوم"(١) فالدعوة الى التكتل الديني

---

(١) محمود ابو رية ـ جمال الدين الافغاني ـ تاريخه ورسالته ومبادئه (٢١٠) مؤسسة نصار للتوزيع والنشر .

فرضتها أوضاع معينه لمقاومه عدو معين اخذ يقتطع أجزاء متعدده من أوطانهم ،
فكانت بذلك خطوه ثابته من خطوات الوعي الذي بدأ يأخذ مجراه في نفسيه الأمه
وتفكيرها . ومع أن جمال الدين يقدر الرابطه الجنسيه واللغويه الا انه يحاول
أن يستعلي عليهما بالرابطه الدينيه نتيجه لاحتلال الانكليز الهند وافغانستان
واستيلاء روسيا على عبر القوقاس واستيلاء الفرنسيين على الجزائر ...... الخ
فقال :

" ان المسلمين رابطتهم المليه أقوى من الروابط الجنسيه واللغويه
كما يقول :(١)

ان المتدين بالدين الاسلامي ، متى رسخ فيه اعتقاده ، يلهو عن جنسه
وشعبه ، ويلتفت عن الرابطه الخاصه الى الرابطه العامه وهي علاقة المعتقد ومع
ذلك يعود فيقول (٢):

ان الروابط التي تربط جماعات كبيره من الناس اثنتان : وحدة اللغة ،
ووحدة الدين .

وحدة اللغة هي الاساس الذي تقوم عليه الجنسيه
واللغة اشد ثباتا وأكبر دواما من الدين
لأننا نعرف أمما غيرت دينها خلال الف عام مرتين بل ثلاث مرات دون أن
يطرأ تغيير على وحدتها اللغوية والقوميه ، فنستطيع أن نقول لذلك " ان تأثير رابطة
اللغه - في هذه الدنيا - أقوى من تأثير رابطة الدين ... (٣)

١-

١- محمود ابو ريه - جمال الدين الافغاني ص(٣٩). مؤسسه نصار للتوزيع والنشر
٢- " " " - " " . ص(٤٩). " " " "
٣- ساطع الحصري - ما هي القوميه ص(٢٠٦) دار العلم للملايين . بيروت

ويعلل الاستاذ ساطع الحصري هذا التغيير الذي طرأ على رأى الافغاني انه انما يرجع الى التطور الذي حصل بمرور الزمان في قضية القومية (١)

وينقل الاستاذ ساطع الحصري عن خاطرات لجمال الدين الافغاني الحسيني " كم رأينا من دول اغتصب ملكها الغير فحافظت على لسانها محكومة وترقبت الفرص، ونهضت بعد دهر، فردت ملكها وجمعت من يذاق بلسانها اليها، والعامل في ذلك انما هو اللسان قبل كل ماسواه ولو فقدوا لسانهم لفقدوا تاريخهم، ونسوا مجدهم وظلوا في الاستعباد ماشاء الله ".

ـ ٢ ـ

الثورات السياسية

من أقدم مظاهر الشعور القومي الذي ظهر خلال القرن التاسع عشر مابدا من سياسة ابراهيم باشا، فقد كان يرمي الى فصل بعض الاقطار العربية التي كانت خاضعة الى السلطنة العثمانية وتأسيس مملكة عربية، ومع أن بعض الكتاب يعزون ذلك الى مطامعه الشخصية إلا أن قوله المشهور "ما أنا بتركي بل أنا ابن مصر ـ ان شمسها قد غيرت دمي فجعلتني عربيا قحا"(٢).

هذا القول يعتبر فتح جديد في تاريخ الوعي القومي في مصر، ثم كانت ثورة عرابي رد فعل قوي للاحاسيس التي كانت تضطرم في نفوس الشعب ضد أي أجنبي محتل، وفي ذلك يقول عباس العقاد (٤).

دبت في نفوس المصريين أريحية الشعور الوطني، وثقة العارف بحقه، المنكر لما هو فيه من بخس واهمال، اما في الشام فمع ماكان من خلاف بين

---

١ ـ ساطع الحصري ـ ما هي القومية ص(٢٤).

٢ ـ " " ـ " " ص(٢١٧) ـ دار العلم للملايين .

٣ ـ انيس المقدسي ـ الاتجاهات الادبية في العالم العربي ج١ ص١١ طبعة٢

٤ ـ العقاد ـ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ١٩٢٨ .

الدروز والمسلمين الا انهم كانوا يتحدون سياسيا عندما يهاجمون سياسه الوالـــي التركي ، وقد ظهرت تباشير البعث الجديد وأخذ الناس يتنفسون جوا من الحريـــة التي لم يعهدوها من قبل زمن تولي مدحت باشا الملقب بأبي الاحرار ولاية الشام .

فأسس الشيخ طاهر الجزائري الجمعيه الخيريه وغرضها المطالبه بفتـــح مدارس لتدريس العلوم العربية وآدابها ، كما كان قد اسس الشيخ ناصيف اليازجـــي وبطارس البستاني الجمعية العلميه السوريه قبل ذلك وغايتها احياء التراث العربي وفيها مسلمون من سنيـــه وشيعه ودروز ، وتأسست جميعة حفظ حقوق الملة العربية للمحافظة على حقوق العرب جميعا وتساويهم بالاتراك . وكانت هذه الجمعيـــات تتسع وتنتشر في بيروت والشام والعراق والقسطنطينيه وكلها تهدف الى بعث الوعي العربي من رقاده بتلقين شباب العرب الوسائل المؤديه الى هذا البعث ، وهكذا سرت في النفوس موجه من الأحاسيس اخذت تفتـــش عن ضعفها وتتحسس آلامهـــا ظهورها وتحس بوطن دائها ولقد تعثرت القومية العربية في بـــدء عندما كان هدفهـــا مجرد الاصلاح في الحكم التركي فتلاقت في ذلك مع بعض الاحزاب التركية المناديـــة بالاصلاح كحزب الاتحاديين . ولكنها بمجرد تنكر حزب الاتحاد لمبادئ المساواة بين الترك والعرب في حكم آل عثمان اخذت القومية العربية في الانفصال والتبلور والصفاء وذلك في مستهل هذا القرن اي بعد سنة ١٩٠٨ عقب اعلان الدستـــور العثماني في عهد عبد الحميد . وهكذا اخذ الوعي يشق طريقه الى قلب البلاد العربية دون ان يتمكن من وقفه والقضاء عليه مجازر رهيبه ، أو مدافع وجيوش ، او مؤامرات ودسائس ، لقد بدأ النور يطل على أرض المشرق مرة ثانية لنجده في مطالع القرن العشرين براكين ثائره على الظلم والطغيان تطالب بالتحرر وتنادي بالاستقلال وتتوق الى حياة حره كريمه .

فماذا كان دور الادب والشعر بنوع خاص في قيادة معارك الوعي القومي والبعث الجديد ؟؟

الباب الثالث

الشعر القومي ودوره في قيادة القوميـــة
قبل الحرب العالميه الأولى

======

أ

لم تتعارض النزعه الدينيه مع الظروف السياسية التي كانت تحياها مصـــر في ظل الحكم الانكليزي ، بل على العكس نجد أن للعاطفة الدينيه أثرها القـــوي في تعبئة المشاعر وشحذ النفوس للنضال ضد الفئه المحتله لارضه ولخيراتـــــه ، فالانكليز هم الذين يهاجمون اللغه العربيه ويرجعون سبب تأخر المصريين الـــى تمسكهم بلغه القرآن ، والانكليز يمثلهم كرومر هم الذين يقولون إن مركز مصر الجغرافي والتاريخي يقتضي حرمانها من قيام حكومه وطنيه مستقله (١)، وكتاب الغرب هـــم الذين يقترحون نبش قبر الرسول ونقل عظامه الى متحف اللوفر للقضاء على المسلمين(٢)

وقيصر روسيا المسيحي هو الذي ينادي بتحرير نصارى تركيا ، ويقول " اقذفوا بالمسلمين الى البحر".

وشارل العاشر المسيحي هو الذي يقف ليقول عند احتلال الجـــزائـر سنه ١٨٣٠ أمام مجلس الشيوخ "ان التعويض الضخم الذي ستحصل عليه حكومتي سيؤول بحول الله وقوته لاخواننا في الدين المسيحي" (٢). فاضطر السلطـــان الى تقويه فكره الجامعه الاسلاميه ونشر شعاره " يامسلمي العالم اتحدوا " ...

لهذا كانت القوميه في مصر تعني رابطه الدين بينما اختلف الوضـــع في الشام ، فقد كانت المظالم التي تصيبهم من الدولة العثمانية نفسها ، وكانـــت النقمـه موجهه اليها ، وقد اقتضى ذلك طرح العامل الديني جانبا والاعتمـــاد على العنصر القومي وحده في معاركهم من أجل الدفاع عن كيانهم ، زمن الحـرب العالميه الاولى .

١ــ محمد حسين ــ الاتجاهات الوطنيه جـ١ صـ٩١ .
٢ــ محمد رشيد رضا ــ تاريخ الامام جـ١ ــ طبعه اولى ١٣٥٠، ١٩٣١م مطبعه المنار .

فظهرت النزعه القومية صافيه في الشعر القومي وبين عدد كبير من العرب المسيحيين الذين لم تكن تربطهم بالاتراك العاطفة الدينيه ، فكانوا هم والمهجريون من العرب اسبق الشعراء الى التعبير عن احاسيسهم القوميه العربيه وحمل لواء الشعر القومي مع بقية الشعراء العرب •

٢

كل مصيبه نزلت بالوطن العربي كانت تجد صداها في العالم الجديد في نفوس أبنائه العروبه المهاجرين ، فينبرى لها خطباؤها وشعراؤها مؤيدين أو معارضين • وعند تقسيم البلاد العربيه كان هم المهاجرين المطالبه بالاستقلال الكلي للبلاد ، وزوال الانتداب ضامين أصواتهم الى أصوات إخوانهم في الوطن • ينكرون التفرقه الدينيه وينادون بالعروبه دينا ، يحاربون الدعوات الانفصاليــــة ويدعون الى الوحده العربيه التي تضم البلاد العربيه جميعها •

كان لوجودهم وسط امم غريبــــه عنهم شأنها الكبير في توجيههم نحو الماضي وتمسكهم بمجدهم العربي القديم وفخرهم بالانتساب الى امتهم العربيــــة ودعوتهم الى سيادتها مره ثانيه سيده نفسها ، يريدون بذلك اثبات كيانهم وابراز شخصيتهم بطابعها العربي الاصيل امام الاجنبي ، تلك الشخصيه التي لم تبـــرز من العدم بل كان لها اصاله وحضارة وتاريخ •

قال رشيد سليم الخوري (١) : "أم الشاعر الاسباني العظيم فرنسيسكو فيلاســـبا مدينه سان باولو وحاضر في أشهر مجامعها وأنديتها العلميه والادبية محاضرات رنانه خلب فيها الالباب بساحر بيانه • وقد نوه فيها بذكر أمجاد أجدادنا العرب في الاندلس مباهيا بانتسابه الى أمتنا العربيه الكريمه باذره اصول العلـــم والحضارة في اوروبا مما بيض وجوهنا امام الغربيـــن ، وحمل الرابطه الوطنية السورية

---

(١) ...

على احياء حفلة تكريميه له أنشده فيها .... (١) "

فر كثير من اخواننا المهاجرين الى مصر اثناء رحيلهم الى العالـــم الجديد فـــي هجرتهم الاولى والثانيه ، زمن محمد علي وزمن الانتداب الانجليزي وقد وجد كل من السوري واللبناني في مصر وطنا ثانيا له أطال عليه من خـــلال لغته وثقافته العربيه وتاريخه الاصيل ، ونسمع ايليا أبو ماضي يشير الى اقامتــه هذه فيقول : (٢)

ليس الوقوف على الاطلال من خلقي ولا البكاء على مافات من شيمي
لكن مصرا وما نفسي بناسيـــه مليكة الشرق ذات النيل والهرم
صرفت شطر الصبا فيها فما خشيت نفسي العثار ولا نفسي من الوصم
في فتيه كالنجوم الزهر أوجههـــم مافيهم غير مطبوع على الكـــرم

ومن بقي في مصر من أبناء لبنان وسوريا عملوا في الثقافة والصحافـــة فأسسوا دور الصحف الكبيره ، وكتبوا المؤلفات ونشروا المقالات ، مع ماكان بينهم وبين شعب مصر من الاختلاف السياسي لكن هذا لم يقف دون شعورهم بالرابطة القومية التي كانت تربطهم معا حيث وجدوا في اللغه والثقافة وما تضم في دفتيها مـــن تاريخ قديم وحديث أشد أواصر القربـــى .

واذا تصفحنا ديوان خليل مطران نستجده يمثل شعور أي شاعر ولـــد في مصر وعاش فيها ، فقد تغنى مطران فرحهـــا وتألم لألمها وانفعل بطبيعتهـــا نهرها وشجرها وثمرها ، وشارك مشاعر أبنائها في كل مناسبه ، وبذلك نجده خيـــر من يعبر عن القوميه في واقعها الاصيل مما جعلني اعتبره من شعراء العربيـــة في مصـــر .

١ــ الأعاصير ــ صفحة ١٧ مطبعة مجلة الشرق .

٢ــ "زهير ميرزا ــ ايليا ابو ماضي شاعر المهجر الاكبر ص ـــ اليقظة ــ دمشق .

٣

لم يخل الشعر في عصر قبل الحرب العالمية الاولى من الثناءات التي ماضي العرب وتاريخهم والفخر بهم ، بل لم يخل من التفاخر بالعادات العربية والخلق العربي تفاخر المعتز بذلك المباهي به غيره من الناس، فمع أن البارودي يرجع بنسبه الى أبوين من الجراكسة ويتصل نسب أجداده بحكام مصر من المماليك وكما أن المواضيع الشعرية التي طرقها تتصل بأحداث عصره والتغني بنفسه والفخر بها على طريقة القدماء في الفخر ، الا أنه يلتفت الى قومه في قصيدته التي مطلعها (١)

لكل دمع جرى من مقلة سبب　　　وكيف يملك دمع العين مكتئب

يقول وقد عرف بل وآمن أن من يخالطهم من سكان مصر عرب فيقول :

فيا سراة الحمى مابال نصرتكم　　　ضاقت على وأنتم سادة نجب

أضعتموني وكانت لي بكم ثقة　　　حتى خفرتم ذمام العهد ياعرب

ويصف في موضع آخر الشيم العربية الاصيلة كاللين والشدة في ديوانه (٢)

وانا أناس ليس فينا معابة　　　سوى أن وادينا بحكم الهوى نجد

نلين وان كنا أشداء للهوى　　　ونغضب في شروى نقير فنشتد

بحسبك منا شيمة عربية　　　هي الخمر مالم يأت من دونها حرد

١ـ ١ ديوان البارودي ج١ ـ صفحة ٤٩ ـ القاهرة

٢ـ " " " ـ " ١٢٤ "

فالشاعر متمكن من العادات والاخلاق العربيه ، وهو يعترف أن قومها من سادة العرب أولئك الذين يحافظون على اعراضهم ولا يدعون انسانا يعبث بها أو يشبب بإسمها » .

وهكذا نجد الالتفاتات من محمود سامي البارودي بالاضافة الى ما اداه من خدمات للغه العربيه تماما كما يفعل أبناؤها العرب الاقحاح ، فالعربي من نطق العربيه وأراد أن يكون عربيا .

واذا استعرضنا بقيه شعر الشعراء في مصر قبل الحرب العالميه الاولى لوجدنا أن نصيب اللغه العربيه من شعرهم كبير جدا ، فهم يدافعون عنها ضد أي دعوه لسيادة اللهجات المحليه وهم يتغنون ببيانها وبما يضم لواؤها من نسب للعرب ، كما انها تجمع آلامهم وآمالهم ولهذا فهم يولونها العناية الكبرى لما يكنون لها من حب وولاء واعجاب ، وكان نزول الدين بها من مفاخر هذا الاعزاز والاكبار .

فشوقي يقول مرحبا بالهلال من قصيدة مطلعها (١)

العام أقبل قم نحي هـلالا ... كالتاج في هام الوجود جلالا

***

هذا هلالكم تكفل بالهدى ... هل تعلمون مع الهلال ضلالا

سرت الحضاره حقبة في ضوئه ... ومشى الزمان بنوره مختالا

وبنى له العرب الاجاود دولة ... كالشمس عرشا والنجوم رجالا

رفعوا له فوق السماك دعائما ... من علمهم ومن البيان طوالا!

الله جل جلاله بلسانهم ... خلق البيان وعلم الامثالا

ويقول في موضع آخر (٢) ، يخاطب الريحاني ويحثه على الاهتمام باللغه وينتقده لاهماله امرها رغم أن معانيه جيده

١ـ الشوقيات ـ جـ ١ ، ص ٢٢٤

٢ـ " ـ جـ ١ ، ص ١٣٥

حق العشيرة فى نبوغك أول فانظر لذلك بالعشيرة بادى
لم يكفهم شطر النبوغ فزدهم إن كنت بالمجازين غير جواد
أو دع لسانك واللغات فربما غنى الاصيل بمنطق الاجداد
إن الذى ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره بالضاد

أما حافظ فكانت التفاتاته أقوى وأكثر وضوحا فى التعبير عن أواصر القربى التى تربط العرب كالمجد والحسب الرفيع والمعالى كلها وتتجمع فى اللغة التي هى لسان الآباء • ففى قصيدته التى ألقاها فى حفله تكريم له بفندق شبرد [١]:

لمصر أم لربوع الشام تنتسب هنا العلا وهناك المجد والحسب

•••••••

خدران للضاد لم تهتك ستورهما ولا تحول عن مغناهما الادب
أم اللغات غداه الفخر أمهما وان سألت عن الآباء فالعرب
أيرغبان عن الحسنى وبينهما فى رائعات المعالى ذلك النسب

ولا يصمت حافظ ابراهيم بعد ذلك الا ان يذكر تفاعل القطرين وتعاطفهما وودهما اذا أخلص كل منهما هذا الود •

اذا ألمت بوادى النيل نازله باتت لها راسيات الشام تضطرب
وإن دعا فى ذرا الاهرام ذو ألم أجابه فى ذرا لبنان منتحب
لو أخلص النيل والاردن ودهما تسامحت منهما الامواه والعشب
فسال هذا سخاء دونه ديم وسال هذا امضاء دونه القضب

ولم يتوان حافظ ابراهيم أن يثور على اولئك الابناء الذين يرمون اللغة العربية بالعقم ويهجرونها الى لغات أخرى لم يكن لها أصاله العربيه وغناها ، وذلك فى قصيدة طويله عام ١٩٠٢ [٢]:

١ــ ديوان حافظ ابراهيم جـ ٢ ، ٢٦٨

٢ــ ديوان حافظ جـ ١ ، ص (٢٥٣)

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتـــي ولاديت قومي فاحتسبت حياتي

ولا شك أن لحافظ يدا قويه في المساهمة في بعث الوعي القومي والشعور بالكيان العربي المترابط الذى عبر عنه في كثير من المواضع وفي كل مناسبه كانت تبدو له ،

ج

أما الفخر بالآباء والجدود بني المجد والجود والتغني بهم والفخر بالشيم العربيه كالنجده والإباء والكرم ، فقد تحدث عنها الشعراء في مصر أيضا وخصوصـا الشاعر عبد المطلب ، فهو لايترك مناسبة دون أن يردد أمجاد الماضي ليبعثها في نفوس أبناء الجيل الحاضر ، مترنما بنشوتها طاربا بذكراها مؤثرا اخبـــارها عن غيرها من الاخبار ، فهو في قصيده " داليه أسوان " يفتخر بنسبه منذ عليا معـد قائلا : (١)

بنو المجد والجود في كل جيل إذا أعوز الناس مجد وجـــود

تراث لنا منذ عليـــا معـــدّ كما كان آباؤنـــا والجـــدود

فنحن بنو الكـــرم الاكثـــرون إذا قل من ذي فخار عديـــد

أولئك أشياخنـــا الاكرمـــون ونحن على نهجهـــم لانحيـــد

ويقول في موضع آخر (٢) :

كفاني من فخاري نســـبةٌ جمعت في طرفيها العربـــا

ساد آبائي بها قدما ومـــا أليق المجد بمن ســـاد أبـــا

ولقد أسلك في آثارهـــــم أينمـــا أمـــت ركابـــي مذهبـــا

طاويا تحت ثيابـــي سوددا يجمع التالـــد والمكتســـــبا

---

١ ــ ديوان عبد المطلب ص (٢٠٨)

٢ ــ نفس المصدر ص (٢٠)

وليس أقوى من هذا الايمان بنسبه والافتخار والاعتزاز به حين يرجعه الى صميم يعرب معاد ونزال يقول :(١)

الى جهينه ينمى فرعه نسب ... له على المجد اشراف وأطلال
اذا تفرقت الانساب فهو الى ... صميم يعرب معاد ونزال
وان تقطعت الأرحام كان له ... في أهل يثرب أعمام وأخوال
اذا تسامت بأقوام مناقبهم ... سما بنا المتلدان العم والخال

ونجد أن أحمد نسيم حين يخاطب حسين باشا واصف يعزو الفضل الذى قام به الى شيمته العربيه ، فالشيم العربيه موضع فخر أبنائها ومجال أغانيهم وترانيمهم فيقول له (٢):

تعالوا نحث القوم فالقوم نوم ... الى كم تنادى والخلائق هوم
أواصف هذى شيمه عربية ... بتمداحها شعرى يصاغ وينظم

وحين يهنئ اسماعيل صبرى باشا احمد زكى باشا سكرتير مجلس النظار برتبه الباشويه(٣) يخاطبه بأنه ابن من أبناء العرب ، وهو يعترف بهذا الاصل ويفتخر فى هذا النسب فيقول له :

ياصفوة ابناء العرب ... وخير من ألف فينا أو كتب
نلت المعالى وتسنمت الرتب ... يسعى الى بابك من غير طلب

وفى موضع آخر يعترف بكرامة هؤلاء الآباء والأبناء حين يهنئ واصف غالى بترجمه بعض الشعر العربى الى الفرنسيه فيقول (٤):

ذلك الأسمر الذى بهر البيض ... مطلاً من منبر الخطباء
وأماط اللثام عن أدب العرب ... كرام الاباء والابناء
بلسان ما اعتاد من قبل أن يخضع الا لأهله عن اباء

١ـ ديوان عبد المطلب ص٢٠٨
٢ـ الديوان جـ١ ص (١٢٧).
٣ـ " ص(٧١)
٤ـ " ص(٧٤)

أما صالح مجدي فيحاول أن يستثير النفوس ويشحذ عزائمها ويذكيرهم بالنخوة العربية ، فالنخوة العربيه هي التي تدفعهم لرد الأجنبي عن ديارهم وعدم الخضوع والاستكانه ، فيقول [١] :

خليلي ماللفضل والعلم قيمة   مع الجهل في دار الفناوالمغارم
وما صاحب العرفان فيها كجاهل   أتاها ذليلا من بلاد المغارم
فلو كان فينا نخوة عربية   لملنا على أعدائنا بالصوارم

٥
═

ولا يقتصر الشعر في مصر على التغني باللغه والدفاع عنها والذود عن حياضها ، ولا على التفاخر بالشيم والعادات العربيه والأصل العربي ، بل يتعدى ذلك الى الرغبه في تقوية أواصر القربى ووسائل الاتصال ، ومع أن الوعي القومي لم يكن قد وصل بعد الى الدعوه لوحدة عربيه ، فقد كنا نلمح بعض هذه الالتفاتات الأصيله في النفس العربيه الناتجه عن طبيعة هذه الروابط واصالتها في النفوس وهي تعبر تعبيرا صادقا صافيا فليس هناك تعبير عن أمنيه جمع الشمل كتعبير احمد نسيم في الشام [٢] :

مني السلام على الشآم وأهله   وعلى ربى بك أزهرت وربوع
ياليتنا كنا كما شاء الهوى   فرحين فيه يشملنا المجموع

فهو يعترف بأن شمل العروبه شمل واحد ، ويتمنى أن يعود هذا الهوى القديم فيضم سكان الدار مرة ثانية .

لما مطران فيعبر عن تلك الأمنيه تعبيرا آخر ، فالوحده لديه اشهى الاماني التي تكيد الحساد وتغيظهم فيقول [٣] :

١ـ ديوان صالح مجدي ص ١٧٩
٢ـ ديوان احمد نسيم جـ ١ ، ص (٥٧)
٣ـ ديوان خليل مطران جـ ٢ ، ص (١٠٧)

أشهى الأماني التي وكلت بها تقريبنا وتمزق الحساد
أنظل جمعا في الجموع مؤخرا والفرد منا أول الأفراد
أيفوتنا ضم القوى وبضمها نعتد الدنيا أشد عتاد

ويقول في موضع آخر :

متى أرانا أمه توافقت لا ملا متمسكات شدا

ويدعو حافظ ابراهيم الى تنميه الروابط التي بين مصر والشام لأن في قوتهما قوة جماعيه فيقول (١) في تحية خليل مطران :

نحن في حاجة الى كل ما ينمي قوانا ويربط الأرحاما

وهكذا نجد أن الشعراء في مصر قبل الحرب العالمية الاولى قد أحسوا احساسا عاما بهذه الروابط القوميه باللغه والمشاعر المتباد له وبالآلام والآمال ، وافتخروا بالنسب العربي والاخلاق والعادات العرب وان كان التعبير عن ذلك قليلا إلا انه كان يدل على أصاله القوميه الكامنه في نفوسهم والتي عبروا عنها تعبيرا طبيعيا يخلو من التكلف والافتعال .

٦

أما الشعر في الشام فقد بدأت نزعته القوميه بدعوة العرب جميعا الى تحرير انفسهم من نير الاستعباد الذي ران عليهم زمنا طويلا وتذكيرهم بما كان لهم من ماض مجيد وحضاره أفادت تقدم العالم كله .

ونجد هذه الظاهره الشعريه تبدو منذ اواخر القرن التاسع عشر ، تذكر العرب بماضيهم وتحثهم للثورة ونيل الاستقلال ليرجع ماكان لهم من مجد فنسمع ابراهيم اليازجي عام ١٨٩٦ يقول في قصيده له (٢) :

١ـ ديوان حافظ ابراهيم جـ ١ـ صفحة ٥٩ .
٢ـ ابراهيم اليازجي ـ ديوان العقد ص ٥٨ .

تنبهوا واستفيقوا أيها العــرب | فقد طغى السيل حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالآمال تخدعكــــم | وأنتم بين راحات القنــا سـنــلب
الله أكبر ماهذا المنام فقـــــد | شكاكم المهد واشتاقتكم الرتــــب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكـــم | تستغضبون فلا يبدو لكم غضــب. الخ

وهكذا يستمر اليازجي في وصف مظالم الاتراك وجورهم واستعبادهم للعرب ، وينعى على العرب تخاذلهم وسكوتهم عن المطالبه بحقوقهم الى أن يقول

فيا لقومي وما قومي سوى عرب | ولن يضيع فيهم ذلك النسب

ثم نسمع صوته تقـو وتتشد
يظل لم يطرى وليحتسي تقســــــــــــين باستثاره العرب ايضا للدفــــاع عن انفسهم ونيل حقوقهم ، وقد ذاعت ميميته في أواخر القرن التاسع عشر علـــى ألسن العرب فهو في مطلعها يقول (١):

سلام ايها العرب الكـــرام | وجاد ربوعكم قطـر الغمـــام

ويذكر قومه بالعلم والفضل الذى كان للعرب على الدنيـا كلهـا

وما العرب الكرام سوى نصـال | لها في أجفـن العليا مقـام
لعمرك نحن مصدر كل فضـــل | وعن آثارنا أخذ الأنـــــام
ونحن أولو المآثـر من قديــم | وان جحدت مآثـرنا اللئــام
فقد علم العراق لنـا قديمـا | أيادى ليس ينكرهـا الشـــام
وفي أرض الحجاز لنا غيـــوث | يسيل لها الى اليمن انسجام

وكما اشتهرت الميميه كمطلع من مطالع القوميه العربيه ومشرق بدأ يبزغ نوره ، كذلك ذاعت سينيته تضرب على الوتر نفسه (٢)

١ــ أحمد الطرابلسي ــ شعر الحماسه والعروبه في بلاد الشام ص(١٦) معهد الدراسات العربية العالية

٢ــ ديوان العقد ص (٥٦، ٦٣)

د ع مجلس القعيد الاوانس وهوى لواحظها النواعس

يقول : أولستم العرب الكرام ومن هم الشم المعاطس

فاستوقدوا للقتال همم ناراً تروع كل قابس

وعليهم اتحدوا فكلكم لكلكم مجانس

وتوالت صيحات الشعراء كلها تهيب بالعرب الى اليقظه والتحرر فالعرب أمه واحده الكل مجانس للكل ، وهم أبناء حضاره زاخره بالفضل وعلى آثارهم سارت بقيه الامم .

حتى الاناشيد الحماسيه التى كان يتغنى بها الناشئه كانت تخاطب اللغه العربيه ومجدها القديم وتذكر بها الابناء ليعيد وامجادهم مرة ثانية .

ففى بيروت كان نشيد احدى الجمعيات عام ١٩٠٦ (١)

لغه العرب اذكرينا باذكرى ما فات

كيف ننسات وتينا نفحه الحياة

يابنى الشام ومصر وبنى العراق

هل نسيتم ذكر عصر طبق الآفاق

٧

لكن هذه الصرخات الشعريه بدعوات التحرر على الصعيد العربى لم تبلغ درجه الوعى المنظم لذلك لم تنفصل الدعوه عن الجامعه الاسلاميه المرتبطه بالخلافه العثمانيه أو الدعوه لجامعه اسلاميه يقوم على امرها العرب أنفسهم ، فكان الشاعر يتغنى بالعثمانيين ويسبح بهم بأفضالهم وفى نفس الوقت يتغنى بأمجاد العرب ، ومازال الحال كذلك الى أن اعلن الدستور فاذا الشعراء كلهم يظنون ان الدستور يهيئ لهم مساواتهم فى الحقوق ونيل مطالبهم فى

---

١ ـ انيس الخورى المقدسى الاتجاهات الادبيه فى العالم العربى الحديث ص ١١٥ دار العلم للملايين . طبعة ٢ .

الاستقلال ، فيندفع الشعراء يتغنون به ، ويشكرون للخليفه على هذه العطيه وتلك الهبه التى احاط عبد الحميد بها شعبه ، ويشكر الشعراء الضباط الاحرار ويعيد ون ذكر الشهداء ويتمنون لو طال بهم العمر ليشاهدوا هذه الفرحه التى انطلقت من القلوب ، ويصف الشعراء قبح العهد الماضى وشدة ظلمه ، ويبينون مافى هذا الدستور من مساواة ووضع حد للتعصب الدينى والتعصب الجنسى .

ونجد بعض الشعراء يضمنون مطالبهم القوميه اشعارهم التى يقدمونها للخليفه ، فسليمان التاجى الفاروقى يطالب الخليفه بالاهتمام باللغة العربية وتعميم التعلم بها ، وذلك بعد أن يفخر بالعرب وبماضيهم ويقوتهم ويدعو للخليفة فيقول [(١)] :

العرب لا شقيت فى عهدك العرب سيوف ملكك والأقلام والكتب

ويقول :

فكل فضل أتى فالعرب مصدره وأى فضل أتى لم تدوه العرب

وينتقل الى تذكيرهم باللغه العربيه وما أصابها من إهمال فيقول :

لسانهم أخلق الاهمال جدته نبات ينعى على الكتاب ما كتبوا

تمشت اللهجه العجماء فيه الى أن انكرته بنوه الخلص النجب

بضع وعشرون مليونا لهم لغة تموت ما بينهم ياشد ما غلبوا

هذى المدارس محظور تعلمها فيها فمن أين تبنى ؟ كيف تكتسب

ويعبر عبد الرحمن الرافعى عن خلق العرب فى الغفران لمن أساء اليهم فيقول

ولقد أقول لمن تحرش بالأذى للعرب لايجديك طول نباح

الى أن يقول :

والعرب شيمتهم على طول المدى عفو وغفران وخلق سماح

---

١ ــ أنيس الخورى المقدسي : الاتجاهات الأدبيه في العالم العربي ــ صفحه ١٢٥ طبعة ٢ ــ دار العلم للملايين .

نمو الوعي القومي بعد الدستور

أ

لكن التنور بدأت تشعر بالقلق والتشاؤم لعدم حدوث أي تغيير في السياسة العثمانية للاتحاديين تجاه العرب، وأخذت موجات التشاؤم تزداد وتتسع عندما بدأ غلاة الاتراك يسيئون الى العرب ويوالون الطعن بهم، فقد كتب جلال نوري في كتابه " تاريخ المستقبل " :

" إن المصلحة القوميه تقضي على حكومه الآستانه بإكراه السوريين على ترك بلادهم، ان بلاد العرب لاسيما اليمن والعراق يجب تحويلها إلى مستعمرات تركيه لنشر اللغه التركيه التي يجب أن تكون لغة الدين، ومما لا مندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الاقطار العربيه الى أقطار تركيه، لأن النشء العربي الحديث صار يشعر بعصبيه جنسيته، وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب الاحتياط لها من الآن (١).

وفي كتاب آخر لكاتب تركي اسمه عبيد الله بعنوان " قوم جديد " طالب فيه من الاتراك أن ينزعوا أسماء كبار العرب من الصحابه والتابعين عن جدران المساجد ويضعوا محلها أسماء عظام الترك (٢). وزادت الحمله في الجرائد التركيه كجريدة " طنين " و " اقدام " بالتطاول على العرب وتاريخهم ولغتهم، فطالبوا بأن تنقح اللغه التركيه من الكلمات العربيـــه .

وبعثت هذه الحملات العدائيه على الكيان العربي الوعي العربي المتوثب وقام الشعراء بدورهم في رد هذه الحملات والدفاع عن كيانهم العربي ،

١ـــ جميل صليبا ، الاتجاهات الفكريه في بلاد الشام ص (٩٨) . معهد الدراسات
٢ـــ انيس الخوري المقدسي ـ الاتجاهات الادبيه في العالم العربي الحديث ص (١١١) طبعة ٥ . دار العلم للملايين

يذكرون الترك بمفاخر العرب وبنعمهم التي أسدوها الى الاتراك وبالنسب العربي الذي أنزل بلسانه آي الكتاب ، فالدين وحده هو الذي مهد للدوله التركيه أن تحكم العرب وليس غيره مما يتجرد منه تاريخ الاتراك ، فالشيخ فؤاد الخطيب يعترف بأن سبب يقظة العربي الان هو مظالم آل جنكزخان .

يا آل جنكيز إن تثقل مظالمكم   على الشعوب فقد كانت لهم نعما

فالظالم أيقظهم كل ذي سنة   ماكان ينهض لولا أنه ظلما

ونجد أمين ناصر الدين الشاعر اللبناني يرد على جريدة " اقدام " مفتخرا بفضل العرب على الاتراك قائلا (١) :

أنسيت قدر العرب يا إقدام   ولهم على هام النجوم مقام

أجهلت ما نالوه من شرف به   يسمو الزمان وتفخر الايام

لولاهم لم تجر فوق مهارق   يوما بذكر مفاخر أقلام

ومثل ذلك يقول يوسف حيدر يمدد أمجاد العرب وأن خلافه الترك ماهي الا بقايا فخارهم (٢)

فقل لجهول راح يلثم عرضهم   ولم يدر أن الويل من جهلهم طرا

خلافتكم كانت بقايا فخارهم   وقلتم هدى الايمان من فخرهم طرا

فلا حرب ذي ثار صلتها سيوفكم   ولا صنتم عن ثار عرضكم قهرا

فدع عنك يا هذا مباراة معشر   إذا ذكروا فالكون يزكو بهم بشرا

ونستمع الى فؤاد الخطيب وهو يعاتب الاتراك عتابا متزنا أول الامر ، ثم يضطرم ويثور وهو يرد على صاحب جريدة إقدام في الدفاع عن العرب وأن الزمان الذي أولى الاتراك نعما لابد وأن يعيد إليهم هذه النعما . فالتاريخ العربي شاهد على ذلك . (٣)

١ــ ديوان صدى الخاطر ــ ص ٣١ .

٢ــ أنيس الخوري المقدسي ــ الاتجاهات الادبيه في العالم العربي الحديث ص ٣٨

٣ــ أمجد الدريلمي ــ شعر الحماسه والعروبه في بلاد الشام ص (٤٢) قصيدة الزمان العربية

يارب اقدام كان الداء منحسما   لكن فتحت جراحا اذ فتحت فما

الى أن يذكر الأتراك بأمجاد العرب فيقول :

ياعصبه في بلاد الترك طاغية   لا تحسبوا العرب في أوطانهم رمما

إن الزمان الذى أولاكم نعما   هو الزمان الذى نرجو به نعما

وهذه صحف التاريخ ناطقة   بفضلنا فاسألوا الرومان والعجما

وطالعوا صادق الاثار واستنبطوا   يوما نطابق فيه السهل والعلما

وهكذا عاد الشعر العربي يردد النغمات الحماسيه التي كان يرددها في أواخر القرن الماضي ابراهيم اليازجي وأمثاله ، وامتدت ثورة النفوس هذه الى معظم الشعراء الذين كانوا يعدون من أخلص المخلصين للفكرة العثمانية والمدافعين عن وحدة العرب والترك ، فعبد الرحمن الرافعي الذى عرف بتعلقه بالفكره العثمانيه يثور على الاتراك بعد أن غالى أنصار التتريك في الهجوم على العرب فيقول [1] :

ماتصلح الدنيا ولا ناسها   مالم يزل الاقوام أجناسها

همو بني العرب الام الكرى   وقد دها الآمال دهاسها

طلبتم الاصلاح من عصبة   توتر بالافساد أنواسها

فكم تقيمون على ذلة   ورونه الصبر ذوى آسها

ألستم نسل القرون الالى   تثقل الهامات أضراسها

ثم يأخذ في كشف النوايا التركيه وحقدها على الاسلام ومتاجرتها به من اجل سيطرتها على البلاد العربيه لتلئ أكياسها، وغير ذلك كثير من القصائد الحماسية الاخرى التي زخرت بها دواوين الشعراء في ذلك الوقت .

وكانت اللغه العربيه والتاريخ محور فخرهم وأداة الدفاع عن كل مايسيء اليهما أو من من يتعرض لها باستهجان .

١ـ جميل صليبا ـ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام ص(١٠٤) ـ معهد الدراسات العربية العليا .

فعبد الرحمن الرافعي يقول في اللغة وتاريخ العرب [1] :

من قصيده مطلعها :

شغف بذكر مفاخر العربــــان   سمعي وأنعش خاطري وجناني

فحديث آباء الفتى ينشى بـــه   عزما لنفخ الروح في الجثمان

وبعد أن يسترسل في الحديث عن آثار أمته وتفاخر الأجيال بهـــــا

وتشبيهها بالشمس التي لا تحتاج الى برهان ينتقل الى اللغة فيعدد مناقبها :

لغة بفضل جمالها وجلالهـــا   شهدت شواهد محكم الفرقـــان

لغة اذا أدركت سحر بيانهـــا   أدركت معنى السحر في الأجفان

ثم يقول مفتخرا بها :

كل اللغات لديك بالغة الهوى   تحدم وأنت مليكه الأيـــوان

وتستبد بفؤاد حسن الخطيب الثوره على اللغه فيقول من قصيده مطلعها :

يا صارخا أيقظت من دعوته الامم   أأنت ذو نهضه أم أنت منتقـــم

جاروا على لغة القرآن فانصدعت   لها القلوب وضج البيت والحرم

فالقدس باكيه والشام شاكيـــــه   وفي الحجاز يكاد الركن ينحطم

وقد كان الشعر القومي في العراق ايضا لا يخرج عن هذا النطاق ومحمد

الحبيدي الموصلي يقول عام ١٩١٢ :

يا بني الضاد ان للضاد حقـــا   ناطحت دون حقـــه الآبـــاء

إن رضينا غير الكرامة وردا   غص منا بشاربيه المـــــاء

ويقول أنيس الخوري المقدسي من قصيده مطلعها [2] :

كفوا البكاء على الطلول الهمد   ليس القضاء على البلاد موحــد

إن فرق الايمان بين قلوبنـــا   فلساننا العربي خير موحـــــد

قربت به الأقطار وهي بعيـــدة   وتوحدت من بعد فت باليد

١ـ امين طرابلسي ـ شعر الحماسه والعروبه في بلاد الشام ـ ص (٤٥)
معهد الدراسات العربيه العاليه .

٢ـ انيس الخوري المقدسي ـ مجلة كلية بيروت ـ ص ١٥٩ .

وكان للتاريخ العربي النصيب الاوفى ضمن هذا النخر وذلك الثناء ، ففؤاد حسن الخطيب يقول (١) :

أيذكرون وقد كانوا اذا ذكروا ... يسبح السيف والقرطاس والقلم
أيام لم يك من ملك ولا بلد ... الا وللعرب فيه العلم والعلم

ويناجي الشاعر الفلسطيني اسكندر الخوري البيتجالي الشعب فيقول :

ياشعب حسبك رقدة رقدت ... معها أماني نهضة العرب
في ذمة الماضي لنا سير ... حاكت مفاخرها سنا الشهب
واليوم سام الخسف موطننا ... حتى له الرحمن من حقب

ولم يقل شعراء المهجر عن غيرهم من شعراء العروبة في ميدان شعرهم القومي فقد استمدوا الشعر من تاريخهم يستلهمون منه القوة على النضال والكفاح للاستقلال ، فرشيد أيوب يقول :

أُلسنا الالى سادوا العباد وذخروا ... البلاد وأبدوا في الحروب عجائبا
وقصر عن ادراكهم كل لاحق ... غداة امتطوا ظهر العلى والمناكبا
فكم دولة مدنا رشدنا بهمة ... أحد من البيض الرقاق مضاربا
كذلك بنينا للعلوم معاهدا ... وشدنا لاهل الارض فيها مكاتبا
فما روت الايام من عهد آدم ... الى اليوم عن شعب يفوق الاعاربا

٢

وعمد العرب الى العمل المنظم ، فأخذوا في توحيد صفوفهم بتكوين الجمعيات السياسية وتشكل معظمها بين عام ١٩٠٩ ـ ١٩١٢ أي بعد خيانة الاتحاد بين لمبدأ المساواة بين العرب والترك في الحكومة العثمانية • فجمعية الاخاء العربي أول جمعية عربية نشأت لصيانة حقوق ابناء العرب والمنتدى العربي

---

١ ـ أمجد الطرابلسي ـ شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام ص(٢٢) معهد الدراسات العربية العالية •

أسورقى الآستانه لجمع شمل الشباب العربي ، والجمعية القحطانيه ومركزها مصر لتوحيد صفوف الامه العربيه ، والجامعة العربيه ومركزها مصر لإنشاء صله بين الجمعيات العربيه في الشام والعراق ، والجمعيه الاصلاحيه أسست المدعوه الى اللامركزيه ، وجمعيه العهد هدفها السعى للاستقلال الداخلى للبلاد العربية ، والجمعيه العربيه الفتاه تضم نخبه من طليعه المجاهدين العرب ولا يخرج برنامجها عن بعث الوعي العربي السياسي والثقافي بين أبنائها ، الى غير ذلك من الجمعيات التي تم تنظيمها في جو من التكتم الشديد ، ولا شك أنه كان للأيدي الاستعمارية التأثير الكبير في تنشيط هذه الجمعيات وحمايتها وان لم يكن هنالك ما يثبت ذلك .

وقد دلت الشواهد على ان العرب لم يكونوا يسعون الى الالتجاء الى أي دوله أجنبيه غريبه ، وكان الشعراء العرب يرون في الحرب التي حصلت بين الأتراك والايطاليين عام ١٩١١ حربا ضد الاسلام ، فوقف العرب مع الترك المسلمين ضد النصارى الذين كانوا لا يزالون يفكرون في البلاد بعقلية الحروب الصليبية ، لذلك نجد العرب يتمسكون بالدين ضد أي خطر صليبي جديد عنهم كان يتراءى لهم من خلال تفكير الصليبيين . فكان معظمهم يدعون إلى اتحاد الترك والعرب ضد الغزاه ، حتى أنهم رفضوا الصلح وطالبوا بالاستمرار في القتال .

فسليمان التاجي الفاروقي يقول من قصيده له في ذلك (١) :

أنسام الخسف والعرب الألى	هم سياج الملك داهزوا الشمارا
وسيوف ويحها لو جردت	أطلعت من جندس الشك النهارا
إن دون الصلح لو أبصرتم	فتنا تنشي رأحداثا كبارا
لا تسيغوها ولا ترضوا بها	خطه تكسوكم الدهر شنارا

---

١ - أمجد الطرابلسي - شعر الحماسه والعروبه في بلاد الشام ص(٤٧) معهد الدراسات العربيه العالمية .

وكان بعضهم ممن ينتمون الى الاقليات الدينيه يرى في هذه الحــــروب حروبا استعماريه ، فاسكندر الخوري البيتجالي يقول :[1]

وإن في الغرب شعوبا لم تــزل | تشبه الذئب وترعى الغنمـــا
هي نصرانيه لكنهـــــــــا | تعبد الكسب وتهوى الدرهما
تمسك الانجيل في كف وفــي | كفها الاخر شدت صنمـــــا
صنم الغايه قــد أعماهـــم | عن هدى عيسى وما قــد علمــا

ولم يتوان شكيب أرسلان عن التعبير عن شعوره بقوله [2] :

قد ونكم أيها الغرب حيلـــة | نزاريه فاستبسلوا لمزبونهـــا
ستعلم اطرابلسي أنا صحابهـا | ومرتقة لا ترضى العمري بدونها
وكل ذراع عند نا من ترابهـــا | كمثاله الأعلاق عند ضنينها
فما الشام والنيل السعيد ودجله | سواها لدى أفراحها وشجونها
اذا باتت اخواني ببرقه سهدا | فكيف تنام العين ملء جفونهـا

ولم يخرج عن هذا النطاق من المشاعر التركيه العربيه شعراء مصـــر فقد اولوها اهتمامهم وحثوا على مساعدة تركيا .في حروبها ضد النصارى . كشوقي وحافظ واحمد محرم وعبد المطلب .. فحافظ في قصيدته :

طمع القى عن الغرب اللثامــا | فاستفق يا شرق واحذر أن تناما

يعتبر أن ابطال طرابلس انما هم أبطالهم ايضـا

عجز الطليان عن أبطالنــــا | فأعلوا من ذرارينـا الحساما
كبلوهم قتلوهــم مثلــــوا | بذوات الخدر طاحوا باليتامى

وهكذا نجد خليل مطران يرثي عمر المختار الذى ذكر الغرب بماضيهم وما ملكوه [2]

١ــ المعلم الجزول ص (٤٥) ــ القدس

٢ــ أحمد طرابلسي ــ شعر الحماسه والعروبه في بلاد الشام ص (٨١) معهد الدراسات العربية العالية .

أبيت والسيف يعلو الرأس تسليما   وجدت بالروح جود الحر إن ضنا

تذكر الحرب والأحداث منسية   ما كان إذ ملكوا الدنيا لهم نيما

ومناصرة الشعراء في مصر لتركيا أمر لا مفر منه بحكم الدين الذي كان يربطهم بها ، والذي كانوا به يقاومون طمع النصارى ٠

كذلك كان موقف الشعراء من الحرب البلقانية التي اتحد فيها البلغار والصرب واليونان ضد الاتراك ٠

—=—=—=—=—=—=—=—

الباب الرابع

كان بودي أن أتناول في بحثي البلاد العربية جميعها من المحيط الى الخليج بين الحربين العالميتين الاولى والثانية • فأتحدث عنها ككل غير مجزأ من الناحية السياسية والتاريخية والادبية ، لأنها تعرضت لأحداث متشابهة، وكان نهضة جزء منها يهز الأجزاء الاخرى في محاولة تحطيم الحدود المصطنعة التي أقامها المستعمر • وكانت كل نهضة من نهضات اي جزء تهز الجزء الاخر وتوقظ فيه منازع قوميته الكامنة في أعماقه • وكل جرح كان يصاب به اي بلد عربي يجرح البلد الاخر ويثير فيه منازع شخصيته العربية ، ولكن الموضوع سيتسع والبحث سيطول مع قلة ما هو متوفر بين ايدينا من المواد المطلوبة لمثل هذا البحث ، لذلك اقتصرت الحديث على مصر والشام باعتبار ان هذين الجزئين قلب العروبة ومركز الثقل في الاشعاع القومي ، وأنهما تعتمد الاجزاء الأخرى في قيادة المرحلة الجديدة من مراحل البعث القومي وتوجيه قيادة معركة تقرير المصير في العهد الحاضر • كما توفر فيهما الكثير من الطاقة الثورية بحكم موقعهما الجغرافي ومواجهتهما لاكثر دسائس المستعمر وأحابيله ودعاياته للإيقاع بالوطن العربي كله • وكذلك ما يحملانه من الزعامة الفكرية من علم وأدب وثقافة وحضارة لأنحاء الوطن العربي ولا يجحد فضل مصر في ذلك ، فاليها تهفوا أنظار أبناء الامة العربية جميعهم ، وتحت ظلال أمومتها يتفيئون، هذا بجانب كثير من المعاني الروحية التي يحملها أبناء البلاد العربية لهذا الجزء من الوطن العربي في محافظته على اللغة الام بين جدران معاهدها وفي أروقة بناياتها العلمية ، وفي اضطلاعها بحمل رسالة الثقافة العربية في أحلك أيام كفاحها ضد المحتل • ولم أهمل العراق في بحثي وان لم يكن ضمن موضوع رسالتي ذلك

لأن العراق جزء متواصل الوثبات يكمل حلقات الصراع في سبيل تثبيت دعائــــم الكيان القومي وبعثه من جديد •

لن يجحد افضل مصر والشام على القوميه العربيه لا كل مكابر أراد أن يسعى إلى فصل القطرين الشقيقين بقصد اضعاف الروابط واحكام التجزئة •

مصر والشام بين الانتداب والاستقلال

= = = = = = = = = =

أ

وضعت الحرب العالميه أوزارها لتدخل البلاد العربيه في عهد جديد من السيطرة الأجنبيه مقنعه بأسماء الحمايه والوصاية والانتداب ٠

فقد أسفر اجتماع سان ريمو عام ١٩٢٠ عن احتلال الانكليز والفرنسيين للشام ومصر والعراق تتقاسمان أرزاقها وتحصلان على امتيازاتها موخوفا من أن تتكرر التجمعات العربيه ثانيه كما حصل زمن الثوره العربيه ، وضع الاستعمار خطته لخلق مشاكل اكليميه متعدده حتى يستقل كل جزء بمشاكله ، فتقوى التجزئه وتضعف روابط الوحده وتتجزأ القوى النضاليه ٠

خلقوا من الشام دولا أربعه ، دولة دمشق وحلب وجبل الدروز والعلويين وذلك ليفصلوا القوه الثوريه عن دمشق ٠ واقتطعوا من سوريه بيروت وصيدا وصور وطرابلس ليضموها الى لبنان فيخلقوا الحزازات النفسية ويضعفوا العقيدة القوميه في النفوس٠ وأخرجوا لواء الاسكندرونه عن حلب ليمهدوا سبل تقديمه الى الأتراك عام ١٩٣٩ ٠

أما الاردن التي اقتطعوها من الشام فقد قسمتها انجلترا الى ثلاث ادارات ، اداره عجلون ، والكرك والسلط وعمان كل جزء منها له نظام إداري وقضائي يختلف عن الآخر ، ولما عجزت انجلترا عن المحافظه على الحدود التي اصطنعتها بين الاردن والشام من تجول الأحرار بين الجزئين ، وضعت الامير عبد الله أميرا عليها على أن يتعهد بالمحافظه على الحدود من البدو والحضر .. كل ذلك مقابل أن تبذل الحكومة البريطانيه المساعي لتحسين العلاقات مع الامير والسلطات الفرنسيه في سوريا على تعديل حدود الإماره الاردنيه

لتلحق منطقتي حوران وجبل الدروز بشرقي الاردن (1) .

وسلكت الحكومه البريطانيه في فلسطين مسلكا آخر ، وذلك بوعد بلفور الذي جعلت له حرمته وقداسته بادخاله في صك الانتداب . فأنشأت الوكالة اليهوديه كحكومه ثانيه في البلاد ، وجعلت اللغه العبريه لغه رسميه كما جعلت لهم حق التشاور مباشره مع لندن .

اما مصر فلم تجد طريقه تمتص فيها القوى النضاليه التي كانت تصطخب بها نفوس الشعب الا باعلان الحمايه عليها وحرمانها من حق قيام حكومه وطنيه ، واثارت في طريق كفاحها عقبات متعدده لتنفي عنها أي شعور بالاستقرار ، ولتشغل قوى البلاد بالكفاح الداخلي فتبعدها عن التفكير في البلاد العربية الشقيقة ، فأثارت في طريق استقلالها حمايه المصالح الاجنبيه ومشاكل الري مع السودان وامتيازات الدوله البريطانيه ، كما جعلت من القصر ستارا تسخره لتحقيق ما تريد وتدبير ما تراه من مؤامرات .

ولم يقتصر الاستعمار على هذه الطعنات التي وجهها الى القوميه العربية المتعدده لخنقها وقتلها بل شجع الخلافات الطائفيه ، وغذاها بمختلف الوسائل ، فأشاع بين طائفتي الدروز والشيعه أن الفكره العربيه من خلق المسلمين السنيين وأن نجاحها يقضي على امتيازاتهم (2) . وصبغ لبنان بالصبغة المارونيه بعد أن جعل الرئاسه الاولى من حق الطائفه المارونيه ذات الاكثريه العدديه بين الطوائف .

وأيد الدعوه بانفصال لبنان الفينيقي على حد زعمهم عن البلاد العربية ، والى بعث العاميه كأداة للكتابه في كل بلد ، كما أيد حركة القوميين السوريين

١ـ احمد طربين ـ الوحده العربيه ، ص ٧٧ . جامعه الدول العربيه

٢ـ الامير مصطفى الشهابي ـ محاضرات عن القوميه العربيه ـ ص (٦٠) معهد الدراسات العربيه .

الاجتماعيه التي ترمي الى مناهضة حركة القوميين العرب ، وذلك لتقويه التباعد بين أقطار الوطن العربي . فادعى أن شعب سوريه الطبيعيه يؤلف أمه منفصله عن الامه العربيه ومختلفه عنها (١) ، كما انشأ رابطه شعوب البحر المتوسط التي تنشر بينهم قولها " لا علاقه بينكم وبين العرب ، أنتم من شعوب البحر البحر المتوسط مثلنا (٢) .

كما انشأت أيضا منظمه النجاده التي شعارها "الله والوطن والاسره" على اعتقاد ها ان لبنان حقيقه جغرافيه وتاريخيه وطبيعيه ويجب أن يبقى كذلك ، كما انها ترفض اى دعوه للوحده العربيه أو للاتحاد أو حتى التضامن والحلف (٣)

واشتدت القوى النضاليه ، ففي مصر كانت تنادى بالجلاء والاستقلال فيتقدم المئات من الشهداء من أجل المطالبه بدستور يحفظ سيادة الشعب ويحقق كرامته ، فيتعثر مرات قبل أن تحصل مصر عام ١٩٢٦ على دستور يعترف لمصر بالاستقلال والسياده والغاء الامتيازات الاجنبيه ومهد الطريق لتكون مصر عضوا في عصبة الأمم . أما الجلاء التام فقد دفع مصر للحصول عليه الى الغاء معاهدة عام ١٩٥١ لتصل القوى النضاليه أوجها في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ حين اقامت أساسا ديمقراطيا أدى الى تحقيق الجلاء التام عن مصر عام ١٩٥٦ .

وفي سوريه الجزء الذى نزح عنه معظم أفراد العربيه الفتاه والعهد الى مصر أثر مطارده الفرنسيين لهم ، فقد اشتدت فيها المعارك ، وقامت الثورات تطالب بوحده البلاد السوريه وجلاء الجيوش الاجنبيه ، فضربت دمشق بالقنابل وفتك بالاهالي وكلما حاولت السلطات الفرنسيه وضع مشروع معاهده كان يرفضها السوريون

١ـ احمد طربين ـ الوحده العربيه بين ١٩١٦ و ١٩٤٥ ص ٦١ جامعة الدول العربية .

٢ـ احمد طربين ـ الوحده العربيه بين ١٩١٦ـ١٩٤٥ ص ٦٤ . جامعة الدول العربيه .

٣ـ ... الشهابي محاضرات في القوميه العربيه ـ ص (٦٣) ـ جامعة الدول العربية .

لأنها تتعارض ووحدتهم وسيادتهم الى أن كان عام ١٩٣٦ حين وضعت الكتلة الوطنيه ميثاقا وطنيا يتضمن التحرر والوحدة ومقاومه فكرة الوطن الصهيوني والعمل على اتحاد البلاد العربيه ، ولما رفضت السلطات الفرنسيه الميثاق اشتدت الاصطدامات بينها وبين الوطنيين . ولكن نذر الحرب جعلت فرنسا تميل لتوقيع معاهده تضم أراضي العلويين وجبل الدروز الى سوريه على أن تتمتع بنظام اداري ومالي خاص ، ولم توقع المعاهده رسميا الا بعد الحرب العالميه حين الفت حكومه دستوريه عام ١٩٤٣ من القوميين تم فيها جلاء الجيوش الاجنبيه عام ١٩٤٦ .

وفي لبنان ، البلد الذي احتضنته فرنسا ، فقد انكشف للمواطنين فيما بعد نوايا الفرنسيين فطالبوها بدستور يحد من السلطات الفرنسيه ، ولكن الفرنسيين لجأوا الى القوه في اعتقال رئيس الجمهوريه ورئيس مجلس الوزراء والنواب وقامت المظاهرات ، وألفت حكومه ثوريه تآزرت في مناصرتها الاقطار العربيه جميعها ، فاضطر الفرنسيون الى التراجع ازاء اجماع شعب لبنان بمختلف طوائفهم وآرائهم في المطالبه بالاستقلال ضمن اطار العروبه (١) . الى أن تم الجلاء عام ١٩٤٦ ، واصبحت لبنان عضوا في جامعه الدول العربية .

والشعب العربي في الاردن ثار يطالب بمعاهده تضمن حريته وتخفف من السيطرة الاجنبيه التي اخذت تشتد . ولكن الانكليز مع الفئه الحاكمه كانوا يقابلون ذلك كله بقوانين قاسيه كقانون العقوبات المشتركه وقانون النفي ، وفي عام ١٩٢٨ نشر دستور وافق عليه الامير عبد الله لكنه يتعارض وسيادة البلد ، فعارضه الوطنيون لأنه لا يحقق أمانيهم في الاستقلال ، وفي عام ١٩٣٣ وقعت اضطرابات داميه عندما حاولت الصهيونيه ان تضع قدمها في الاردن وذلك بسماح

١ـ الامير مصطفى الشهابي ـ محاضرات في القوميه العربية ص ١٦٢ .
معهد الدراسات العربيه .

الملك عبد الله لليهود باستئجار احدى ممتلكاته ولم تهدأ الاحزان نسبيا الا عندما أعلن منع بيع الاراضي لليهود (١).

وبقيت امتيازات التشريع والمالية وحماية الاقليات بيد المقيم البريطاني وبقي الاردن في جو سياسي مضطرب الى عام ١٩٤١ حين اعترفت الحكومة البريطانية بالامير عبد الله ملكا على دولة مستقلة ذات سيادة وذلك ليهيؤوه الى أن يصبح ملكاً عام ١٩٤٨ وذلك لضم الجزء الباقي من فلسطين في عام النكبة الى ملكه ، وبذلك يحققوا له بعض اطماعه التي كان يسعى جاهدا لتحقيقها .

أما فلسطين فلم تهدأ فيها الثورات منذ وعد بلفور ، ففي عام ١٩٥٠ كان تقرير لجنة هايكرافت أن أسباب الثورة رغبة العرب في الاستقلال وتخوفهم من تأسيس الوطن اليهودي (٢)

وأما ما تبع ذلك وتلاه من ثورات واصطدامات واضطرابات شعبية بين اليهود والعرب وبين العرب والانكليز فتاريخه معروف مطبوع في الاذهان وهو يدل على مأساة هذا الجزء من الوطن العربي من النكبات نتيجة التجزئة التي خلقت لكل اقليم مشاكله ، فأدى ذلك الى ضعف كل جزء وعدم استطاعته مقاومة الدسائس كلها التي اسفر عنها عام ١٩٤٨ عام النكبة حين سلمت فلسطين طعمة سائغة لليهود تحقيقا لوعد بلفور .

---

١ ـ احمد طربين ـ الوحدة العربية بين ١٩١٦ ـ ١٩٤٥ ص (٧٥) جامعة الدول العربية .

٢ ـ احمد طربين ـ الوحدة العربية بين عام ١٩١٦ ـ ١٩٤٥ ص (٨٣) جامعة الدول العربية .

الشعر يحارب أعداء القوميـــــة

منذ أن بدأت طلائع القوميه العربيه تثبت وجودها ، وتفصح عن شخصيتهـــا
حتى بدأ المستعمر يحشد قواه لمواجهتها ويجمع امكانياته ليضربها قبل نموهـــــا .
فجزأ البلاد العربية ليضعف امرها وتتشعب مشاكلها ، وبذلك تتوزع قوى أبنائها فـي
مواجهه مشاكلهم فيضعف أمرهم .. أخذ كل جزء يناضل لوحده حتى يتخلص مـن
مشاكله التي خلقها له المستعمر وفرضها عليه ففي مصر ثورات وفي العراق اضطرابات
وفي الشام معارك دمويه طاحنه ، كل ذلك للمطالبة بنيل حريتهم وتحقيق سيادتهـم
القوميه ، والدفاع ضـد التجزئه التي كانت تشل امكانياتهم .

خرج الشعر الى المعركة بل عاش فيها يقودها وينفخ فيها من روحـــه ،
وأخذ يفتش عن الاعداء المتربصين بقوميته ليصب عليهم حممه . فسرعان ما وجـــــد
الاستعمار أمامه بأسمائه المقنعه المختلفه من حماية ووصاية وانتداب . فالبـــــلاد
العربية جميعها تقاسي منه نتيجة غدر المستعمر هذا وعبثه بمقدسات الشعـــوب
لتحقيق أغراضه ومطامعه ، وجد عدوه في التجزئه تلك التي جزأت نضالهم ومنعتهم
من توحيد القوى ، بل وخلقت فيهم الاقليميه والطائفيه والنعرات الضيقه ، وهكـــذا
وجد أعداءه يعملون معاول الهدم في بنائه دون رأفه أو هواده . نادى بالجلاء
والاستقلال ، وطالب بدستور يحقق سيادتهم وهاجم الطائفية والاقليميه التــــي
جزأت الوطن الواحد الى أجزاء ، وأخذ يفتش عن أعداء وحدته والعاملين في ميدان
اذلاله وتقسيمه ، فلم يتهاون في شأنهم ولم يقف مكتوف اليدين أمام من كانوا يدبـــرون
له المكائد والدسائس للايقاع بالامه العربيه .

١ـ الشعر والاستعمار :

وكان الاستعمار العدو الاول الذى أساء اليهم إساءات لاتغفر ولا تنسى ؛ وبذلك شهدت البلاد الفصول الطويله الداميه فى نضالها ضد المستعمرين منذ الحرب العالميه الاولى ، وكان للمستعمر طرقه العديده فى تشديد قبضته واحكام حبك مؤامراته ، فلم تكد الامه تحصل على مطلب من مطالبها حتى يكون المستعمر قد وضع امامها مشاكل اخرى تنفى عنها شعور الحريه وتنمى فيها شعور التبعيه والاتكاليه وفى ذلك يقول شوقى [1] :

وهل نلنا كلانا اليوم الا ... عراقيب المواعد والمطالا

وقال حافظ ابراهيم [2] :

كم حددوا يوم الجلاء الذى ... أصبح فى الابهام كالمحشر
وسن قوم الطيش من جهلهم ... كذبه (ابريل لاكتوبر)

ونحن نعرف ان الاحتلال الانكليزى سبق وجوده فى مصر قبل الشام فمنذ عام ١٨٨٢ ومصر تذوق من بلائه الكثير ومن كذبه ونفاقه اكثر ، حتى قال شوقى فى وداع كرومر عام ١٩٠٧ وقد حكم مصر فتره طويله [3] :

ايامكم ام عهد اسماعيلا ... أم أنت فرعون يسوس النيلا
اليوم أخلفت الوعود حكومة ... كنا نظن عهودها الانجيلا
دخلت على حكم الوداد وشرعه ... مصرا فكانت كالسلال دخولا
هدمت معالمها وهدت ركنها ... وأضاعت استقلالها المأمولا

ولجأ المستعمر الى غير المماطله والتسويف من ضروب الحبث والتفرقه والفساد فكون له اتباعا واصدقاء ، وقيد البلاد بمعاهدات حصل بموجبها على امتيازات كثيره اصبحت فى نظرهم حقوقا ، وشجع الطائفيه والاقليميه وشد من ازر الطبقيه ؛

١ـ الشوقيات جـ ٢ ص ٢٢٧ .
٢ـ عبد الرحمن الرافعى ، شعراء الوطنيه ص ١٤١ ـ مكتبة النهضه المصرية .
٣ـ عبد الرحمن الرافعى ، شعراء الوطنيه ص ٤٦ ـ مكتبة النهضة المصرية .

واحتكر اسواق البلاد ووضعها فى مستوى اقتصادى متأخر لتستمر فى اعتماد ها عليه وحارب اى لون من ألوان التقدم الصناعى أو العلمى الذى يعود بالخير الاقتصادى على البلاد ، واخذ الشعراء يستهزئون ويتهكمون على مايدعيه المستعمر من تمدن وانسانيه ووفاء وحمايه ووصايه وانتداب واستقلال وجلاء ، وتهكموا على وعود ولسن وكيف اتخذ منها المستعمر منافذ لاستعمار البلاد والقبض على حقوق المواطنين والحاق الظلم بهم •

فمصطفى الغلايينى يقول من قصيده بعنوان مجلس سان ريمو (١) :

لاتخدعونا بألفاظ اذا سمعت   تحلو وان تختبرها مر معناها

فما الحماية الا السهم يقصد نا   وما الوصايه الا النار نصلاها

وما الرعاية الا سلب نعمتنا   باسم المعونه نرعى شوك بؤساها

ويقول فى صفحة ٦٦ من نفس الديوان •• يرد د لفظ تمدن وانسانيه وتحرير •

يقولون انسانيه وتمدن   وتحرير اقوام وفى العنق الربق

فما وعدهم الا وعيد ولم يكن   لهم فى ميادين الوفا ذلك السبق

فحلفهم خلف ووعدهم خنا   وقولهم إفك وعهدهم خرق

ولا يتوانى خير الدين الزركلى فى قصيدته فيم التونى (٢) أن يلتفت الى ويلسن يخاطب وعوده التى لم تكن فى حقيقه أمرها وجوهر وجودها الاخداعا للشعوب وظلما لها •

وعود ويلسن كم اضللت من فئة   لأنت اشأم ماسيمت به الامم

خدعتنا فانخدعنا فاستخف بنا   شمس عن الحق فى آذانهم صمم

أيدعون حقوقا فى مواطننا   والمين اقبح مايطوى عليه فم

ويقول محمد عبد المطلب فى هذه الوعود التى يقدمها ولسن وسفراؤه (٣)

ماعهد ولسن اين ولسن هل درى   أنا بمصر نكابد الاهوالا

امن العدالة عنده ان يبتلى   شعب يريد بأرضه استقلالا

سفراء ولسن هل لكم أن تبلغوا   عن مصر صوتا بالشكاة تعالى

---

(١) الديوان ص ٧٦ — العباسية — حيفا

وكذلك نجد أحمد الكاشف يتسائل عن نتيجه آراء ولسون وما صنعته في البلاد (١)

اغرى البريه باستقلالهم ونأى   عنهم وهم بالذى أغرى يهيمونا

ويقول خير الدين الزركلى ايضا موضحا معنى العدل والرحمه فى نظر المستعمر الذى يشرح الالفاظ وفقا لمصلحته وطبقا لأهدافه ومطامعه (٢):

الظلم فى عرفهم عدل ومرحمه   والامر بالباطل المنبوذ تشريع

ويتهكم كذلك خليل مردم على المستعمر الذى أتى صنيما فأصبح رب بيت يتصرف كما يشاء (٣):

يا للمروءه كم على عمرانهـا   وقفوا وكم لفلاحهـا قد اسسوا

زعموا الشآم بحاجـه لمـجدد   نعم المجدد مدفـع ومسدس

ويصف شوقى كذلك قلوب المستعمرين فى قصيدته نكبه دمشق ١٩٢٦

وللمستعمرين وان ألانوا   قلوب كالحجارة لاترق

وقرن محمود ابو الوفا وجه المستعمر بوجه الشيطان فقال (٤) :

فلو صور الشيطان مرآة وجهه   لما اختار الا سحنة استعمار

أما ابراهيم طوقان فلا يتردد فى ان يقرن الوصايه بمناهج الابادة التى يقدمها المستعمر لتنفيذ سياسته سواء بالحسنى ام بالرصاص (٥)

تواصوا بيننا فأتى وبـالا   واذلالا لنا ذاك التواصى

مناهج للاباده واضحـات   وبالحسنى تنفذ والرصاص

١ــ عبد الرحمن الرافعى ــ شعراء الوطنية ــ ص ٣٤٢ ــ مكتبة النهضة المصرية

٢ــ ديوان الثورة ص ٣٨

٣ــ الاعاصير ص ٩٨

٤ــ ديوان اشواق ص ١٠٤

٥ــ الديوان ص ٨٥

٢

وينتهج الشعراء طريقا آخر في مهاجمة المستعمر وكشف الاعيبه وحيلـــه بعد أن اقترف جرائم اوضحت نيته في حكمه .. فقال محمد الاسمر يبين جشع المستعمر في سلب خيرات البلاد (١):

تشكو المجاعة بالوادي عشيرته والاجنبي به يشكو من التخخم
ولو لم تكن رمما في الناس ماظفرت بنا عصائب للغربان والرخـــم
حطت جياعا فلما اتخمت نهضت كيما تطير فما استطاعت فلم تقم

ويقول ابراهيم طوقان في مثل هذا المعنى (٢):

منذ احتللتم وشؤم العيش يرهقنـــا فقرا وجورا واتعاسـا وافسـادا

ويردد محمد عبد المطلب نفس المعنى الذى هدف اليه المستعمر مـــن وجوده في بلاد يفرض سيطرته عليها (٣):

حتى اذا ملكوا أزمـه امـره ساموا بنيه الضيم والاذ لالا
واستنزفوا ثمرات مصر كأنمـا خلقت لهم ثمراتها انفـالا

ولم يصمت ابو الفضل الوليد عن مخاطبتهم قائلا (٤):

يا من أتيت الى الشام وصيـــة منذا الذى أوصاك أو يوصيـــك
بشرا الوطنيه بالحديد وباللظى حيث اليتامى إرثهم يغريــــك

١ـ الديوان ص ٣٤
٢ـ الديوان ص ٨٥ × دار الكشاف ـ بيروت .
٣ـ عبد الرحمن الرافعي ـ شعراء الوطنية ص ٢٥٩
٤ـ ديوان نفحات الصور ص ٢٠ ـ بيروت .

٣

ولجأ الشعر الى التحذير والتنبيه من هذه الفئه من المستعمرين واتخاذ العبر والمواعظ لتجنب الوقوع في حبائل العدو ثانية وعدم تصديق وعودهم وعهودهم فكلها لاتهدف الا الى الشر يلحقونه بالبلاد والفساد ينشرونه اينما اقاموا في ربوعنا .

فيقول الشاعر القروى (١) في اختلاف مظاهر الاستعمار وتشابه صوره رغم تعدد اسمائه .

لاتبدلوا اسدا بديك انه   ان كان ذا نجسا فهذا أنجس

لكليهما في الشرق واستعماره   قلب كموسجه وجلد أملس

ويقول اسماعيل صبري في موضع آخر (٢) :

ان تسلم على الغريب فسلم   في ظلال السيوف والمران

ربما اصبح العناق صراعا   في زمان الآداب والعرفان

أما شفيق جبرى فيلجأ الى استخلاص العبره والفطنه يوقظ بها العرب كى لا تتكرر المأساة ، (٣)

ذريني وتأديب التجارب انما   تضيء ظلام العقل منى تجاربه

فلولا الليالي ماعرفنا حليفنا   اصادق ود القلب أم هو كاذبه

غدونا له مستنجزين وعوده   فمرت باخلاف الوعود سحائبه

ودبر في جنح الدياجير كيده   فلما انجلى الاصباح دبت عقاربه

غضبنا له والنصر لم يبد نجمه   ولم ندر ان الغرب سود رغائبه

وملنا اليه بالسيوف وبالقنا   ولولا مواضينا لضلت ركائبه

١ـ الديوان ص ٣٠٢

٢ـ عبد الرحمن الرافعي شعراء الوطنية ص ٣٨

٣ـ امجد الطرابلسي ـ شعر الحماسه والعروبه في بلاد الشام ص ٧٢ معهد ال... العربية ال...

فكاقأنابالسوء بحد صنيعنـــا وأقحمنا فى الذل وهو يجانبـه
لئن يجحد المعروف فالليل شاهد وطئ الفيافى والسرى ومعاطبـه

وتتجاوب أحاسيس الشعراء فى البلاد العربيه حتى تمتد الى العـــراق فيقول محمد الباقر الشبيبى (١):

بنى يعرب لاتأمنوا للعدى مكرا خذ واحذركم منهم فقد اخذوا الحذرا
يريد ون غيكم بالوعود مكيـــده ويبغون ان حانت بكم فرصه غـــدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكـــروا أضاليلهم فى الهند والكذب فى مصرا
ومن مات دون الحق والحق واضح اذا لم ينل فخرا فقد ربح المذرا

٤
=

ولكن القوه الشعريه الفعاله تنطلق باشـــارة الكبريـــاء والنخوة العربيـة للنضال من أجل تحرير البلاد الثوره • يدعون للجهاد ، ويثيرون الهمم ، ويبعثـون المشاعر العربيه للوقوف ضد المستعمر الدخيل ، فحافظ ابراهيم يقول من قصيد ه لـه وهو فى السودان (٢): وفيها يظهر التصميم والعزم من أجل السيادة القومية :

حولوا النيل واحجبوا الضوء عنا واطمسوا النجم واحرمونا النســيما
واملأوا البحر ان اردتم سفينـــا واملأوا الجو ان اردتـم رجومـــا
وأقيموا للعسف فى كل شـبر كونستبلا بالسوط يفرى الاديمـــا
اننا لن نحول عن عهد مصـــر أو ترونا فى الترب عظاما رميمـــا

أما أحمد محرم فتستبـــد به مشاعر الكراهيـــه ضد هذا الدخيل الـــى انذاره بان الشعب ليس جبانا أو جامدا عن العمل من أجل بلاده فيقول (٣)

١ــ جميل صليبا ــ الاتجاهات الادبيه فى بلاد الشام ــ ص ١٦٤ معهد الدراســـات العربية العاليـــة
٢ــ عبد الرحمن الرافعى ــ شعراء الوطنية ــ ص ١٠٨
٣ــ عبد الرحمن الرافعى ــ شعراء الوطنية ــ ص ٢٠٨ ــ مكتبة النهضة المصرية

أخا السكسونهل نبئت انا جلاوذه لقومك أو عبيـــد

لقد كذبوا عليك فليس فينـا لمن يبغى الهضيمه مستقيـد

اذا سمت الوفود اليك فاحذر عواقب ماتقول لك الوفـــود

فما أحد بمالك أمـر مصـــر وما بالسيف جبن أو جمـود

ويسلك مصطفى الغلايينى وجهــة اخرى اذ يدعو العرب جهارا الى الثوره منذرا بالخطر الذى داهمهم ، وهو لا يطالب بتحرير سوريه فقط بل بتحريـر بلاد العرب من ساحل الروم حتى ساحل العجم فيقول (١) :

هبوا فامتكم أمست على خطـــر جارت عليها الاعادى جور منتقـم

ثم يقسم على الانتقام حتى الانتصار

وذمة العرب والايام شاهـــدة لنضر من الوغى فى السهل والقمم

حتى يخلو بلاد العرب أجمعها من ساحل الروم حتى ساحل العجم

ويعتبر محمد الشريقى " نار فى جنه " ان الضحية هى الجسر الذى تقطعه الى بلوغ الحياة (٢)

يا أيها الشرق ان الغرب مؤتمـر والحق للسيف والمغلوب منهضـم

الى أن يقول :

وما الضحية الا الجسر تقطعـه الى الحياة وموج السيف يلتطـم

ويقول خير الدين الزركلى من قصيده بعنوان " فيم الريب " (٣)

يا نابغا فيه عرق من بنى مضـــر أسرج جيادك ولتطلق لها اللجم

واشحذ غرارك لايعلو به صدأ فان يجر حكم فالصارم الحـــكم

كفكف دموع فلسطين وجارتهــا بيروت واكفف يدا فى بسطها النقم

تأهبوا لنزال الطامعين بكـــم ولا تغركم الآلاء والنعــــم

١ـ جميل صليبا ـــ الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام ص١٠٦

٢ـ ديوان الثورة ص ٤٠ ، ٤٣

٣ـ ديوان الزركلى ص١٧

سيروا رويدا الى تنظيم أمركم لا يصلح الامر الا حين ينتظم
وأقسموا لا افترقتم يوم ملحمه ولا ونيتم ـ عساه يصدق القسم

ويخاطب احمد شوقي أبناء مصر في قصيدة تكريم سجناء المحاكم العسكرية الانجليزيه يحضهم على استمرار الجهاد (١):

والله : مادون الجلاء ويومه يوم تسميه الكنانة عيدا
يافتيه النيل السعيد خذوا المدى واستأنفوا نفس الجهاد مديدا
وتنكبوا العدوان واجتنبوا الأذى وقفوا بمصر الموقف المحمودا
الارض أليق منزلا بجماعة يبغون اسباب السماء قعودا

ويقرر احمد شوقي في قصيدته نكبه دمشق (٢) حقيقة الثورة فيقول :

دم الثوار تعرفه فرنسا وتعلم انه نور وحق
جرى في أرضها ، فيه حياة كمنهل السماء وفيه رزق
وحررت الشعوب على قناها فكيف على قناها تسترق

الى أن يقول :ـ

وللاوطان في دم كل حر يد سلفت ودين مستحق
ومن يسقي ويشرب بالمنايا اذا الاحرار لم يسقوا ويسقوا
ولا يبني الممالك كالضحايا ولا يدني الحقوق ولا يحق
ففي القتلى لاجيال حياة وفي الاسرى فدى لهمو وعتق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

١ـ الشوقيات جـ١ ص ١٣١٠
٢ـ " جـ٢ ص ٧٠

ويرى شفيق جبرى ان ثوره اى جزء من أجزاء الوطن العربى ان هى إلا شد من أزر ثورة أى قطر عربى آخر ، فثوره مصر يجب ان تشد من أزر ثورة العراق ، فلا عجب ان يحاول اثاره همم العراقيين بالحديث عن ثورة مصر (١) :

ما للعراق خوت عزائم أهلـــه | فاستسلموا لمشيئة الجبـــار
جاد الزمان بفرصة فأضاعهـــا | نام العراق ولات حين منـــام
هلا أتاه حديث ثـــورة أمة | فى مصر قد انفت عن الاحجام
وأبت لها الاذعان عزة انفس | نشأت على العلياء والاقــدام

ويرى خير الدين الزركلى أن اثارة الاحاسيس ضد المستعمر تكون بذكر ماضى العرب وتذكيرهم بأصلهم فى قصيدته ياراقدين التـــى القاها فى النادى العربى عام ١٩١٩ .

وضح اليقين فأقسموا الايمانـا | واستشهدوا الانجيل والقرآنـا

.....

ياراقدين على الهوان تأهبوا | وتجلببوا الادراع والاكفانـــا
هذى بلاد كم تباع ، ودوركـم | تجتاح فابغوا غيرها أوطانـا
من خال أن المجد يدرك هينا | فلينتظر بعد الهوان هوانـا
ما شاد ملكـاً أو أعز قبيلـــة | من آثر الاخلاد والاذعانـــا
لايطمع الناعم عن مس الاذى | حب النجاة فيأمنوا الحدثانا
ان الاباء اذا سرى فى امـــة | افنى الكهول واهلك الولدانا
أسليل يعرب طال منك تربـث | حتى م تليث لاهيا حيرانـا
هلا امتطيت من الجياد عتاقها | وجلوت عنك العار والخذلانا
إن كنت من عدنان فاسلك نهجه | واذا جبنت فلست من عدنانا

....

١ـ صبرى الاشقر ، سوريه بين الحربين ـ ص ٤ المختارات .

هكذا كان دور الشعر ايجابيا فعالا فى معركة اثبات الوجود القومى وبناء كيانه ، تهكم بالمستعمر فى كل ما ادعاه من حب للسلام ويسعى الى رفاهية الشعوب الضعيفة والمحافظة على استقلالهم ، لجأ الى كشف الاعيب المستعمر ونواياه فى أستقلال البلاد من الناحية الاقتصادية حتى يزيد من رفاهية شعبه وغناه ، ولجأ الشعر الى أثاره العرب وبعث النخوة فى نفوسهم للدفاع عن كيانهم القومى من عبث العابثين ، فضرب على وتر النخوه العربيه والشهامه والاباء والكبرياء والمحافظة على الحرية والعمل من أجلها بكل الطرق التى تؤدى الى ذلك .

وكانت نظرته فى كثير من الاحيان عامه شامله اجزاء الوطن، والشاعر يعلم تمام العلم أن استسلام جزء من الوطن العربى الى المستعمر ان هو الا قطع جزء من اجزاء الامه العربية وقتل لكبريائها وتفتيت لأوصالها ، فكان يثير العراق بذكر ثوره مصر والاشادة بها ، فيعتبر أن أى ثورة عربيه ما هى الا بناء وتجديد لمستقبل العرب وحياتهم المقبلة ، وبذلك كان شعوره جماعيا ينطق بلسان الامه ويعبر عن آمالها واحاسيسها .

٢ـ الشعر ضد التجزئة :

أ ـ التجزئة السياسية

بدأت فى الحديث عن التجزئه السياسية التى فرضتها الدول الاستعمارية عند توزيع أسلابها لأنها تكمن فيها أسس المشاكل التى نشأت فيما بعد وبذلك اصبحت التجزئة العدو الثانى من اعداء كياننا القومى ، ففى التجزئة تجزئة امكانياتنا وقوانا ، وفيها يسهل امتصاص ارزاقنا وابتزاز اموالنا ، ومن التجزئة تكثر طبقه النفعيين والمستغلين الذين يشتريهم المستعمر بأمواله لتحقيق مطامعه وفى التجزئة السياسية تقوى العنصرية والاقليميه وتتحكم الفردية فى نفوس الكثيرين نتيجه للشعور بكيانهم المستقل الذى خلقه المستعمر لهم والذى اوهمهم فيه

بتعارض مصالحهم مع مصالح الجزء الاخر من اى بلد عربى ..

وكان يمكن للتجزئه ان تفعل الكثير فى نفوس ابناء الامه العربيه لـــولا اللغة التى تصل ما انقطع بين البلاد العربية والتى كان ثمارها الثقافة الفكرية والحضارية والادبيه ، ولولا التاريخ الطويل الذى يشد هم كلما تراخت اواصـــر هذه القربى ، ولولا الوعى بعصر التكتلات ، عصر القوميات التى تجعلنا قـــوه لا يستهان بها امام الانتداب او الاحتلال او الوصاية او الحماية .

وقد قاد الشعر هذه المعركة ، معركه استنكار هذه التجزئة السياسية والدعوة الى وحده شامله تعيد للعرب كيانهم السابق .. وخاض الشعراء القوميون هذه المعركه ببساله وقوه وبايمان قوى لم تنل منه الاحداث شيئا .

ويقول خليل مردم فى قصيدته لوجه الوحده فى جريدة الف باء السنة الاولى عدد ٧٧ .

ماذا عسى أنكرت من جلق حلب ... بل ماعسى أهل لبنان يريبهم

بلادنا ويد التقسيم تعلقهـــا ... كأنها رقعه ينتابها جلـــم

أكل حاضره دار لمملكـــــه ... أبعاد ما بينهن الفتر والبصم

لمفحص من افاحيص القطا حرج ... حافت على سمته العقبان والرخم

أبقى واوسع عند الظن من دول ... تحصى مسافهن الشبر والقدم

ويعبر شعراء المهجر عن التجزئه الظالمه التى هدف اليها المستعمر فيقول الياس قنصل (١)

دويلات تفرقها حـــدود ... مزيفه أقيمت ثم قســـرا

وتجمعها العروبة وهى روح ... مقدسة بها الخلد استقـرا

وقال بدوى الجبل فى هذا المعنى (٢)

ليس بين العراق والشام حـد ... هدم الله ما بنوا من حـدود

١ـ السهام ص ٤١ ـ طبعة ٣ ـ بيونس آيرس .
٢ـ الديوان ص ٣٩ ـ العرفان ـ صيدا .

اما أبيوا خرى فيستهزئ بالحدود بين العراق والشام قائلا [١]:

ثقي دمشق فلاحد ولا سمه	ولا خطوط كلعب الطفل تبتدع

ويقول أبو الفضل الوليد [٢]:

الشام أخت للعراق وفيهمنا	نور العروبه للضليل الناشد
أهلوهما ابناء عم كلهم	عرب بآداب لهم وعوائد

ويشير بدوي الجبل الى انفصال لبنان عن الشام مستنكرا ذلك [٣]:

لبنان والغوطه الخضراء ضمهما	ما شئت من أدب عال ومن نسب
مافي اتحادهما تالله من عجب	هذا الفراق لعمرى منتهى العجب

ويشير خير الدين الزركلى الى الاواصر التى ربطت الشام ومصر [٤]

غضبت لسوريه الشهيدة امه	في مصر تطغى غله الامصار
فرعت لها ذمم الوفاء فلم يضع	عهد تسلسل في دم الاعصار
لله والتاريخ والدم واللغه	حق وللآمال والاوطار
واذا العرى انفصمت تولى أهلها	غيم السنير بخطابه الكبار

ويندد شوقي بمحاولة الاستعمار تفتيت وحدة وادي النيل وتجزئته

فيقول مستنكرا ذلك عام ١٩٢٤

ولن نرتضي أن تقد القناة	ويبتر من مصر سودانها
فمصر الرياض وسودانها	عيون الرياض وخلجانها

١ـ الديوان × جزء ٢ ـ صفحة ٨٥ •
٢ـ نفحات الصور ص ٥٦ ـ بيروت •
٣ـ الديوان ص ١٧٢ ـ العربية ـ القاهرة •
٤ـ صبرى الاشقر ـ انتخارات ص ١٣

وما هو ماء ولكنــــــه وريد الحياة وشريانهـــا
تتم مصر بنـا بيمـــــه كما تتمم العيـن انسانهـا
وأهلوه منذ جرى عذ بـه عشيره مصـر وجيرانهـــا

ويقول شفيق جبرى عام ١٩٢٥ عندما زار امير الشعراء دمشق (١) :

تلك الأواصر لم تزل معقولـــه من عهد عمرو لم يحل عقالهـــا
كهنانه كفهلن تضطرب العروبه فيهما حتى تجول على السنين مجالها
واذا الشدائد بالكنانة أحدقت وثبت دمشق فقطعت أوصالهـــا
لو تشتكى مصـر أذى بشمالـها بترت ربوع الفوطتين شمالهـا

ويقول حافظ ابراهيم (٢) مشيرا الى مايربط مصر والشام من أواصر :

لمصر أم لربوع الشام تنتسـب هنا العلا وهناك المجد والحسب
هذى يدي عن بنى مصر تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العرب

ويؤكد محمد الشريقى وحدة مصر والشام التى لن تموت مهما جار الزمان (٣)

أ إلى مصر أم الى الشام تصبو والشقيقان واحد فى وصالـه
مصر والشام لن تموتا وان جار علينا الدخيل يوم نزالـــه
مصر والشام مطلعان لفجـــر عربى غطـى على آصالــــه

وبذلك نجد ان هذه التجزئة لم تفت فى عضد الشعراء القوميين العرب بل ولم يستسلم لها معظم أبناء الشعب العربى ، ونلمس ذلك فى أقوال الشعـــراء الذين كانوا ينظرون الى الوحدة العربية نظرتهم الى مستقبل مشرق بالآمـــال . فالوحدة هى علاج مرض التجزئه الذى اصابهم .

١ــ مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق مجلاه صـ ٣٨٨
٢ــ الديوان جـ ١ـ صـ ٢٦٨
٣ــ ديوان الثورة ص ٩٢

يقول عمر أبو قوس (١):

وما العيد الا وحدة عربيـــة ترف بها أعلامها وبنود هــا

مطالعها صنعاء والبحر د ونها وطوروس من أقصى الشمال حدود ها

وجيش كموج البحر يزخر هائجا تضيق به مصر العلى وصعيد هــا

تضمد جرحاه أوانس يعــرب وتنجد ه يوم اللقاء آســـود هــا

وقد برع الشعراء المهجريون في التعبير عن الوحده وأعلنهم في يقظـــة العرب أصدق تعبير وأجمله ٠

يقول جورج صيدح عن طبيعة الوحده بين سوريه ولبنان (٢):

حلل الحب ما التعصب حــرم فاتحد نا وما خلقنا لتقســـم

واعتنقنا دين العروبة دينــا واطرحنا لزوم ما ليس يلـــزم

بين لبنان والشـــام لبــان رضعاه ولــم يزل يتوحـــم

ويقول حسن البحيري (٣):-

لا يعرف العربي في الاحـــداث بالمصري والسوري واللبناني

فالشرق تجمعه أواصـر عـــروة أد نـــت أقاصـي مصر من بغدان

ويعبـــر الياس فرحات عن الاتحاد قائـــلا (٤)

ان مــر الموت يحلـــــو في سبيــل الاتحــــــاد

ويقول ايضا (٥):

إنا وان تكـن الشــام ديارنا فقلوبنا للعــرب بالاجمــال

١ـ جميل صليبا ـ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام ـ ص ١١٥

٢ـ جميل صليبا ـ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام ـ ص ١١٦

٣ـ ديوان ابتسام الضحى ـ ص ٧١ ـ القاهرة

٤ـ الديوان ص ١٦٩ ـ مجلة الشرق ـ سان باولو

٥ـ الديوان ص ٩٦ ـ " " ـ " " ـ "

أما حليم دموس فيصور عواطفه القوميه أصدق تمثيل وأجمله وأقربه الى النفس بعبارات بسيطه سهله فيقول [1]:

انا كيف سرت أرى الانام أحبتى والقوم قومى والبلاد بلادى
بردى كدجله والفرات محبة والنيل كالأردن طى فؤادى
وأرى الرصافه فى العراق وكرخها كالصالحيه مرقد العباد
والغوطتين وكرم وادى زحلـــه كنخيل مصر فى ظلال الوادى
وحفيف هذا الارز فى لبنانـــه كحفيف ذاك النخل فى بغداد

ونجد الشاعر القروى بترتفع عاطفته الى درجه العباده لقوميته للوحدة المرتقبه حين يقول [2]:

هبونى عيدا يجعل العرب أمه وسيروا بجثمانى على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننـــا وأهلا وسهـــلا بعده بجهنـــم

ويتغنى أحمد الطرابلسى بوحدة العرب المقبلة فيقول [3]:

عرب نحن مانذل لبـــــاغ مستبيح ولا ندين بنيـــــر
وحدتنا مواجع القيد حينـــا فارقبوا اليوم وحدة التحرير

ومن ذلك نجد أن الشعراء كانوا يشعرون شعورا عميقا بوحدتهم تلك التى تجلت فى لغتهم تربط بين دجلتهم ونيلهم وبين بزدى والأردن كما كانـــوا يرونها تمتد الى وهران، وكانوا يحلمون بدولة عربيه تضم كل من نطق بالضـــاد واتخذها لغته ومادة ثقافته وفكره. وكان المهجريون اقوى من عبـــر عن تلك الدولـــة

١ــ ديوان المثالث والمثانى ــ ص ١٣٢ • صيدا

٢ــ ديوان الاعاصير ــ ص ٣١٥ • طبعه مجلة الشرق سان باولو

٣ــ مجلة الرساله السنة ٧ ــ ص ١٠٦٠ •

وحلم بها وهم يقاسون مرارة الغربه وشقاء البعد . فيقول نسيب عريضه (١):

الاهل أهلى وأطلال الحمى وطنى   وساكنو الربع أترابى وأقرانى
لا حد عندى إن جارت حدودهم   الشام شامى ومصر أخت لبنان
وفى فلسطين أقداسى وعاطفتى   فى نجد والقبلة السمحاء ايمانى
لى العروبه أمشى فى مخاوفها   من العراق الى ما بعد وهران

ويعبر عن وطنه الكبير الياس فرحات حين يراه نسرا عاليا فى الجو جناحاه مصر والعراق وصدره الشام وبقية البلاد العربية مجموعه . (٢)

أرى موطنا كالنسر يعدو خياله   على الارض شيئا وهو فى الغيب طائر
جناحاه مصر والعراق وصدره   الشام ومجموع الجزيره سائر
يذود جناحاه عن الجسم كله   وتفدى جناحيه الضلوع الحرائر

ويعبر عن ذلك المعنى ابو الفضل (٣):

نعم موطنى لبنان لكن مولدى   به عربى كالولسى من السحب
فلا قوم الا العرب دينا لهم   على البؤس والنعماء والسلم والحرب
فأعظم واكرم باتحاد ونسبه   الى دولة تمتد فى الشرق والغرب
وما هى الا أمة عربية   دما ولسانا ليس تفضل بالترب

ولم يكن تعبير الشعر العراقى القومى يبعد عن هذه المعانى فى الدعوة الى وحده عربية تربط أبناء الضاد وتحقق دوله عربيه مقبله . فالصافى النجفى يقول (٤):

١ــ الديوان الارواح الحائره ص ٤٥ آ بنويورك

٢ــ الديوان ص ١٣٢ ــ طبعه مجله الشرق ــ سان باولو

٣ــ الانفاس الملهبة ج ٢ طبعه آه بيروت

٤ــ ألحان اللهيب ص ٢٩ ــ اليقظة . دمشق

أوحد سوريه بالعـــــراق   وأجمع لبنـان فـي بابـــل

ولن نسب جال في الكائنات   ومن غاهل سار في عاهـــل

سيبقى يطوف الى أن يقيم   على ذروة الوطن الكامـــل

ومع نشوء الجامعة العربية بدأ ينشأ وعـــى جديـد بالعربيـــة كما قال على الجارم (١):

فليست حدود الارض تفصل بيننا   لنا الشرق حد والعروبة موقـــع

• • • • • •

وهكذا نجد أن مشكلات التجزئة ، وقضايا الامه العربية المتعددة لـم تكن تمنع الشعراء أن ينطلق مناديا بالتحرر والوحدة مشيرا الى البلاد العربيه كلهـا من بحر الروم الى خليج العجم • ولم يكن يمنع شعراء القوميه أن يخرجوا من نطاقهم الاقليمي الذى فرضه المستعمر عليهم الى نطاق العروبه كلها وهم فى احلك ايامهـم مع الاحتلال ومشكلاته • لم يكن يقف امام الشاعر القومى ظلم أو ارهاب ، بل كانت امانيـه تتجمع فى وحده عربيه تضم أجزاءه وتحيى تراثه وتعيد اليه قوته ومضاءه • وكـان الايمـان بالوحـــدة اقوى من أن يزعزعه ظلم أو أرهـــاب •

ب : <u>التجزئـه الطائفيـــة</u>

لم يترك المستعمر وسيله من الوسائل الا استغلها لضرب سكان البلاد العربية فى عقر دارهم ، لتشويه كيانهم القومى حتى لا تنمو شخصيتهم القوميه وتكبر فتصبح قوة تهدد وجودهم • فكانت التجزئه الطائفيه عنصرا مهما اعتمـد عليه لتثبيت وجوده ويطيـل أمـد بقائـه ، وقد استغل كون معظم سكان البـلاد

١ـ الديوان جـ ٤ ص ٤ • القاهرة

العربية مسلمين فنشر بطرقه الملتويه الدعايات الكثيرة حول القومية العربية التي لمس قوتها في الثوره العربيه • وأوهم المسيحيين انها نزعه اسلاميه هدفها القضاء على العنصر المسيحي ، وطبيعي أن يخدع بهذه الاساليب كثير من المسيحيين في البلاد العربيــــه ، وطبيعي ان يلجئوا الى المستعمر ظنا منهم أنه هو الحليف الذى يجب ان يعتمدوا عليه ؛ فتجزئه الشعب الى طوائف من مقومات وجود العدو في بلادنا العربيه •

فمنذ بزوغ فجر الاسلام وسكان البلاد العربية من مسلمين ومسيحيين تربطهم روابط كثيره من اللغة والتاريخ المشترك والمصالح الحاضره والمقبله ، وكانت طبيعة تجانسهم جميعـا ولا تزال تجمعهم معا في سلسلة طويله من التاريخ المشترك بخلاف غيرهم من السكان المسلمين كافغانستان وتركستان • فقد ادى عدم التجانس بينهم وبين سكان البلاد العربية الى انفصالهم عنها بعد انحسار الحكم العربي . ولم يتعرض الاسلام لعرب نصارى الشام والعراق ومصر في عقائدهم بل كان اسلام من أسلم منهم طوعا لاكرها • والادب وقد حفل بكثير من شعر شعراء النصارى دون أن يقف عامل الدين حائلا ، فشعر الأخطل وشعر عمير بن شييم التغلبي نقرؤه ونطرب له تماما كما نقرأ لغيره من الشعراء العرب المسلمين ، ونطرب لهذا كما نطرب لذاك فكل من تكلم بالعربية فهو عربي •

وقد استغل الغرب عنصر الدين ليستعمر به الشرق ، فكانت الحروب الصليبيه أولى طلائع هذه الحملات ، ولم تكن الدوله التركية بالدولة الاسلاميــة الصحيحه العقيده كذلك كانت غريبه عنا غير متجانسه مع العرب لغويا أو فكريـــا وكانت مصالحها الشخصيه هي التي تجعلها تسخر الدين بل ورجال الدين لتبرير سلوكها واظهار سياستها بمظهر ديني كمـــا حدثنا عن ذلك في فصول سابقه ولم يمنعها مانعـــ أن تضرب المسلمين والمسيحين بعد ذلك على حد سواء وقد أدت هذه السياسه الى أن تعلق عددا من شباب المسلمين على اعواد المشانق

دون أن يقف الدين حائلا • وبذلك كانت الدولة العثمانية صورة لاتمثل الحكم الاسلامي الذي يسوي بين العرب جميعا في الحقوق والواجبات •

وقد تحدث بطل الانقلاب نيازي في خطابة القاها قبل اعلان الدستور قائلا " تعلمون ان سفالة الحكومه وجبنها وهوسها صيرتنا سخرية بين الناس ، والذي يجب أن نقوم به لقاء الحكومه ولقاء مؤامرة اوروبا على تقسيمنا هو أن نثبت فعلا في ثورتنا هذه اننا نحب المسيحيين كاخواننا ، ونساوي بينهم وبيننا ، فليست ثورتنا ضد الاشخاص والعناصر ، بل هي نهضة ضد أصول الادارة التي أوقعت العداوة بيننا وبين اخواننا (١) ،

ولما اعلن الدستور ونودي بين الناس بالحرية والاخاء والمساواة ، لم يستطع الناس بطوائفهم المتعددة التي أنهكتها الطائفية قبل مذبحة الستين وبعدها أن يكتموا الفرحه التي عمت نفوسهم ، فانبرى القسيس يعانق الشيخ في الساحات العامه ويتعاهدون على الموده والاخويه •

ويقول الدكتور "هوارد بلس" من خطابة له ألقاها في الجمعية الجغرافية الوطنيه بأمريكا (١٩٠٨) ذاكرا تلك الحال في بيروت " فأطلقت حينئذ الحريه في المدينة ولم يعد الناس يتمالكون ضبط نفوسهم عن اظهار بهجتهم – والناس الذين قضوا السنين الغابره والعداوه بينهم مستحكمة ، صاروا الآن أصدقاء أعزاء في الحفلات والمجتمعات ، وصار رؤساء الدين من المسيحيين والمسلمين يتضامنون ويتعانقون ، قطعت الاغصان من الاشجار ، وأتي بالبسط من المنازل ، واكتظت الشوارع بالناس فكانوا يضيفون اخوانهم الذين فقدوا صداقتهم زمنا طويلا • وكانت امارات الموده والألفه ظاهرة في كل مكان حتى بين الرعاع وذوي الجرائم " • (٢)

---

١ – انيس الخوري المقدسي – الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ص ٧٧ • طبعة ٢

٢ – نفس المصدر ص ٧٨

وحمل الشعر لواء التضامن والاخاء ، يقود معركتها بقوة وبايمان . وهذه الابيات قيلت فى تلك المناسبه تعبر عن ماكان فى نفوس الشعراء ازاء هذا التضامن (١)

قد صرتم أمة فى الارض واحـدة عن آل عثمان لا عربا ولاعجمـا
فلا تفرقكم أجيالكـم فرقـــا ولا تقسمكـم أديانكم قسمـــا
كم قيد وكم بها أُسرى وكم سفكوا دماءكم أو أحدوا فيكم النقمـا
تعانق الشيخ والقسيس واصطحبا من بعد ما افترقا ضدين وانتقما
تآخيا فى حمى الدستور واتحدا ورفرفت راية التوحيد فوقهمـــا

وبلغ الشعر ثورته ونقمته على الأديان حين قال :

خل قسى وشيخكم فى جـــدال واحك لى فى المسائل الجوهريه

كان لموقع بلاد الشام أثرها الجغرافى القوى فى تعرضها لتيـــارات الغرب ومؤامراته ودعاياته المختلفه ، وقد أُغرق بالارساليات التبشيرية ، والبعثـــات العلمية والدينية التى اخذت تشق طريقها الفعلى فى تغذيه النزعة الطائفيـــة بين أبناء الشعب الواحد مستغله الاحقاد السابقه التى غرست فى النفـــوس ، لكن الشعور القومى السليم بين ابناء العرب مسيحيـــن ومسلمين كان يشق طريقـه هو الآخر كلما انكشفت للعرب أخطاء سياسة الغرب وانكشفت نواياه ، وتعارضـــت مصالحه مع مصالح العرب ، وبان غرضهم فى تمزيق وحدة البلاد .

وكان شعراء المهجر فى طليعة الشعراء الذين كانوا يحسون بخطـــر هذا الداء ويعظم تأثيره فى إضعاف قوى الأمه ، ربما كان لهجرتهم واحتكاكهـــم بالغرب أثره فى التسامح الدينى الذى دعوا اليه ، وربما كان لشعور الاغتراب الذى كانوا يتألمون له وهم فى المهجر أثره أيضا فى تقدير الوطن تقديرا قوميا بعيدا عن أى تعصب ، تقدير من ينظر اليه نظره صافيه خاليه من شوائب التعصب البغيـــض .

١ـ أنيس الخوري المقدسي ـ الاتجاهات الادبيه فى العالم العربى الحديث ص ٧٩ . طبعه ٢

فالنزاع الدينى كان سببا من أسباب ما أصابهم من هجر أوطانهم والابتعاد عنها ، وربما كان لحاجتهم وهم فى بلاد أجنبيه عنهم وبين قوم غرباء الى الشعور بعروبتهم لتملأهم بالعزة والكبرياء أمام غيرهم من الشعوب ، وربما كانت الأسباب الثلاثة مجتمعه هى التى تزيد فى قوه شعورهم بقوميتهم شعورا وكانت من نتائجه هذا التعبير الذى تزخر به دواوينهم ، فالياس فرحات ، فى قصيده له يخاطب الاستعمار عنوانها " أيها العرب " يلمس آثار الاستعمار فى بعثاته ووفوده التى أغرق بها البلاد والتى لم تجن البلاد من ورائها الا الفرقة والانقسام(١)

غرست بنا التعصب من قديـــم	فأثمر لوعة وأسى وضـــرا
بعثت لنا الوفود فمزقتنـــا	كما علمتها شطـــرا فشطرا
وفود أن تحل بأرض قـــوم	تحل عرا وفاق القوم مكـرا
ولو دخلت جنان الخلـد يومـا	لأدخلت الخلاف بهن قسرا
ثياب البر والارشاد صـــارت	لجسم الشر والاحقاد سترا
خذوا بعثاتكم عنـا فانـــا	بها من كل أهل الارض احرى
ولا تدعوا الى الايمان شعبـا	يرى الاكراه فى الايمان كفـرا

ولم يصمت فرحات أمام مؤامرات فرنسا التى خدعت بها الكثير من أبناء لبنان ، حتى أصبحوا يطلقون عليها " الأم " حبا بها وايمانا برسالتها فى صداقتهم ، فقال مخاطبا تلك الفئة التى انطلت عليها هذه الحيل

وقلتم فرنسه أم حنـــون	فلا بأس أن تقتل الوالدا
وقلتم تجىء بشكل الوصـى	فتجعل هابطنا صاعـدا
ولكنها أوقدت للتعصـــب	ما كان من جمره خامـدا

١ـ الديوان ص ٩٩ ـ مجلة الشرق ـ سان باولو .

ولا يترك ذكر المتحسين المتشبثين بأذيال المستعمر فيقول :

منعصبين تذلهم وتضلهم   ويرون كل الحسن فى نياتها
كالمعز تحسن ظنها برعاتها   ودم الجداء على ثيوب رعاتها

وحمل الشعر رسالته فى الدعوة الى وحدة عناصر الأمه ومحاربة اى لون من ألوان التجزئه القائمه على أساس طائفى والتى كانت تظهر بشكل واضح فى الشام ومصر اكثر منها فى العراق ، فلم يظهر فى الشعر العراقى من اشاره الى احتكاك المسلمين بالمسيحيين الا فى عهد الانتداب حيث بدأت مؤامرات التجزئه تشق طريقها بينهم ، فقال الرصافى فى قصيده يوجهها الى المسيحيين مطلعها (١) :

أما آن أن تنسى من القوم اضغان   فيبنى على أس المساواة بنيان
علام التعادى لاختلاف ديانة   وان التعادى فى الديانه عدوان

وكان الشعر فى الشام أشد ثورة على الأديان لما كانت تسببه من أحقاد وآلام وتفرقة بين صفوف الأمه ، ولم يخل الشعر العربى فى مصر من اشارات الى الخلاف الذى كان يقوم بين صفوف الامه نتيجه للتجزئه الدينيه التى يثيرها المستعمر فاسماعيل صبرى يقول عام ١٩١١ حين اشتد الخلاف بين المسلمين والأقباط (٢):

دين عيسى فيكم ودين أخيه   أحمد يأمراننا بالاخاء
مصر انتم ونحن الا اذا قا   من بتفريقنا دواعى الشقاء
مصر ملك لنا اذا ما تمسـ   ـكنا والا فمصر للغرباء

وهكذا نجده يصرح بأن انشقاق صفوف الأمه سيتبعه انتقال مصر لمن هم غرباء عنها ، للمستعمرين الدخلاء .

١- انيس الخورى المقدسى ، الاتجاهات العربية فى العالم العربى الحديث ص ٨٠ طبعة ...

٢- عبد الرحمن الرافعى - شعراء الوطنية ص ٣٥ . مكتبة النهضة المصريه

وينتهز كثير من الشعراء فرصة رثاء بطرس غالى عام ١٩١٠ فيدعون في قصائدهم الى وحده الأمه وذكر الأديان والحث على التسامح والمؤاخاة ، وأن الدين لله والوطن للجميع ٠

فيقول شوقى فى قصيدة يدعو فيها الى وحده الأمه (١):

أعهدتنا والقبط الا أمــة ... للأرض واحده تروم مرامـــا

نعلي تعاليم المسيح لأجلهم ... ويوقرون لأجلنا الآلامـــا

الدين للديان جل جـــلاله ... لو شاء ربك وحد الأقوامـــا

ويصور صوت الشعوب عند ما تكون مجتمعه وصوتها عند ما تتفرق فيقول (٢):

صوت الشعوب من الزئير مجمعا ... فاذا تفرق كان بعض نبـــاح

وفى ثوره عام ١٩١٩ تشتد الثوره فى مصر ويقف الشعب كله مسلميـــن وقبطا صفا واحدا يدافع عن حقوق الوطن ويطالب بدستور يحفظ كرامته ويعيد اليــه سيادته ، ويهتز الشعراء لهذه الوحده بين الأمه جميعها فيحيون هذا التآخـــى ويهنئون الأمه بهذا اليوم الذى أثبت أن مصلحه البلاد هى غير الأديان فيقـــول (٣)

أقباط مصر ومسلموهـــا كلهـــم ... دين المسيح وشرعه الاسلام

برح الخفاء وبان أنا أمـــة ... لم تخل غير محبـــة ووئـــام

ولا يترك محمد عبد المطلب هذه المناسبه دون أن ينفخ فيها من روحـــه الشعريه وايمانه فيذكر آداب عيسى وأحمد التى هى آداب الأمه جميعها ويذكـــر أن المصلحه الوطنيه هى التى تدعو مرقص أو عمرو ليهبا لنجدتها دون أى تفريـــق

١ـ عبد الرحمن الرافعى ـ شعراء الوطنيه ص(٦٤)

٢ـ نفس المصدر ص(٦٥) [illegible]
نفس المصدر ص[illegible]

٣ـ عبد الرحمن الرافعى (٦٦) شعراء الوطنية ص([illegible])

بينهم ويتحدث عن هذه المشاعر التى تربط بين المسلمين والأقباط فيقول فــى اجتماع سياسى كبير (١) :

بنينا على آداب عيســى وأحمد ... منازل عز دونها يقع النســر
فنحن على الانجيل والذكر أمة ... يؤيدها الانجيل بالحق والذكر
لنا كل مافى مصر والحق قائــم ... تؤيده الآيات والحجج الغــر
فلن يستطيع الدهر تفريق بيننا ... وان جر قوم بالسعاية ماجروا
كلانا على دين به هو مؤمــن ... ولكن خذلان البلاد هو الكفر
اذا مادعت مصر ابنها نهض ابنها ... لنجدتها سيان مرقس أو عمــرو
ترى ذكر مصر فى الهياكل قربــة ... وفى صلوات المسلمين لها ذكر
ألم ترنا فى كل عيــد وموســم ... حليفى ولاء لا جفــاء ولا هجر
اذا كان عيد الفطر فالكل مفطــر ... يهلل بالبشرى ويزهو به البشر
وان جاء بالنيروز يوم تزاحمــت ... عليهم به الافراح وانتعش القطر

واذا أراد الشعر أن يحيى زعيما من الزعماء أو يهنئه بمنصب أو حتــى يؤكدوا تضامن هذا الشعب وقوه هذه المبايعه وعنصريتهــا ، فمحمد الاسمر يخاطب سعد قائــلا (٢):

أرى الشعب آلى أن تكون زعيمه ... وأعطى لك الميثاق دير ومسجد
وانت الذى لايعرف الشعب غيره ... وانت الذى حياه عيسى وأحمد

ومن ذلك مانظمه على الجارم مخاطبا سعد الذى التفت حوله ارادة الامه ، فكان مدحه له على اساس انه استطاع ان يوحد عنصرى الامه بحيث وحــدا مبايعتهما له ورضيا بالتفافهما حوله واستبد لا من الشجار اخلاصا وحبا لمصــر (٣).

---

١ ــ الديوان ص(١٠٦).
٢ ــ ديوان الاسمر ص(٤٢).
٣ ــ الديوان جـ٢ ، ص(٨٣).

ألفت بين العنصرين وكنت للرحمن حـــزبا
نبذوا الشجار وأبدلوه لمصر اخلاصا وحبا
وسعى الهلال الى الصليب واقبلا جنبا فجنبا

أما خليل مردم فيحمد الله على البلوى التي أصابت دمشق حتى يرى فيها الكنائس تحمى المساجد ، وهذه هي العقيدة الصحيحه في نظره ، ولا يسمو عليها أى مذهب ديني آخر ، فالمستعمر قد وحد الصفوف وقرب بين مشاعرها حين غرب دمشق بالقنابل (١)

يلت دمشق بنيها يوم محنتها فلم تجد غير من صحت عقيدته
ترى الحنيفي يوم الروع مبتدرا الى المسيحي في البلوى يساعده
الحمد لله انى في حمى وطني تحمى كنائسه فيها مساجده

نجد بعد ذلك ان العقيدة الدينية ترتفع وتسمو حتى تفنى في معنى العروبة. فالمسيحي والمسلم يلتقيان معا في اعلى درجاتها ، فالعروبه تجمعهم على دين المحبه وهو دين عيسى واحمد ، كما انها جمعتهم معا قبل ان تنزل الاديان وفي عدنان أو قحطان ، مهمما اختلفت الفروق وتضاربت. هذه هي القومية الصحيحه في أسمى مراحلها ، بل هي الوعي الحقيقي باللغه والتاريخ والمصير المشترك ، هي جوهر الدينين وزبدة تعاليمهما وهو دين القوميه التى تدين به والذى تبنى على اساسه بنيانها وتشيد عمرانها ، فتدك احابيل المستعمر وتحارب زبانيته وتحرر نفسها من الرق والعبوديه ثم تنطلق في استعادة ما كان لها من قوة في زمن لا يؤمن الا بالتجمعات وليس للفرد مكان فيه.

ويعبر عن ذلك فؤاد الخطيب يؤكد حقيقه العروبه وحقيقه قبلتها وهيكلها

١ـ ديوان الثورة ص(١٢٤).
٢ـ الديوان ص(٢٨٦).

ان العروبه لايفرق بينهـــا بعد التآلف قبله أو هيكـــل
أينالهم ضيـم وبين صفوفهم عيسى المخلص والنبي المرسل

ويؤكد عروبه الديانتين اسكندر الخوري البيجالي الشاعر الفلسطينـــي حين يقول (١):

قبل المسيـــح وأحمـــــد كنـا وما زلنـا عـــرب
كانت ومـا زلـت لنـــا أوطاننـــا أمـا وأب
لا ديـــن يجمعنا ســــوى دين المحبـة والنســب

ولا يصمت ايليا أبو ماضي أمام هذا المعنى الكبير من معاني القوميــه وأمام هذا الدين الجديد فيقول (٢):

مهما يكن من فارق فكـلاكمـــا ينمـي الى قحطان أو عدنــان

ثم يؤكد دينه ويعلنه على الملأ قائلا منشـــدا .....

اني على دين العروبه واقــف قلبي على سبحاتهـا ولساني
انجيلي الحب المقيم لأهلهـــا والذود عن حرماتها فرقانـــي

وترتفـــع مشاعره القومية اوجها حين يقف ليمجد ذكرى محمد الرسول العربي تمجيدا قائما على اساس دينه الجديد الا وهـــو دين العروبه فيقول (٣)

هبوني عيدا يجعل العرب أمه وسيروا بجثماني على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننـــا واهلا وسهلا بعده بجهـــنم ،

١ــ المنقـــود ص(٧٣) . القدس
٢ــ زهير ميرزا أيليا أبو ماضي شاعر المهجر الاكبر ــ ص١٩١ اليقظه . دمشق
٣ــ الديوان ص٣١٥ . سان باولو

(١١٦)

وبهذا يكون الشاعر القومي قد ادرك أن التجزئة الدينيه من عمل المستعمر ومن صنعه ، آمن بما تسببه للبلاد العربيه من تفكك وحده الامه وتأخر ابنائهـا وفقدان مصالحها ، فرتفعوا الى أعلى مستوى تصل اليه حين اذابها في معنى العروبه وفي بنائها ، تبلورت في الكيان القومي والعمل المستمر على حفظه من عاديات الدهر ونوائبه ، اصبحت تؤكد ان الدين لله والوطن للجميع وانا امام الغربي كلنا عرب ، وقد جاهد الشاعر القومي في سبيل الوصول الى هذا الغرض ، المسلم والمسيحي على السواء ، عملا معا لإحلال هذا المفهوم محل التعصب الديني الذي لاهدف من ورائه الا اطاله أمد المستعمر وتثبيت قدمه في الارض العربيه • قاد الشعر هذه المعركة يتهكم تاره ، وتارة ينذر ويحذر من عقبى ذلك وأخرى يكشف الستار للمتعصبين شخصية المستعمر وعملائه الذين يحيكون هذه الرواية ويقدمون فصولهـا ،

لقد عبر الشاعر القومي عن ذلك اصدق تعبير فاعلا ومفتعلا بما يحيـط به ، وقد استطاع أن يؤثر في هذه المعركة ، فخرجت الامه رافعه الرأس موفوره الكرامه في كثير من أجزاء الوطن العربي •

٣ـ النزعات الانفصاليه :

أ

من الطبيعي جدا أن يعمد الاستعمار الى تغذيه النزعات الاقليميـه بمختلف الطرق ، وتشجيعها لتحول دون اتحاد ابناء الامه الواحده ، لذلك نجـد أن البلاد العربيه وخصوصا الشام ومصر لم تخل من نزعات انفصاليه محليه لم ترحب بفكرة العروبه ، بل آمنت بقوميات ذات كيان خاص وطابع متميز • وبذلك كانـت تخاف من أي تقارب عربي ، بل وتتنكر له وتحاربه •

واتخذت هذه الدعوات مظهرها السياسي ، فأخذت تنظم أعمالها لتنشر

رسالتها التي دعت اليها .

...وكان من هذه الحركات التي تهدف الى نزعات انفصاليه عن جسم الامه العربية الحركه القومية السوريه ، والتي اطلقت على نفسها اخيرا "الحركة القوميه السورية الاجتماعيه" . تناهض الحركة القومية العربية الجامعه . وتعتبر شعب سوريه الطبيعيه يؤلف أمه منفصله تماما ومختلفه عن الامه العربيه ، وتسمى المؤمنين بالعروبه مرضى العقل والنفس ، وتدعو الى تحرير قبرص والاسكندرونه من الاستعمار كما تدعو الى تحرير سينا من المصريين .. وتعتقد أن صلة اللغه لاتبرر أو توجب على الأمه السوريه أن تربط مصيرها بصلة الأمه العربية (١).

وهكذا أخذت هذه الفئه بزعامه أنطون سعاده تبشر الوحده العربيه وبرسالتها في سوريا والاردن وفلسطين ولبنان وتوجد جماعات يحملون هذه الرسالة . وقد حاولوا أن يستغلوا الادب في هذه الدعوه لكنهم فشلوا فلم يستطع الشعراء أن يتأثروا بهذه النزعه أو يجد الشعراء لها أى صدى في نفوسهم . والعربي يعتبر اللغة العربيه لسان حاله ومركز اعتزازه وفخره ومنبع مشاعره وأحاسيسه .

ولم يصمت الفرنسيون في لبنان عن محاوله طمس تاريخ العرب وافتعال تاريخ جديد للبنان القديم السحيق في القدم ، والسابق لوجود الكيان العربي وذلك أسوة بما فعله الانجليز في مصر من بعث الاثار الفرعونيه القديمة ومحاوله ربط الشعب الحديث بتاريخه الماضي البعيد ، فأثاروا الدعوة الفينيقيه حين كان الفينيقيون أسياد البحار ، ومخترعي الحروف الهجائيه . ووجدت هذه الدعوه صداها في بعض النفوس الانعزاليه التي كان يقلقها وجود أى رغبه جامعه للعرب ، فشكري غانم يقول وهو في باريس عندما سمع بقيام أول حكومة عربيه في الشام تحت لواء فيصل "اننا معشر السوريين أو اللبنانيين لسنا بعرب ، وان تكلمنا بالعربيه ، وانما نحن فينيقيون" (٢)

١ـ احمد طربيه ـ الوحدة العربية ـ ص ٦١ معهد الدراسات العربيه العاليه

٢ـ ديوان الرصافي ، الهامش ص ٤١٧ طبعة ٥ ـ الاعتماد . القاهرة

ولكن هذه الخرافه لم تكن لترتكز على أسس ثابته من الواقع القومى والدليل على ذلك أن لبنان كان فى طليعه النهضه العربيه الادبيه فى القرن التاسع عشر ، كما أدى خدمات جليله اللغه العربيه وظهر فيه طلائع القوميه العربيه ورواد هـــــا كما رأينـا .

٢

أما الشعر فما نظم فى هذا المضمار لايعدو التفاخر بالجدود رواد البحار ومخترعي حروف الهجاء ، فشكر الله الجر يقول (١):

أى شعب كشعبك الجبـــار | خالـد فى جلائـل الآثـار
ناشرا فى بحارها منشـــآت | هازئات بالموت والاعصار
أعجز الارض كلها مابنـــاه | من حصون وشـاده من ديار
إن اجدادنا وما أحــــرزوه | كان بالجـد من غنى وفخار
فانهجوا نهجهم وكونوا كبـــارا | يرحب الكون للرجال الكبـار

ولم يقف الشعر القومى صامتا ازاء هذه النزعات التى تهدد كيانه القومـى بل تصدى لهذه التيارات كثير من الشعراء المهجريين الذين كانت هذه النزعـه تسيطر على فئـة منهم ، فالياس فرحات يشير فى ديوانه الى هذا التفينق قائلا (٢)

هذا التفينق للتفريـق أوجـده | عات يغض بالوحدة الحـذر
وكيف لايحذر الباغى اذا اجتمعت | تحت البيارق بدو العرب والحضر

ويقول الزركلى يخاطب القناصه تلك الفئه التى أوجدها الفرنسيون مـن مرتزقه لبنان واستأجروها لقمع الحركات الوطنيه (٣) .

١ـ الروافـد ص ٤١ ـ ريو دى جانيرو
٢ـ الديوان ص ٢٠٧ . مجلة الشرق ـ سان باولو
٣ـ ديوان الثورة ص ١٠٨

الله يعلم انا كلنـــا عـــرب   وان أبيتم فما فى الامر من بأس
كونوا سلائل فينيى أو انتسبوا   الى عناصر لم تخال وأجنـــاس

أما الشاعر القروى فيشير فى مقدمه ديوانه الـى خطــر تلك النعـــره الاقليمية الضيقه فيقول :

" يافتيان العرب ، لقد كثر بينكم قاده ممه يوقعون فى قلوبكم انكـم "
" لستم عربا ، فيضلونكم عن انفسكم ، أو يتعسفون بكم كل ظلمـــاء، "
" ان عروبتكم لن تجحد فضل اقاليمكم ، ولكن اقلمتكم تخسركم عـــز "
" العروبه وايد ما رغنمهـــا . " (١) "

ويؤكد الياس فرحات كذلك فشل هذه النزعات على ثبات العربى وكبريائـه ووحدته فى قصيدته تحيـه الى الاندلس (٢)

يا ابنه الزهراء يا اندلســـيه   ان من اجدادك العرب بقيـه
لم تزل شامخه الـــرأى أبيـــه   لم تفرقهـــا مســـاع أجنبيـــه
لم تفيتها دواع مذهبيـــــه

وتشير نجلاء عز الدين الى فشل هذه المذاهب فتقول :

" فى لبنان فكره محليه هى فكره الفينيقيه المماثلة لفكرة الفرعونيـه "
" فى مصر فالفينيقيين الذين كانوا أول المستوطنين للساحـــل "
" اللبنانى حيث بنوا حضارتهم قبل العهد المسيحـى ، وقـــد "
" خلقت خرافه الفينيقيه لمواجهة الاتجاه نحو الوحده العربيـة ، "
" ولكن لما كانت فكره مصطنعه فانها سرعان ماتلاشـــت . (٣) "

١ــ ديوان الاعاصير ــ صـــ : ط٠ن . مجلة الشرق ــ سان باولو
٢ــ الديوان ــ ص ٢١٠ . مجله الشرق ــ سان باولو
٣ــ نجلاء عز الدين ــ ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ دار احياء الكتب العربيه

ومن هذه الحركات ايضا التى تسعى الى فصل لبنان عن البلاد العربية ما أشاعه الفرنسيون من فكره رابطـه البحر الابيض المتوسط التى عملوا على نشرها ، تماما كما سعوا فى المغرب العربى لاقصاء أهله عن فكرة العروبه بقولهم " لاعلاقـة بينكم وبين العرب . انتم من شعوب البحر الابيض المتوسط مثلنـا ".

لكـن هـذه النزعات تتلاشى ليحل مكانها فكرة العروبه والاتحاد والوحـدة .

وبعد أن تكشف لأبناء العروبه فى لبنان خداع فرنسا وأكاذيبها وظهـرت نواياها فى العمل ضد مصلحة لبنـان نسمع من يصرح فى عام ١٩٣٧ .

"الوحده العربيه هى أنشوده لبنان ، ولا يستطيع لبنان أن يعيش حرا مستقـلا منفردا بدونها (١).

ونلمس ذلك الشعور فى الشعر الذى قيل فى لبنان . فليس بغريب أن نسمع من يقول

وهل هم غير إخوان فيحفظـوا ويشقوا فى مساعيهم سويه

لنا بلسـاننا وطـن كريـم وفى تاريخه صلـه قويـه

<u>النزعـه الفرعونيـه التبشيريه :</u>

أ

قبل الحديث عن النزعه الفرعونيه لابد لى أن ارجع قليلا الى الوراء عند الدعوة الوطنيه فقـد نشـأت الدعوه الى الوطنيه أول ما نشأت من تأثير انتشـار الروح القوميه عند الغرب وظهور القوميات التشيكيه والسلوفاكيـه والرومانيـه والبولنديه .... الخ

١ـ جريده البشير اللبنانيه عدد (٢٥١٧) ـ ١٠ يناير سنة ١٩٢٠ . تصريـح بشاره الخورى .

٢ـ انيس الخورى ـ الاتجاهات الادبيه فى العالم العربى ـ ص ١٦٧ طبعة ٢

الشعور بالوطنية اصطلاح افرنكى انتقلت بذوره الى الشرق من مطاوى العلوم المصرية وأصول المدنيه الحديثة التى اهتدى اليها اهل الغرب • والهدف منها انشاء رابطه عاطفيه بين المصرى ووطنه تحفزه على المطالبه بأمره والعمل على رفعته وأداء واجبه نحوه والمطالبه بحقه منه لأن المصريين كانوا يؤدون الواجبات دون أن يفرقوا أن لهم مقابلها حقوقا •(١)

وقد وجدت الوطنيه فى أذهان الناس بجانب النزعه الدينيه سواء بسواء• فالوفد المصرى الى المؤتمر الاسلامى المنعقد فى القدس عام ١٩٣١ هو نفسه الذى اشترك فى المؤتمر العربى الذى انعقد بعد المؤتمر الاول بقليل ، ودافع عن وجهه النظر الدينيه فى المؤتمر الاول كما دافع عن وجهه النظر العربيه القوميه فى المؤتمر الثانى • وكذلك فى مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧ ، وفى المؤتمر البرلمانى الاسلامى العربى فى القاهرة عام ١٩٣٨(٢) •

وفى أقوال محمد عبده

ان التعصب فى الجنس الذى يسمونه الوطنيه انما يروجه الافرنج الذين يريدون أن ينقضوا أبناء المله الاسلامية ويفرقوا شعوبها ليسهل عليهم استعمارها (٣) •

ويقول البارودى فى منفاه

فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى   ذنب أدان به ظلما واغترب

١ــ محمد حسين ــ الاتجاهات الوطنية جـ١ ص٥٢
٢ ــ احمد طربين ــ الوحده العربية ص١٩٢
٣ــ محمد حسين ــ الاتجاهات الوطنيه ــ جـ١ صـ٥٧

كان أهداف النفوذ الانجليزى وقتذاك اضعاف النفوذ التركى واذ بـــال شوكة العصبيه الدينيه التى كانوا يتصورون أنها اكبر العقبات التى تقف فى طريقهــم. ففى حين نجحت خطه الانكليز فى ان تكون الانجليزيه لغه رسميه الا أنها فشـــلت خطتهم لتكون الانكليزية لغه التخاطب ، ففرضوا التدريس بها ، ولم يقف فى طريقهـــم. الا الاسلام الذى يقدس اللغة العربية •

وكان هدف الانجليز أيضـــا اضعاف العصبيه الدينية لتقطيع أوصال المسلمين فى مستعمراتهم حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحدا واحدا •

ويقول مصطفى كامــل :

قد يظن البعض ان الدين ينافى الوطنيه ، أو أن الدعوه الى الديـــــن ليست من الوطنيه فى شيء ، ولكنى أرى ان الدين والوطنيه توأمان متلازمـــــان ويستشهـــد على ذلك بقول بسمارك " لو نزعتم العقيدة من فؤادى لنزعتم معهـــا محبـة الاوطـــان • (١)

سارت النزعه الاقليميه التى قامت على أساس الجنس، تجاهد فى محاربــة النزعات الاخرى يؤازرها الانجليز ، ومعظم هذه الفئة من الاقباط لظنهم أن عامـــل الدين يربطهم بانجلترا المسيحيــه اكثر من الدوله التركيه المسلمه ، وربما كـــان لسياسة الدولة التركية وعدم مراعاتها لاحكام الدين الصحيح فى معامله السكـــان أثره فى ذلك • يضاف الى الاقباط عدد من المسلمين ذوى المصالح الخاصة الذين انجبتهم السياسه الانكليزية ورعتهم بعنايتها لتحقيق مآربهـــا •

وكان اكتشاف الآثار الفرعونيه عام ١٩٢٠ وما بعده حدثا عظيما بالنسبـة لهذه الفئة ، فلم ينظروا اليها كجزء من تاريخ مصر ، ولم يستعملوها فى استنهـــاض الهمم وبعث الامل ومحاربة اليأس فى النفوس بل استعملوا ذلك كله وهللوا له وبشروا به لاثارة النزعه الجنسيه الضيقة •

١ــ محمد حسين ــ الاتجاهات الوطنية ، جـ١ ص(٦٥)

فالدعوه الفرعونية تحقق لهم كثيرا مما في نفوسهم بحيث تقابل وتلتقي مع مصلحة المستعمر وما يهدف الى تحقيقه .

ويقول محمد حسين :

كان للانجليز من وراء ذلك كله هدف واحد هو اضعاف العصبيه الدينية وتقطيع اوصال المسلمين في مستعمراتهم حتى يستطيعوا ان يواجهوهم واحدا واحدا ، فالمصريون احفاد الفراعنه واللبنانيون احفاد الفينيقيين والعراقيون احفاد البابليين والاشوريين .... " (١)

وقويت النزعه المتطرفه التي كان هدفها عزل مصر عن الشعب العربي والاسلامي واشتدت حتى جهر احدهم بقوله "ان من الخطأ البين أن تنظم مصر في سلك البلاد العربيه اذا تعلق الامر بالناحية القوميه ، انها ورثت الاسلام واللغة من غزاتها الجدد ولكنها لم تكن عربية (٢).

ويعبر آخرون بطريقة أخرى فيصفون الفتح العربي بأنه مثل الغزوات الأخرى "وأن مصر تعرضت لغزوات الفاتحين من أحباش ويونان وفرس ورومان وعرب وترك وافرنج ولكنها احتفظت بشخصيتها المصريه ، وانه مضى على مصر اكثر من الفين وثلاثمائة سنه منذ ما فقدت استقلالها بانتهاء حكم الفراعنه (٣).

وقد اشتد بعضهم في غلوائه فطالبوا بفصم عرا الجامعه اللغويه والاعتماد على اللهجات المحلية لأن العربيه لابد ستنقرض كما انها لا تصلح لغة للحياة ، كما صنعت فرنسا وايطاليا واسبانيا باللاتينيه حين استعاضت عنها بلهجتها المحليه .

ويقول الرصافي من قصيدة عنوانها " التعصب للادب " (٤).

١- محمد حسين - الاتجاهات الوطنيه - ص٩٤ - ج١
٢- عبد الله عنان - ملحق السياسه الادبي - ١٤/اكتوبر سنة ١٩٣٢.
٣- المقتطف - مارس ١٩٢٦ من محاضره لمرقص باشا سميكه .
٤- الديوان - ص ٧٣ - الاعتماد

من جور مصر على العروبه انهـا   تتعمد التمصير فى آدابهـا
من أين كانت مصر فى أقباطها   كمواطن الاعراب فى أعرابهـا

وسرت موجه التبشير المذهبى الانفصالى تأخذ دورها فى الصحافه وفى محاضرات الخطباء ، وفى الحياة العامه فأثرت فى بعض الفئات الاخرى من الشعب وراح بعضهم يدعو الى اصطناع اللهجه المصريه الدارجه فى التعليم والادب والصحافه والتمثيل والصكوك والرسائل بحجة سهولة نشر الثقافة وايجاد أدب مصرى ولغـة مصريه خاصة .

٢
=

أما الشعر فمع أن شوقى تغنى كثيرا بالاثار الفرعونيه الا أنه كان يلتفت دائما الى الاثار العربية الاسلاميه ، فلم يكن يتحدث عن العصر الفرعونى الا حديث الشاعر الذى يستلهم من مادته صورا شعريـة يثير فيها الهمم ويستحث النفوس على المثابره والعمل ويحيى بريشه الفنان ماطمس معالمه السنون ، ففى قصيدته كبار الحوادث فى وادى النيل يستعيد تاريخ مصر من رمسيس وسيزوستريس ، وقمبيز والفرس والاسكندر الى أن ينتقل الى الامه العربيه التى حملت لواء الاسلام كما حملت قبلا لواء المسيحيه فقـال (١) :

أمه ينتهى البيـان اليهـا   وتؤول العلـوم والعلمـاء
حازت النجم واطمأنت بأفـق   مطمئن به السنا والسنـاء
كلما حثت الركـاب لأرض   جاور الرشد أهلها والذكـاء

وفى وداع كرومر نجده يندد بحكم الفرد ويذكر كرومر بما آل اليه حكـم فرعون (٢) .

١ـ الشوقيات ـ جـ ١ ، ص (١٧) جـ ١
٢ـ " جـ ١ ص (٢٠٦) جـ ١

أحسبت ان الله دونك قدرة   لايملك التغيير والتبديلا
الله يحكم فى الملوك ولم تكن   دول تنازعه القوى لتدولا
فرعون قبلك كان أعظم سطوة   واعز بين العالمين قبيلا

وفى قصيد ته توت عنخ أمون نراه يستمد من تاريخ آمون وسيتى وخوفو ومينا ومادة يثير بها همم الشباب فيقول (١):

شباب خنع لاخير فيهم   وبورك فى الشباب العاملينا
فناجيهم بعرشك كان منوا   لعرشك فى شبيبته شئونا

ثم يصف قبر توت عنخ آمون وهياكله وأثاثه وفؤاده ، واذا بنا نجده ينتقل قائلا (٢)

زمان الفرد يافرعون ولى   وذالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض   على حكم الرعيه نازلينا

وهكذا ينتقل الى التحذير من حكم الفرد ويطالب ابن اسماعيل بدستور يعترف بأن حكم فؤاد ابقى للدستور وشرفه وأعلى بالاسلام.

فؤاد أجل بالدستور دينا   وأشرف منك بالاسلام دينا

وعند ما نراه يستعرض ما مر على شاطىء النيل من حوادث (٣):

من أى عهد فى القرى تتدفق   وبأى كف فى المدائن تغدق

يذكر الفراعنه وآثارهم العلميه ، وتاريخهم الماضى من عادات وتقاليد درجوا عليها كعروس النيل عندما تزف اليه :

١- الشوقيات - جـ ٢ - صـ ٢٦١ - الاستقامه
٢- " - جـ ١ - صـ ٢٢٤
٣- " - جـ ٢ - صـ ١

ان زوجوك بهن فهى عقيـــدة　　ومن العقائد مايلب ويحمـــق

ثم ينتقل الى عبادة الاحجار واستحجاب الكهـان

واستحجبوا الكهان هذا مبلـغ　　ما يهتفون به وذاك مصـدق

لايسألون اذا جرت الفاظهــم　　من أين للجحـر اللسان الازلق

وكذلك النذور التى يقدمونها لطيبه ، وحجيجهم اليها ٠

وبعد أن يذكر تابوت عيسى وجمال يوسف ودموع اخوته وصلاة مريم وخطى المسيح تلك التى تتجلى روعتها فى ارض النيل حيث سطورهن بشاطئيه منمـــق ٠ يأتى الى ذكر ودائع الفاروق

وودائع الفاروق عندك دينــه　　ولواؤه وبيانه والمنطـــق

بعث الصحابه يحملون من الهدى　　والحق ما يحمى العقول ويفتق

واذا وصف توت عنخ أمون وحضاره مصـر ــ قائما ، يصف الذهــب والاكفان والغلمان المحيطين به وكلاب الصيد تلهث ، والوحش ينفر فى السهـــول والطير نرسف فى الجراح ، ثم يستخلص ذلك فى أن توت عنخ أمون لو كان حيا : (١)

لرأيت جيــلا غير جيـــلك　　بالجبابـــر لا يديـــن

ورأيـت محكوميـــن قـــد　　نصبـــوا وردوا الحاكميـن

وهكذا نجد شوقى فى حديثه عن هذه الاثار لايتخذ منها شعارا يدعـو الى نزعه جنسيه انفصاليه معينه ، وانما مدحها بنزعته الاسلاميه المعروفه ٠

وكذلك اذا تصفحنا ديوان حافظ نجده ألم بهذه النزعه مفتخرا بأمجـــاد مصر متحدثا عنها من حيث اقدميتها ، ومن حيث النقوش والتحنيط والتشريــــع

---

١ ــ　الشوقيات جـ٢ ــ ص٩٠

ورصد النجوم [١].

ذاك فن التحنيط قد غلب الدهر   وأبلى البلى واعجز زندى
أنا أم التشريع قد أخذ الرومان   عنى الاصول فى كل حسد
ورصدت النجوم منذ أضاءت   فى سماء الدجى فأحكمت رصدى
وشدا بنتئور فوق ربوعى   قبل عهد اليونان أو عهد نجد

وسيطرت فكرة أن المصريين هم أحفاد الفراعنه على اذهان الناس فنجد من الشعراء أحمد زكى ابى شادى والاسمر وقد كثرت فى دواوينهم هذه العبارات ، ففى ديوان الاسمر [٢]:

لنا وطن للضيف بين رحابه   قصور وللأعداء فيه قبور
تحيط به أبناء فرعون انهم   يسيرون حيث المكرمات تشير
يحدثنى التاريخ عنهم فانثنى   وبى صلف من قولهد وغرور

وفى نفس الديوان نجد قصائد كثير بنفس المعنى
ففى قصيدة "اقدماء المصريين" والاطلال الفراعنيه ص٧٣ ، ومنازل الفراعنه
٧٢ ٧٩
ص ، وحياة ابن النهر ص . ولا اشير الى هذه القصائد الا لأن محمد الاسمر كان من هؤلاء الذين دعوا الى خلق أدب مصرى مستقل عن الآداب العربية الاخرى يتميز بمصريته ، فالحديث عن الآثار القديمه التى هى جزء من تاريخ المنطقة يختلف جدا عن اتخاذ هذا الحديث دعوة انعزاليه ضيقه يحاول فيها أن يحقق لدعاة المصلحة الاقليميه ودعاه الاستعمار مايهدفون اليه .

وبينما كان ينظر شعراء البلاد العربية الى سعد زغلول نظرهم الى زعيم عربى فيقول محمد شريقى فى قصيدته نار فى جنه [٣]:

١ــ الديوان ص ٨ ــ دار الكتب المصريه
٢ــ تغريدات الصباح ــ ص ٢٨ ــ دار المعارف
٣ــ ديوان الثوره ــ ص ٤٠، ٤٣

يا رمز مصر وحسب العرب جامعه هذا اللسان وتاريخ به العظم
ان العروبه يازغلول قائد نـــا فاجهر كما جهر الاتراك والعجم
وامد د يديك وصافح كل من نطقوا بالضاد يقبل عليك القوم كلهم مجد

نجد محمد الاسمر يرى فى سعد فرعونا جديدا (١)

اعد ياسعد فينا عهد مينـــا وذكر بالفراعنه الشـــداد
السنا قادة الأمـم الخوالــى ومفرى رأسهـا من عهد عـاد

كما يرى عباس محمود العقاد فى احدى قصائده عند نقل رفات سعــد ، ان سعد انما يعمل لايقاظ تاريخ الفراعنه فقط • (٢)

انت اضفيت على أوطانهـــم سمه وهى من الأسر تضيــق
انت ايقظــت لهم تاريخــهم وهو فى نومتــه لا يستفيــق.

كما اصدر احمد زكى ابو شادى ديوانه عام ١٩٢٤ اسماه "وطن الفراعنه" أهداه "الى بنـاة القومية المصرية وحماتهـا" :

"فلا خير فى قصر عناية الطالب المصرى على بغداد ودمشق وقرطبــه وطليطله وفى اغفاله وادى الملوك ومعبد حاتاسو وبقايا العظامه المدهشه لمصــر القديمة • " (٣)

ولم ينصد شعراء مصر لمواجهة هذه الدعوه كما تصدى لها اخوانهــم فى الشام • لكن لم يخل الامر من شعراء قاوموا هذه النزعه أو ساووا بين التاريخيين فقد اجاب الاستاذ المؤرخ عبد الرحمن الرافعى بك على سؤال عن النزعه الفرعونيه ، فقـــال :

١ــ تغريدات الصباح ــ ص ٢١ دار المعارف
٢ــ ديوان "عابر سبيل" ص ٨٥
٣ــ ديوان ، وطن الفراعنه ــ ص ٧٦

اما ما تسألونني عما يزعم بعض الكتاب من أن مصر فرعونيه ، وأن هـــذ ه الفرعونيه تحول دون اندماج مصرفي الوحده العربيه ، فهذا مالا اشاطر القائليـن به رأيهم فيه لأن الطابع العربي يغلب الطابع الفرعوني في القوميه المصريـــة .(١)

٣

أخذت النزعه الانفصاليه تخف حدتها وقد وقف الشعراء موقفـــا معتدلا غير متطرف ، ولم يفتحوا لها صدرهم أو لم يستمروا في ذلك ، لأن الواقـــع كان يردهم الى حقيقتهم والى واقع وجودهم وعقيدتهم الدينيه كمحرم وعبد المطلـب وعلى الجندى .

فمنذ أن اطمأنت مصر الى وضعها الدولي عام ١٩٣٦ بعد ابرام المعاهدة البريطانية المصرية وبعد أن يصرح الدكتور محمد حسين هيكل باشا اثناء نقـده لمعاهدة ١٩٣٦ في مجلس الشيوخ المصرى قائـلا :

"قد يكون الامتناع خلافنا معهـا "بريطانيا" في مسأله سياسية أو اقتصاديه اذا سامت السياسة البريطانية شعبا عربيا اسلاميا كأهل فلسطين الهوان . وقـد كانت الحكومة المصرية تعمل جهدها لمنع الصحف من نشر أنباء فلسطين أو العطـف عليها باسم الحرص على المفاوضات المصرية البريطانية (٢).

بعد كل ما مضى نجد أن مصر ادركت أنها من الزاوية العربية أقـــوى واغنى الدول العربية فبدأت تتخلى عن عزلتها لتصبح مقر المؤتمرات العربية خاصـة والاسلاميه عامه .

ففي عام ١٩٣٦ الف جمعيه الرابطه العربيه للعمل على نشر الثقافـه العربيه وتوثيق الروابط والعلاقات بين مصر والبلاد العربيه ، وكان رئيس الجمعيـه

١ــ مجلة الرابطه العربيه ــ عدد مارس مجلد (٦) جـ٤

٢ــ احمد طربيـن ــ الوحده العربية ــ ص(١٩٣) معهد الدراسات العاليه

محمد بسيونى رئيس مجلس الشيوخ سابقا [١].

وبين عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ يخطب الدكتور زكى مبارك فى نادى المتنبى ببغداد فيقول :

"ان مصر عربيه فى كل شيء فى لغتها ودينها واخلاقها [٢].

ويقول مكرم عبيد باشا فى مقاله "المصريون عرب"

"نحن عرب ويجب أن نذكر فى هذا العصر دائما اننا عرب قد وحدت بيننا الآلام والآمال ووثقت روابطنا الكوارث والاشجان ، وصهرتنا المظالم وخطوب الزمان ، فأحدثت منا أمما متشابهة متماثله فى كل ناحية من نواحى الحياة . [٣]

وفى عام ١٩٣٧ ينعقد المؤتمر الطبى العربى فى القاهرة . ويخطب فيه رئيسه عن روابط العروبه ، وتعلق صحيفه البلاغ المصرية الى اتفاق الرأى بين اقطاب الوفد الطبى العراقى وبعض كبار المصريين على تأليف حزب مصرى عراقى يعمل على ايجاد اتحاد عربى للدفاع عن كيان الشعوب هذه . كما دعت جريدة المقطم الى الاخذ به والعمل حثيثا فى هذا المضمار لفائدة الدول العربية وانجاح اتحادها .

وانعقد اول مؤتمر فلسطينى فى القاهرة . انضم اليه ممثلو الدول العربية من الحجاز واليمن والعراق استعدادا للدعوة الى مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٣٩ [٤].

وكما انطلقت مصر فى سياستها وحقائق واقعها من انعزاليتها انطلق الشعر كذلك وتخلص مما علق به من الدعوات الضيقه الى أفق لغته التى كثيرا

١ـ الرابطه العربيه ـ عدد (٩) سنة ١٩٣٦ .

٢ـ الرابطه العربية ـ ٢٦ يناير سنة ١٩٣٨ ـ ص(٣٢)

٣ـ الهلال ـ ابريل سنة ١٩٣٩ ـ ص ٣٢، ٣٣.

٤ـ احمد طربين ـ الوحده العربيه ـ ص ١٩٩

ما اعتز بها واشاد. لها كيانا حفظها سليمه قويه رغم ما توالى على مصر من النوائـــــب

النزعــة الأشـــورية :

ولا بد لى قبل الانتهاء من الحديث عن هذه النزعات أن أشير الى النزعـه الاشوريه التى عاصرت النزعات الفينيقيه والفرعونيه وان كانت العراق لاتدخل ضمن نطاق بحثـــى .

أطلت هذه النزعه برأسها يؤيدها المستعمر ويمدها بالقوه حتى تستطيع أن تؤدى دورها كغيرها من المشاكل التى وضعها الاجنبى فى طريق تفتيت القــــوى العربيه الصاعدة . لكنها لم تؤثر فى التيارات الادبيه فى العراق ربما لقوة عقيدتهـم الدينيه وخصوصا الشيعه ، وربما لأن الاثار التى وجدت لم تعمر طويلا نتيجة لطبيعـــة مناخ العراق وقلة الصخور فيها و ربما للبعد السحيق لهذا التاريخ ،.

فقد هزمت الدعوة الاشوريه كغيرها من الدعوات الانفصالية ولم يكن لامجـاد بابل ونينوى أثر يضاهى امجاد بغداد والبصرة والكوفه والموصل ، أو يماثل الرشيـــــد والمأمون وأدباؤهم الذين يربطهم بهم أقوى الروابط الفكريه واللغويه والادبيه ، ويقــول فى ذلك الشاعر المهجرى أبو الفضل الوليد من قصيدة اسماها العراقيه .

فكم دول توالـت ثم دالـــت وكم أمم تــوارت بائـــدات

سوى عربيه ثبتــت لفضـــل وليس لغيرهــا فضل الثبـات

. . . . .

وأخيرا لابد لى أن أقول أن النزعات التى ظهرت فى هذه الاجزاء من أرض البلاد العربيه والتى اخذت طابعا تبشيريا انعزاليا لاتعدو كونها تعبيرات رفعها لواءها بعض الاقليات التى صور لها الوهم ودعاية الاجنبى انها ستفقد كيانها ...

مهددا بالحكم العربي ، فرأت في هذه الدعوات خدمة لهذا الكيان ومحافظة عليه ضد اطار العروبة الكبيــــر.

كما رأت في احتضان هذه الدعوة التبشيرية مساندة للمستعمر الذي تتقابل معه في المصالح والاتجاهات .

وقد رأينا أن الشعر لم يستجب لها كما أن صداها كان قليلا في صورة التي قرأناها ، فالعربية لغة الامة قاطبة وفيها بذور ماضيهم وبها يمثلــــــون مستقبلهم ، فليس من المعقول ان تطغى عليها اي دعــوة مهما كانت قوة دعايتهـــا وسلطان الداعين لهـــا .

الشمنز والدعوه الانســـانيه

=====

١
-

تمجيد العربي لحريته واستقلاله ومطالبته بدستور يحفظ له حقوقـــــه وأنسانيته ، ومكافحته المستمره لتثبيت كيانه ضد أي اعتداء أجنبي يريد السيطـــرة عليه ماهو الا مؤازرة منه للانسانيه التي نادت بها الامم وجعلتها احدى شعاراتها ولا يمكن للمرء أن يتذوق معنى الانسانيه الحقيقيه الا اذا تحرر مـــن رق السيطرة الاجنبيه ، ولايمكن لأى امرىء أن يقدر معنى الانسانية كتقدير مـــن جاهد ليتحرر وناضل ليستقل فتقديره لها يفوق تقدير أى امرىء يدعو لها وهو فى برجه العاجي بعيد عن واقع الحياة • ان الانسانيه الصحيحه لا تبنى دون محبة لهذا الوطن الذى ضم أبناءه • فمن يحب وطنه يحب الانسانيه جمعاء ، لأن حب الوطن مؤلف من التعاطف والاحترام والتسامح والتضحية بعيد عن الانانيه والتعصب والعدوان •

ولقد نشأت نزعة انسانيه سلبيه كانت فى دعوتها تعزل افراد الامه عـــن آلام وطنهم ونكباته ، وعن العمل على تحرره • وقد قال خليل سكاكيني فى أثنـــاء ثوره العرب فى فلسطين على اعدائهم وفى الوقت الذى يوجب على المرء التضحيــه والعمل لانقاذ الانسانية من زمرة المعتدين على حرماتها الذين يضاعفون ويلاتهـــا ويسيئون الى سلام العالم وطمأنينته •

"اغمدوا سيوفكم فى اغمادها ، ولا تحاربوا احدا ، ففى الدنيا متســـع للجميـــع ، " • • • ففى هذه الكلمه استسلام لاسلام ، خضـــوع واذلال يؤدى الـــى اعتداء القوى على الضعيف وامتصاص دمائه وأخذ ينادى بانسانيته وهو فى قلـــب المعركة ، ويعلن انه ليس عربيا ولا انكليزيا ولا فرنسيا كما انه ليس مسيحيا ولا بوذيا

ولا مسلما على فرد من افراد هذه الانسانيه (١).

فصل في اعتناقه هذه النزعه السلبيه معنى من معانـــــى الانسانية الحقه التى تظاهر بها العالم ورددها فى مبادىء ولسون الاربعة عشر ، وميثاق الاتلنتيكلــى سنة ١٩٤٢ ، ومنظمة الامم المتحدة ، وحقوق الانسان ؟؟

العربى بطبيعته به نزعه الى الحياة الطليقـــه ، لأن البداوة تستنكـر أى قيد سياسى أو اجتماعى ، تكره الاستعباد ولا تحتمل الذل والضـــيم ، وفى أدب العرب الكثير من معانى الانسانية العميقة قبل ان نعرف فى العالم الغربى ، وفى النقمـــه على أى فساد سياسى واجتماعى أقوال كثيـــرة وابيات متعدده فى الشعر العربـــى كأبيات المعرى المشهورة فى التنديد بالحكام الذين لا يرعون مصالح الشعـــب ، وفى اقوال المتنبى فى الحريه والسعى لها للحصول عليها ، لذلـــك لم تستطع الدعوه السلبيه الى الاخوة البشرية ان تطمس معالم القوميه التى كـــان يسعى العربى جاهدا ليثبت كيانها واعادة وجودها الواقعى • لأنها نواة الانسانية المنشودة التى يرددها السلبيون دون أن يعيشوها •

يقول الشاعر القروى فى ديوان أعاصيـــر :

" وما الشاعر الوطنى الحق فى أمه مستعبده الا الشاعر الانسانى قبـــل أى شاعر سواه ، لأن هذه المبادىء التى يسبح بها ويهلل فى محرابها ، ويجاهـــد فى سبيلها ، ليست معبوده وطنه فحسب ، بل معبوده الاوطان جميعا ، ولعمـــرى أى قيمه وأى سرور وأى فسأل يجد المتبجحون بانسانيهم المتحدده فى عالم لا حرية به ولا حق ولا عدالة فيــه •• "

لذلك سنبحث الانسانيه فى شعر الشعراء القوميين الذين اهتمــــوا بوطنهم ليحرروه فأضافوا اليه نواة جديده فى بناء الانسانية الشامل •

١ــ مخطوطه فى أمالى الدكتور اسحق موسى الحسينى على طلبه معهد الدراسات•

فتراثنا الروحي وما يشتمل عليه من مبادئ انسانيه عامه سهلت علينا الاخذ بمبادئ حقوق الانسان ، ومبادئ الثوره الفرنسيه ، اليس الانسان اخو الانسان ؟ وان اقرب الناس الى الله أنفعهم لعباده ؟؟ .

٢

لاشك أن الشعر القومي في ادبنا العربي اقوى من الشعر الانساني ، وليس لهذا التعليل سوى جواب واحد هو أن البلاد العربية كانت طيلة هذه الفترة تكافح لتحرير نفسها من قيد كبل قواها وأدمى امكانياتها ، فكان النصف الاول من القرن العشرين ضغط الاستعماري وقوه وارهابا وسطوه ، وكان الشعب العربي يحاول جاهدا التطلع الى شمس الحريه التي تشرق على العالم ، وكان الشاعر العربي مشغولا بقيادة معركة التحرر لتحقيق العداله الانسانيه التي اخذت تترد على الغفلة الشعوب ، .

زخر الشعر الانساني في المهجر العربي، وتزعمته الرابطه القلميه وما ذلك الا لاتساع ثقافتهم وملازمتهم لبيئات أدبيه تدعو الى هذه الدعوه ، كما أنه من الناحيه النفسيه دافع داخلي لاشعار انفسهم انهم ليسوا غرباء . لايمتون بصلة الى هذا العالم الذى شعروا بتفسوقه المادى ، فهو جزء من عالمهم الواسع . ان ذلك يرضيهم نفسيا ويريحهم ويعوضهم عن شعورهم بالغربه

فجبران يدعو الى انسانيه عامه ففي كتاب "عواصف" نسف المعتقدات والعادات القديمه التي تقيد حريه الانسان وبالتالي تحول دون سعادته يريد من تمرده نصرة الحق الانساني والحياة المثلى "الانسانية روح الألوهيه على الارض تلك الالوهيه السائره بين الامم المتكلمه بالمحبه ، المشيره الى سبيل الحياة، والناس يضحكون مستهزئين بأقوالها وتعاليمها ، تلك التي سمعها بالامس الناصرى فصلبوه ، وسقراط فسموه ، والتي سمعها اليوم القائلون بالناصرى وسقراط ، وجاهروا

باسمها أمام الناس والناس لا يقدرون على قتلهم ، لكنهم يسخرون بهم قائلين السخرية أقسى من القتل وأمـــر • (١)

وكذلك كان لميخائيل نعيمه في شعره نشر يفيض رحمه وحنانا ، ففي قصيدته أخي التي قالها عام ١٩١٧ اثر المجاعه التي حصلت في لبنان اثرها القوي فـــي نفسه ، وبها من دقه الاحاسيس وصدق التجربه ما تدعو الى الاعجاب • (٢)

أخـــي إن ضـج بعد الحــرب غربــي بأعمـــــاله
وقـدس ذكـــر مـــن مـــاتوا وعظـم بطـش أبطالـــه
فلا تهـــزج لمـن سـادوا ولا تشمـــت بمـــن دانــا
بـل اركـــع صامتـــا مثلـــى بقلـــب خاشـــع دام
لنبكـــى حظ موتانـــا

أخـــي ان عـــاد يحـرث ارضـــه الفـــلاح أو يـــزرع
ويبنـــى بعــد طـــول الهجـر كوخـا هــدمه المدفــع
فقـــد جفـــت ســـواقينـا ، وهــد الــذل مأوانـــــا
ولم يتـرك لنـــا الاعــداء غرســـا فـــى أراضينــــا
ســوى أجيـــاف قتلانـــا

فالشاعر هنا قد ارتفع بانسانيته في مشاعره ، لم يطلب التدمير والانتقـــام ولم يناد بسفك الدماء ، بل وقف وفي قلبه ثوره مضطرمه لا يجد صوره للتعبير عنهــا سوى صلاه على الموتى الذين ذهبوا ضحية العرى والجوع والفقر والاذلال ، وهـــو يتأمل ارضه التي خيم عليها الجدب فالسواقي قد جفت والارض لم تعد تنبت شيئا ، وليس عليها الا اجياف القتلى ، ويبلغ شعوره ذروته في الابيات الاتيه فلا يجـــد

١ـ خليل جبران " دمعه وابتسامه " ص(١٨٨)•
٢ـ همس الجفون ـ ص ١٤ ـ طبعة ـ صادر ـ بيروت

تنفيسا عنها الا ان يوارى الاحياء الذين لم يستطيعوا ان يعيشوا بكرامه وعزه في أرضهم .

أخي من نحن لا وطن ولا أهل ولا جار
اذا نمنا اذا قمنا ردانا الذل والعار
لقد خمت بنا الدنيا كما خمت بموتانا
فهات الرفش واتبعني لنحفر خندقا آخر
نواري فيه أحيانا

وهكذا كانت نهاية مشاعره ، اليأس الذى يسيطر عليه فيدفعه الى دفن الاحياء لان حياة الكرامه والمساواة والحريه هى الحياة التى يستطيع المرء أن يعتبر حيا فيها والا فالموت خير له وأفضل .

وقد اثارت مأساة لبنان الكثير من الشعراء فكتبوا روائع الشعر الانسانى وكأن الحادثات تسمو بالنفس الانسانية عن ادران الظلم والكيد والاستبداد لترتفع بانسانيتها، وكأنها تجد هنالك ماتريد تحقيقه من عدل ومساواه فقال بشاره الخورى فى قصيدته يصف تأثير الحرب فى المدينه ونكبتها على الانسانيه :(١)

انها الحرب ولم تترك على سطحها الا جسوما باليه
ونفوسا حوما حول البلى تتمشى فى صدور خاويه

وكذلك كانت قصائد معظم الشعراء فى لبنان امام تلك الفاجعه التى اصابت لبنان فكتب فيها محبوب الخورى الشرتونى . وهو يصور كيف اكتست اجساد الطير من لحومهم وكيف نبتت أغصان النباتات من دمائهم .(٢)

١ـ الهوى والشباب ص ٧٧ دار المعارف
٢ـ الديوان ص ٦٣ بروكلن

فهل تجد الاطيار في الجو مسبحا — وفي الارض طوفان الدماء الدوافق
وهل تجد الاطيار في الجو مسرحا — وفي الجو افواج النفوس الزواهق
عيان على اعشاشها مطمئنه — تناولها ضرب الزمان بطارق
يجرد من احشائها مهجاتها — ويقذ فها مذ بوحه في الخنادق
فلا تلطمسوا أغصانها وصخورها — فكم ظللت من موجع متضايق
ولا تبسموا ثغرا لحمره وردها — فحمرة ذاك السورد من دم عاشق

ولايليا ابي ماضي موشح تأملات في الظلم والجور(١)

جلست وقد هجع الغافلون — افكر في الامس والمقبل
وكيف استبد بنا الظالمون — وجاروا على الشيخ والامرد

ويسعى ايليا ابو ماضي الى التعاون الانساني في أوسع حدوده ، يبشر به ويدعو اليه

يارفيقي انا لولا — ك ما وقعت لحنا
كنت في سري لما — كنت وحدي اتغنى
هذه امداء روحي — فلتكن روحك مغنى
ربما كنت غنيا — غير اني بك أغنى

ونزداد انسانيته عمقا حين يقول :

يارفيقي انت ان أحييت فجري صار امسي
واذا طفت بكرمي زدته خصبا وامنا

هذا هو التعاون الذي سعى اليه وهو يؤمن ان هذه هي الطريق التي يمكن ان تجنب وطنه ويلات الحرب ونكبات الغرباء المعتدين على حرماتها ، لم يؤمن بها وينادي لها الا بعد ان لمس آلام بلاده ونكبات امته ومصائب قومه ، حاول أن ينادي

١ــ الجداول ص (٦٧) ــ الزهراء ــ النجف

بها فى بلاد الغربه عساهم يسعون الى السلام ويتخذون الانسانيه شعارا لهم فى معامله الشعوب وبذلك يجنبون العالم ويلات هو فى غنى عنها •

ذكرت الحروب وويلاتهـــا　　وما صنع السيف والمدفع
وكيف تجور على ذاتهـــا　　شعوب لها الرتبه الارفع
وتخضب بالدم راياتهـــا　　وكانت تذم الذى تصنع

....

كذلك يجنى على امتـــى　　بلا سبب بلا موجب
فختام تؤخـــذ بالقـــوة　　ويقتص منها ولم تذنب

٣
=

وقد دافع شعراء الشام عن الحق ، وغنوا بالحرية ، وحملوا على الاستبداد المادى حتى جاروا فى ذلك شعراء المهجر ، وكان شعراء الشام يجدون بالشعر الانسانى متمما لشعورهم القومى • فهذا خليل مردم يقول من قصيده المحزون (١) •

ورأى الظالم لايرقب فى المظلوم ذمه
فبكى حزنا لمن عرى من عدل ورحمه
وعلى من بشديد الجور والظلم منى

وكذلك نسمع بعضهم يتغنى الحريه يضمنها شعوره الانسانى فيقول فيها :

لا تخفضن يادهر من قدرها　　كل كريم رافع قدرها
كم حائر طاحت به ضلــة　　ثم اهتدى لما رأى بدرها
ومستبد راعــه خطبهـــا　　يجهد فى تهتيكه سترها
لئن طوى استبداده ليلهـــا　　فما طوى عن مقلتى فجرها

(١ — جميل صليبا ، الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام ص ١٢٣

ولعمر أبي ريشه شعر انساني يفيض رقه وقوة وحنانا ففي المهرجان الالفي لأبي العلاء في المجمع العلمي العربي بدمشق يقول :

لست تستطيع أن تكون الهـا فاذا استطعت فلتكن انسانا

وفي قول آخر له عن خلود الحق :

لايموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب

ولم يكن شعراء العراق أقل انتصارا للحق ومطالبة بالعدالة والانسانية من بقية الشعراء ، فنجد كثيرا من القصائد كقصائد جميل الزهاوي حين يحمل على النظام الرأسمالي فيسميه تهكما نظام الاحسان والصدقات ، وحين يهاجم عبث الحكام وجمود الرجعيين دون خوف أو تردد كمثل من امثلة الانسانية التي يطالبون بها .

ومن هؤلاء الشعراء في المهجر الذين عبروا بحق عن نزعتهم القوميه متعانقه مع النزعه الانسانيه قصيده نسيب عريضه يخاطب فيها وطنه الامريكي الجديد في نيويورك بلسانه العربي ونزعته الانسانيه التي تدعو الى الاخاء البشري فيقول (١) :

يا بنت مجد الغرب في العلواء إني ابن الشآم
يا جارتي قلبي ودود ليس يرغب في خصام
يا جارتي لسنا على طرفي نقيض في المرامي
مجدي ومجدك واحد مابين أمجاد الكرام
هو ان يسود الحق في دنيا المودة والسلام
هو ان يكون الناس اخوانا على شرع الوئام
وأنا على عهد العروبة لن أزال الى الختام
ان كنت بين الناطحات السحب أو بين الخيام

هكذا اراد نسيب عريضه ان يعبر عن انسانيته فهو ابن الشام ابن الشرق

١- الأرواح الحائرة ، ص ٢٧٤ - نيويورك .

مهبط الوحي ومنبت المرسلين الملئ بالروحانيات بخلاف ماده الغرب ، وهو في تعبيره كأنه يريد أن يعيد الى نفسه كبرياءها والى روحه ايمانها بأنه ابن حضارة ومدنيه ، وان امته لاتقل عن أمة الغرب في عهدها الحاضر . لذلك فهو الوفي لعروبته لن تغريه مطامح المدنيه وناطحات سحابها . وهو المحافظ على عروبته الراسخه الثابته في روحه وكيانه ، وقد مد يده الى يدها ليتعانقا على دنيا كلها موده وسلام ووئام .

يريدون أن يخفي الجريح أنينه ويسكت أهل الحق عن طلب الحق
ولكنني أبقى بحقي مطالبا الى ان يسد الموت في ساعة حلقي

ومثله كثيرون مثل الجواهري في العراق وكالرصافي في تهكمه على الحرية وهو يصفها بلسان الاقوياء . ولم يكن شعراء مصر أقل من غيرهم من شعراء العروبه في هذا الميدان الانساني ، فرغم تفرق أوصالهم مرتبطين برباط المراره والاسى ولسان حالهم يردد مع الرصافي قوله

وكم قد سمعنا ساسه الغرب تدعى بأشياء من بطلانها ضحك الحق
فهم منعوا رق الاسير وانما اجازوا لهم ان يشمل الامم الرق

فقد ارتفعت النفثات الشاكيه في جميع الاقطار العربية تعبر عن فجيعتها بانخذال الحق امام الباطل وتغلب قوى الاستعمار والجشع والطمع على الاماني القوميه .

فشوقي يقول في قصيدته عمر المختار :

ما ضر لو جعلوا العلاقة في غد بين الشعوب موده وسلاما

ويعبر في موضع آخر عن ان ما يخلد المرء في العالم من يعمر خرابه

قل للمدل بما له وبجاهه وبما يجل الناس من انسابه
هذا الاديم يصد عن حضاره وينام ملء الجفن عن غيابه
الا فتى يمشي عليه مجددا ببنائه معمرا لخرابه

ويجد ان العدل هو الاسس الثابته فى أى دوله فيقول :

والعدل فى الدولات أسس ثابت يفنى الزمان وينقذ الاجيالا

ويعبر شوقى فى أسلوب آخر عن مبادئ هذا العصر التى لاتدين الا بالعزة القومية ولا يحكمها الجبروت والقسوه ولا تنام حتى يبطل الجور ، ففى قصيده له يخاطب توت عنخ آمون فيقول :

قسما بمن يحيى العظـام ولا أزيدك من يميـن
لو كان من سفـرايـابك امسر أو فتح مبيـن
لرأيت جيلا غير جيلـك بالجبـابـر لايـديـن
ورأيت محكوميـن قـد نصبوا وردوا الحاكميـن

وعلى ذلك يسير شوقى فى الحديث عن روح العصر ومطالب العدالـة والمساواة التى تقود العالم الى التمتع بالانسانية فى ارقى معانيها واجل صورها • ولو اردت ان اورد المعانى التى طرق بابها شوقى لطال الحديث •

وينتهز حافظ العام الهجرى ، وفى الاحتفال الرائع الذى اقيم لـه عام ١٩٠٩ يحيه ويضمن قصيدته كثيرا من المبادئ الانسانية التى تشتمل عليهـا العقيدة الاسلامية فقال فى قصيدة مطلعها : (١)

اطل على الاكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبـروا

الى ان يقول : اذا اتيت احسان امرئ باسـاءه فأربى عليها بالاساءة تغفـر

ويشير الى ماتبه فيهم العام الهجرى من حاجات وقوى فيقول :

شعرنا بحاجات الحياه فان ونت عزائمنا عن نيلها كيف يعذر ؟
شعرنا واحسسنا وباتت نفوسنـا من الضيم الا فى ذرا العز تضجر
اذا الله احيا امه لن يردهـا الى الموت قهار ولا متجبـر

١ـ عبد الرحمن الرافعى ـ شعراء الوطنية ـ ص ١١٥

ويقول فى هذا المعنى علي محمود طه • فيشير الى ايادى النبى على البشرية وساواته بينهم سواء كان هذا آرى ام ذات سامى ، فيقول فى ديوانه زهر وخمر

غـن للهجرة عاما بعد عـــام   وادع للحق وبشر بالسـلام

كن بشيـر الحب والنـور الـــى   مهج كلمـى واكبـاد دوامى

الى أن يقول :

وبنـى أول دنيـــا حـــرة   برئت مـن كـل ظلم واثـام

تسع النـاس على ألوانهـــم   لم تفـرق بين آرى وســـام

حاطم الاصنـام هل منك يد   تـذر الظلم صريعا من حطام

قد افتتح قصيدته بدعوة العام الجديد الى الحق والسلام ودعائه لـــه بل ونداءه له ان يكون بشير حب ونور الى هذا العالم البائس بالاحداث الداميه

ولأنور العطار ايضا قصيدة عنوانها النبى اليتيم ، فهو يتخذ منه مبـــدأ روحيا متعاليا يفيض على الكون السلام وعلى الناس الفرح والطمأنينه وهى اسمـــى معانى الانسانيه (١)•

يانبي الهدى مننـت علينـــا   مننـا مـن ندى الاله جسامـا

صغت منا العقد الذى زين الكـــون واضفى على الوجود وئامـا

وغسلت القلوب من عنت البغض   وفجرتها هوى يتسامـــــــى

وبعثت الصفاء فى عالم الـروح   وجنبتها القلى والخصامــــا

وملأت النفوس حبـا واحسانـا   ورضت الارواح والاجســـاما

أما عدنان مردم فيتخذ من ذكرى ميلاد المسيح دعوه الى المحبه الانسانية والحنان وترك التحجر والقسوة اسوة بالمسيح •

دين بنيت على المحبـه اسـه   وجعلت من ركنيه مايستطرف

فتآلف المقـدان الفـ ـــوده   واسترشد الغاوى وعف المجحف

١ــ جميل صليبا ــ الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام ــ ص(١٧٧)

ضل الذى حسب القساوة فى الورى سببا عليه نجاحه يتوقف

نال الصليب برفقه وحنانه مالم ينله الفاتح المتعجرف

وهكذا اتخذ الشعراء مبادئ الانبياء لاظهار ايمانهم بالقيم الخلقية والانسانية التى اشتملت عليها الدعوه الدينيه الخالصه .

ويعود حافظ ليردد كلمات العدل والحق التى يتكرر سماعها على لسان الغرب فيقول من قصيدته مصر تتحدث عن نفسها :

أمن العدل انهم يردون الماء صفوا وأن يكدر وردى

أمن الحق أنهم يطلقون الاسد منهم وأن تقيد أسدى

انما الحق قوة من قوى الابداء أمضى من كل ابيض هندى

ويصف اعتداء الغرب على الانسانيه وتعطشهم للدماء ، يصف حرب طرابلس وكيف اعتدت ايطاليا على العرب :

عجز الطليان عن أبطالنا فأعلوا من دراريننا الحساما

كبلوهم قتلوهم مثلوا بذوات الخدر طاحوا باليتامى

ذبحوا الاشياخ والزمنى ولم يرحموا طفلا ولم يبقوا غلاما

احرقوا الدور استحلوا كل ما حرمت لاهاى فى العهد احتراما

بارك المطران فى اعمالهم فسلوه ؟ بارك القوم علاما ؟

ابهذا جاءهم انجيلهم آمرا يلقى على الارض سلاما

هكذا اخذت المشاعر تتفتح لتحلل وتنقد معنى المبادئ الانسانية التى نادى بها مؤتمر لاهاى فى تقرير مصير الشعوب ، وبهذه المفاهيم اخذت النفوس تتحسس احوالها لتدرك مبلغ الانسانيه التى ينادى بها الغرب ، فاذا بها قتل وتدمير فتتساءل هذا هو السلام الموعود ؟؟

وللمطران نفثات حرى فى دعوته الانسانيه الممزوجه بقوميته ومطالبته

بالحق والعدل والشورى فى الحكم فى قصيدته حيه للمجاهدين فى المؤتمر الوطنى ببروكسل .(١)

الحكم شورى لاتفرد صالـح ... فى غير حكم الواحد القهار
لاتستزق عشيرة وديارها ... لعشيره غلابة وديار
العدل إن يقصد فليس بكائن ... فى نكر معرفه وغصب جوار

الى أن يقول :

ماذا عليكم ان تكون شعاركم ... هذى المطالب وهى خير شعار
لستم بسفاكى دم ، لستم الى ... غير الحقيقه طامحى الانظار ..... الخ

وكثير من قصائد مطران تتجه هذا الاتجاه فى التنديد بالظلم وطلب الشورى فى الحكم ، وذم الحكم الفردى ، كقصيدته " بزرجمهر " و " نيرون "

ولا يصمت احمد محرم ايضا عن ان يخاطب العدل الذى اذاعه الغرب على الملأ فيقول فى قصيدته عن فلسطين : (٢)

انّ الذى زعم السلام مراده ... جعل الدماء سبيله والمركبا
ان كان قد غمر الزمان وأهله ... كذبا فمن عاداته أن يكذبا
ما كان اصدق نسكه لو أنه ... رحم البرئ ولم يحاب المذنبا
يهذى بذكر العدل فى صلواته ... أرأيت عدلا بالدماء مخضبا

ونسمع احمد الكاشف يبشر بالاشتراكيه التى تحقق العدالة الانسانية فى رأيه ، وذلك فى اعقاب الحرب العالميه الاولى ، وبعد توقيع معاهده الصلح فى فرساى عام ١٩١٩ ، وفى هذه الابيات يوضح ماتهدف اليه هذه الكلمه وما تعنيه . (٣)

للاشتراكيه العقبى اذا شملت ... شتى الشعوب وجاراها المجارونا
فلا الكثيرون ملكا للاقلينا ... ولا الاقلون ملك للكثيرينا
ولا نرى واحدا ملأى خزائنه ... بالمغنيات والاقا يجوعونا
ولا نرى درة فى رأس محتكم ... تهفو اليها قلوب المستظلينا

١ــ بد الرحمن الرافعى ــ شعراء الوطنيه ــ ص ١٧٢

وبذلك كان الكاشف من دعاة السلام والعدالة والمساواه والحريه ، فهو لا يفتأ يذكر ويندد بمبادئ ولسون وكيف تنكر لها حلفاؤها .

دانت لعسكر ولسون جبابرة | وأين ماصنعت آراء ولسونا
اغرى البريه باستقلالهم ونأى | عنهم وهم بالذى اغرى يهيمونا

نعم لم يطالب العربى فى شعره الا هذه الانسانيه لتريحه من كبت وقهر واستبداد فهو متعطش لها متشوق للحصول عليها ينادى بها اكثر من قائليها ومبتدعيى صورتها .

ولا استطيع أن انهى حديثى عن الانسانيه والقوميه فى الشعر الا أن اذكر محمد عبد المطلب فى ذلك ، فهو يخاطب ولسون ويحدثه عن السلام والعدالة التى نادى بها بعد فظائع الانكليز فى ثوره ١٩١٩ ، وفتكهم بالقرى الوادعه الامنه فيقول

يا ناشرى علم السلام ألم تروا | للسلم فى ارجاء مصر مجالا
ما العدل ، ماحرية الامم التى | سارت رسائلكم بها ارسالا
ماعهد ولسون اين ولسن هل درى | انا بمصر نكابد الاهوالا
أمن العدالة عنده ان يبتلى | شعب يريد بأرضه استقلالا

٤

لقد خاض الشعر القومى معركته الانسانية ، لم يكن داعيه عدوان وتحكم واستعمار ، بل كان داعيه مبادئ وعهود وحقوق ، خاض المعركة فاستطاع بصوته أن يهزم دعاة الاستسلام ، دعاة الخنوع من اجل مبادئ لم تحققها الشعوب التى نادت بها واقرتها فى صكوك وبنود ، بل داستها فى سبيل مطامع لاحت لها وآرب ارادت الحصول عليها . ولو لم يمر الشعر القومى بتجارب قاسيه ويعانى الضيق

والاضطهاد ، ويحس بالقيد يؤلم رجليه لسمسا بشعره القومي وحلق في أجوائه . لكنه خاف منه وخاف من المغالين في انسانيتهم اولئك الذين يريدون ان يبعدوه عن المعركة ويلجئوه الى الاستسلام لمهاجميهم ، ونادى بحريته وطالب بالمبادئ التى أعلنوها اذ لايمكن أن تحققها الامة الا بعد ان تحقق وجودها وتحس بكيانها . فاعترف بأنه يريد العدل والمساواة ، واعلن انه يريد الاشتراكية التى تحقق له هذه المساواة ونادى بالحقوق التى هى حق لا يمكن ان يؤخره عن نيلها مغتصب .

والشاعر يصور زعامة تحرر انسان يشمئز من الدماء والحروب وتثور نفسيته لرؤيه الضحايا البشرية تذبح على مذابح الطمع البشرى، وشعر بالبؤس والشقاء بالفقر الذى يجثم على صدر الامه فحاول أن يحررها ، لذلك كانت نداءاته من الاعماق من صميم احاسيسه البشريه .

لقد خاض الشعر معركه وجوده الانسانى ، فلم يحصل بذور الطائفية الضيقة بين جاربها وخاض معركتها ، ولم يتهاون في المذاهب الاقليمية الضيقة بل ثار عليها وحاول ان يهزمها ، ولم يرض بالتجزئه التى تضع الحدود وتفرق الاقاليم بل جاهد ليسمو فوقها ، فكان بذلك يدعو الى قوميه منطلقه تعتبر خليه حيه من خلايا الانسانيه ليست عدوانيه او متعصبه .

لقد خص الشعر رسالة الانسانيه الايجابيه فشارك فيها مشاركة فعالة سواء كان في التعبير عن شعوره اتجاه شهيد ارلنده ، او في التألم لمن نكبوا في زلزال مسينا .

وكذلك انتصاره لثوره اليابان الى غير ذلك من الاحداث التى كانت تهز انسانيته ، فالشاعر فنان يغرس في شجرة الانسانية بذوره لتنمو وتعلو وتظلل اكبر قسم من هذا الوجود .

٥

كان الشاعر القومى فى دعوته للانسانيه وندااته المتعاليه فى المطالبـــه بمبادئها انما يفعل ذلك مدفوعا بنفثات قويه من مشاعره الوطنيه واحاسيسه القوميه، فكانت انسانيته تعزيزًا للحريه التى يطالب بها وتثبيتا لدعائم كيانه القومى ، يحافظ عليه من أيدى المغتصبين والطامعين .

لم يكن الشاعر فى دعوته الانسانيه ينادى بسلام العالم بينما يجد النـار تأكل ارضه وتهدم بيته وتشتت قومه ، بل كان أيجابيا خلاقا فى بيئته من اجل سلام البيئة الاجتماعية كلها . وكيف ينادى بالانسانيه العامه اذا لم يجد بذورها فـــى مجتمعه الخاص الذى يعيش به والذى يشكل حياته وحياة قومه ؟.. بل كيف يؤمـن بشعاراتها التى يعلنها ساسة العالم وقد وجدها المستعمر ينتهك حرماتها فى بيئته، وتستغل هذه الشعارات فى قهره وظلمه وابادته .. ؟؟ لذلك ليس بغريـــب أن نجد شعره الانسانى شعرا خاصا ضمن دائره شعوره القومى مما جعله يعتبر الانسانية صمامــا لابــد لوجوده وتحقيقه حتى يعيش فى ارضه بأمن وسلام .

لاننكر انه لم يظهر بين شعرائنا القوميــن شعراء فى الادب الانسانــــى العالم يلهبون مشاعر الناس فى العالم كله امثال روسو وهيجو وتولستوى ، لكن هـذا لاينفى احتمال وجود هذا النوع من الشعراء الانسانيين العالميين فى المستقبـــل وخصوصا بعد استقرار الوضــع السيــاسى وانتقـال الوطن الى مرحلـة أخـــرى مـن مراحـل البنـاء القـومى الصحيـح علـى أســاس مناصـــرة الحـق الانسانى فـى العالـم كلــــه .

التجمعات العربية فى الشعر

أطلعنا على معركة الشعر التى خاضها من أجل الدفاع عن كيانه القومى ، فكان داعى سلام لا استسلام ، وداعى عزه وكرامه ، داعى وحده وداعى قسوه ، ورغم التجزئه ، بل ورغم مؤامرات المستعمر ، وقف الشعر القومى يكشف المؤامرات ، ويحذر الامه العربية من كل ما يدبر لها فى الخفاء ، وكانت تبدو فى الافق العربى بين فترة واخرى تجمعات قومية عبر عنها الشعر فى مناسباتها وكأنه بذلك يؤكد اصاله القوميه العربية وقوتها ضد أى تيار مهما كانت روافده .

التجمع السياسى فى الشعر

١

يقول فؤاد صروف " ان الاساس فى النهضة الصحيحه هو الاحساس بالكرامه ، والاحساس يتيقظ ويستمر بالانتساب الى آباء أو اجداد نفخر بهم ، وماض نباهى به وامجاد تغنيها ".(١)

لا شك أن ظاهره التجمع لم تكن تبدو فى الافق العربى قبل أن يشق الوعى طريقه الى النفوس فيهزها بعنف لتستيقظ ، فلما التفت ادبنا الى الماضى يستمد منه القوه على النهوض ويستلهم منه الصبر على الشدائد والعمل من أجل عوده الكرامه والعزه العربية ، فكذلك التفت الى حاضره يوليه عنايته ويعيره اهتمامه ليستمد منه حقائق الوجود القومى ، فيعبر الشعراء عنه بقوه وحراره لأنهم يحيون واقعهم ويعيشون تجربته الحيه .

١ـ انيس المقدسى ـ الاتجاهات الادبية فى العالم العربى الحديث ص ١٧٨ ط ٢ دار العلم للملايين ببيروت .

٢
=

وباستعراضنا الاحداث التى كانت تمر بها البلاد العربية نجد تجاوبا عاطفيا عميقا فى التعبير عن الاحاسيس والمشاعر بين أبناء البلاد العربية ، فثورة مصر تحظى باهتمام الشعراء جميعهم لأنها ثورتهم .

وسعد زغلول عند العرب جميعا رائد عربى يؤتم به وتتجه الى جهاده افئدة العروبة تحوطه بمشاعرها ـــــــ ، ففى نهضة مصر نهضة الامة العربية كلها ، الم يقل فيه محمد الشريقى (١)

ان العروبة يازغلول قائدنا فاجهر كما جهر الاتراك والعجم

وامدد يديك وصافح كل من نطقوا بالضاد يقبل عليك القوم كلهم

ولم يكد نعى سعد زغلول يصل الى اسماع الشعراء فى البلاد العربية حتى بادروا يعبرون عن مشاعرهم ويبثونه احاسيسهم وآمالهم . ولن اشير الى الشعر الذى زخرت به دواوين الشعراء فى مصر فهذا كثير جدا ، ولكنى اشير الى ما حفلت به دواوين الشعراء فى الشام .

فأمين ناصر الدين يقول (٢) :

الا قل لمصر إن فى كل موطن أسى كاساها يستمر ويشتد

متى تكسف الشمس استوى الناس لهفة على النور الا من عيونهم رمد

ويعبر عبد الرحيم مصطفى قليلات (٣)

ياسعد ان الوعد حق وما ذا الوعيد للشرق سوى نكبته

ماكان للكل به كعبه وقبرك اليوم لنا كعبته

ونسمع فى فلسطين اسكندر الخورى (٤) :

١ــ ديوان الثورة ص ٤٢

٢ــ ديوان الالهام ص ١٦٦ ــ مطبعة الصفاء بلبنان .

٣ــ الديوان ص ٢١٩ "مطبعة الكشاف ببيروت"

٤ــ ديوان من المعلوم المجهول ص ٥٣ مطبعة بيت المقدس .

يامصر خطبك خطبنا وكما　　تبكيه نبكيه ونكتئب

ما سعد الا العرب قاطبه　　ما سعد الا للبلاد أبي

وهاهو الخطيب يشارك بمشاعره فقيد العروبه ،وقبلة الشعب العربي جميعه (١).

يارافع الصوت ينعى المفرد العلما　　زلزلت فى الشرق ركن الشرق فانحطما

فما الرياح تهز الارض صاخبة　　ولا الخضم يسد الافق ملتطما

اشد من صوتك المرهوب رجع صدى　　فى الخافقين يصب الويل والنقما

ولا يقف الامر عند رثاء سعد ، بل كثيرا ما واكبه شعراء الشام وتتبعوا خطواته فى لندن ، وتذكروه ومجدوه وهو فى سيشل • وحيوه وهو يجاهد للتحرر من الانكليز لتحصل بلاده على استقلالها •

فشبلى الملاط يقول من قصيدة له (٢):

هى الفواطن حتى انقضى زغلول　　فتى النيل كالباز فليهنأ به النيل

لبى الى مركب وعروفى يده　　سيفان للحق قرآن وانجيل

ونجد بعض الشعراء لايصمت حتى عن مشاركته الم مرضه وتهنئته بابلاله منه • فمحمد كامل شعيب العاملى يقول له (٣):

ان لم يكن لك فى الاقدام اقران　　ففى علاك سنام الفخر يزدان

....

فانما مصر ما أبصرت عن كثب　　غمد وانت لها نصل وعران

بشرى لعينك لا يحزنك صحبهم　　فأنت انت لعين العرب إنسان

ولقد اصبح سعد مثالا فى الجهاد القومى لكل الامم العربية المجاوره

---

١ ـ ديوان الخطيب ص٦٠ طبعه اولى ـ دار المعارف بمصر•

٢ـ ديوان الملاط • ص٢٢٥ ـ المطبعة الادبيه ببيروت

ويقول انيس المقدسي :

بموت سعد بلغت الحماسة الشعرية أعلى درجاتها . فنظم في مصر كما نظم في سوريا ولبنان والعراق والمهاجر ما لا يستطاع حصره الا في مجلد خاص ، من مراث تصف مناقبه العاليه وكفاحه الوطني المجيد . وقد اقيمت له حفلات تذكارية متعددة نذكر منها خارج مصر تلك التي اقامها العراقيون في بغداد سنة ١٩٢٧ ، وأدباء المهجر البرازيلي في سانبولو سنة ١٩٢٨ ، وقد اشترك فيهما ابرز الادباء من هذين القطرين .(١)

٣
=

وكما التقى الشعراء في مصر زمن ثورتها ضد المستعمرين ، وكما بثوها مشاعرهم والتفوا حولها يؤيدونها باحاسيسهم ويستمدون منها القوة على النضال والكفاح لأنه جزء من كفاحهم ووجه من وجوه نضالهم ، فكذلك التفوا حول الثورة السورية وخاضت احاسيسهم ميادين كفاحها . فاستطاعت الثوره السوريه أن تكون بعد ثوره مصر كعبة الشعراء والخطباء والناثرين يستمدين منها نبضاتهم الحاره المتدفقه .

لقد نظم في الثوره السوريه وحركتها الوطنيه شعر كثير اشتركت فيه جميع الاقطار العربية ، ففي مصر مثلا شوقي وحافظ ، وفي العراق الرصافي والزهاوي ، ومن المهاجر السورية كثيرون كالشاعر القروي وفرحات وجورج صوايا وغيرهم ... ومن لبنان وفلسطين مصطفى الغلاييني وعلى الحوماني وابراهيم طوقان وفتى الجبل بالاضافة الى شعراء سوريه العديدين .

ويعترف السوري بفضل مصر له فيشير اليها اشارة الاجلال والتقدير فلم تضع مصر في نظره ذمم الوفاء الذي تسلسل في دم الزمن وبهذا يقول خير الدين الزركلي :

١ــ انيس المقدسي ــ الاتجاهات الادبيه في العالم العربي الحديث ص ١٦٢ طبعة ٢ ــ دار العلم للملايين بيروت .

غضبت لسوريه الشهيد ه أمـــه   فى مصر تطفى غله الاعصـــار

وجت لها ذ مم الوفاء فلم تضـع   عهدا تسلسل فى د م الاعصـار

لله والتاريخ والد م واللغـــة   حق وللاجيال والاوطـــار

واذا العرى انفصمت تولى اهلها   ضيم المغير بخطبه الكبـار

ولم تؤد مصر واجبها العملى تجاه الشقيقه سوريه فتمد ها بالمال فحسب بل واكب المص احاسيس شعرائها فنظموا ابلغ الشعر وأجمله فى مناصرة الثـــوره السوريه ومساند تها •

فأمير الشعراء الذى كان قبل الحرب العالمية الاولى يتكلم عن الـــروح الوطنية فى مصر وحدها نجد ه يحمل قيثارته بعد الحرب العالمية ليعزف على أوتـارها ماتثيره فى نفسه احاسيسه تجاه العالم العربى كله • كان يذكر العروبه على هامش مدائحه فى الترك أو فى الرسول الكريم • فاصبح يتغنى بالنزعات الوطنية القوميـه ، ويقف من العرب موقفه من مصر فيتغنى بأمجاد هم الماضيه وثوراتهم الحاضره ويحـس احساسا قويا بأن مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد العربية اسرة واحـــد ه •

وكان له من القدره فى التعبير ماجعله يبز معاصريه فى كل ناحية لمسها بل ماجعل العرب انفسهم يعد ون بعض قصائد ه كأنها صحائف لهم (١)

وفى مقد مه مانظمه شوقى قصيد ته النونيه عام ١٩٢٥ مصورا مشاعر السوريين ضد الاستعمار الفرنسى (٢):

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا   مشت على الرسم احداث وأزمـان

وهو يعبر عن ألمه لمصاب سوريا ذاك الذى ربط مصائرنا مدى الدهـــور وكون تاريخنا الماضى بكل مافيه • كما يعترف بقوه اللغه التى هى من أولى دعائم العروبه

١ــ شوقى ضيف ــ شوقى شاعر العصر الحديث ص١٥٦ــ١٦٠ ــ المعارف •

٢ــ الشوقيات جـ٢ ، ص ٩٥

ونحن فى الشرق والفصحى بنو رحم　　ونحن فى الجرح والآلام إخوان

ولا تقل قصيدته التى قالها عام ١٩٢٦ جمالا وقوه فى الروح عن النونيه ، تلك التى مطلعها (١) :

سلام من صبا بردى أرق　　ودمع لا يكفكف يا دمشق

وهو يستخيل فيها ذكرى تاريخ دمشق وماضيها المجيد ، ويقول فيها :

ويجمعنا اذا اختلفت بلاد　　بيان غير مختلف ونطق

وعندما استقلت سوريا كان شوقى اول المهنئين المفردين باستقلالها وأول المترجمين على شهدائها . يذكر معركة ميسلون ويذكر بطلها يوسف العظمه الذى قضى نحبه وهو يذود عن حياضها ضد الفرنسيين .

سأذكر ما حييت جدار قبر　　بظاهر جلق ركب الرمالا

مقيم ما اقامت ميسلون　　يذكر مصرع الاسد الشبالا

لقد أوحى الى بما شجانى　　كما توحى القبور الى الثكالى

ويشترك عباس محمود العقاد فى عيد الاستقلال السورى (٢)

ربح الشآم أعامر أم خال　　اليوم عيدك عيد الاستقلال

إنى لأرجع بالسؤال أطيله　　لو يملك الشهداء رجع سؤال

ويهب رشيد سليم الخورى فيحمل على مسقط رأسه لبنان حمله عنيفه لأنه لم ينصر سوريه فى محنتها ، وغايه الشاعر أن يبين لدعاة التفرقة أن الثوره قوميه لا مذهبيه . (٣)

لبنان يا لبنان بى ماضرنى　　لو قلت يا بلدا بلا سكان

خفضت جبالك شامخات رؤوسها　　بالعار واندكت الى الاركان

١ـ　الشوقيات جـ ٢ ص ٧٠ ـ دواوين .

٢ـ　عباس محمود العقاد " ديوان من دواوين " ص ٢١٣ . مطبعه الاستقامه

٣ـ　الاعاصير ص ٣٣ ـ مجلة الشرق ـ سان باولو .

إن كان للدين الدروز تعصبوا　　أرنا التعصب انت للأوطان

حوران هب الى الحسام كأنما　　هو وحده العانى وأنت الهانى

ثم يشير الى فرنسا تلك التى سامت لبنان الخسف والذل فيقول :

والله ماذاق الذى قد ذقته　　من جور أمك احقر العبدان

أوليس فى لبنان عرق نابض　　أو ليس فى لبنان من متفسان

أين التراث ، تراث ابطال الحمى　　أين البقيه من بنى غسان

لاتنكروها فالدم العربى قد　　جلت أصالته عن النكران

ويعاتب لبنان فى موضع آخر على وقوفه على الحياد فى ثوره حوران وهو يستنكر موقف لبنان اذ يتساءل (١)

رأيتك قد وقفت على الحياد　　أ أنت من الصحاب أم الاعادى

وكنت اذا عدت أدنى العوادى　　على لبنان أغلقت النوادى

وأزعجت الحواضر والبوادى

ويقول ايضا واصفا ما اصاب الشام : (٢)

تموج فلا تلقى مماجا　　وقد نسفت صوائمها فجاجا

وبانت جنة الدنيا جحيما　　وكوثرها جرى ملحا أجاجا

ولاينسى على الحومانى ان يعبر عن آلامه لنكبة دمشق وما حل بها فيقول من قصيدة مطلعها : (٣)

مجد العروبه أقفرت عرصاته　　والضيم حل به فأين أباته

الله للاسلام هدم صرحه　　والى الحضيض تساقطت شرفاته

ولم يصمت حافظ ابراهيم فى قصيدته عام ١٩٢٩ أن يلتفت الى الشام ويبثها مشاعره التى اثارتها مقابلة الشاميين له وحفاوتهم به : (٤)

١ـ ديوان الاعاصير ص ٦١ مطبعة مجلة الشرق x سان باولو .
٢ـ " " ص ٨٩ ـ " " "
٣ـ " الحومانى ص ٩ ـ " العرفان ـ صيدا .
٤ـ " حافظ ابراهيم ص ١٢٣ ـ طبعة ٤ ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة .

أبت اميه ان تفنى محامدها   على المدى وأبى أبناء غسان

فمن غطارفه فى جلق نجب   ومن غطارفه فى ارض حوران

عافوا الذله فى الدنيا فعندهم   عز الحياه وعز الموت سيان

أنى التقينا التقى فى كل مجتمع   أهل بأهل واخوان باخوان

ولم يصمت شعراء العراق عن التعبير عن آلامهم لنكبة دمشق . تجلى في تعبيرهم حزنهم الشديد على عاصمة الامويين وتساندهم معها فى مأساتها .

فمعروف الرصافى يقول : (١)

اذا هى مدت فى الدجنه صوتها   تميد له فى الغوطتين غصون

وتلهب منه فى الفضاء شراره   فتبصرها فى الرافدين عيون

وتهبو له فى ساحل النيل هبوة   أبو الهول منها واجد وحزين

٤

ولم يكن تجاوب العرب نحو لبنان باقل منه فى جميع اقطارهم نحو مشاكل البلاد العربية ، فقد وصلت أنباء الاعتقالات والاشتباكات التى وقعت بين الفرنسيين واللبنانين الى الدول العربيه ، وكانت قد بلغت شأوا لايستهان به فى الوعى القومى ، فقامت فى العواصم العربية مظاهرات قويه تندد بجرائم فرنسا ، وتفند الرأى القائل أن العدوان الفرنسى حادث محلى ، كما بادر ملوك العرب ورؤساؤهم للاحتجاج على انتهاك حرمه الحكومه اللبنانيه المستقله ودستور الشعب الحر ، هذا الاستنكار العام الذى انطلق فى الجو العربى جعل بريطانيا وامريكا تقفان موقف الساخط على فرنسا ، ففى مصر أرسل النحاس باشا برقية احتجاج شديده اللهجه وانذر بقطع مصر علاقاتها مع اللجنة الفرنسيه . وفى العراق طالب البرلمان بوعد رسمى بخصوص عرض مسأله لبنان على مائده الصلح ، وفى شرق الاردن احتجت الحكومه رسميا

١ـ الديوان ص ٤٥٤ ـ طبعة ٤ ـ الاعتماد ـ القاهرة .

وفي فلسطين كان الاضراب العام يعبر عن سخطهم وغضبهم ! وارسل ابن سعود استنكارا الى تشرشل وروزفلت وكذلك فعل الامام يحيى كما احتجت الجاليات اللبنانيـــــه والامريكية على أفعال فرنسا ومكائدها .

وكانت المناقشات شديده في المجلس اللبناني السوري (١)

وهكذا نجد حركه التجمع العربي تقودها جموع الشعب مع الحكومـــات تشتد وتقوى في هذه الفترة مما يدل على تقدم الوعي والخروج من نطاق القـــول الى نطاق العمل مما يختلف عما أتخذ من خطوات اتجاه ثوره مصر وثورة سوريـــا .

ولو كان شوقي معاصراً لها فلا ريب اننا كنا سنسمع صوته قويا مجلجـــــلا في التعبير عن الوعي القومي الجديد .

ولم يقصر شعراء العروبه في مشاركتهم الادبيه للثوره اللبنانيه وقد عبـــر كثير من الشعراء العرب عن أحاسيسهم ومشاعرهم ، فعلى الجندى يقول مخاطبــا ديجـول (٢):

ديجول قل لى ـ هداك الله ديجول ... أأنت عما جرى في الارز مشغول

أعطيت لبنان عهدا ماوفيت بـــــه ... فكيف فاتك ان العهد مسئول

انا غضبنا للبنـــان وســاكنــه ... والارز شاطره احزانه النيــل

كلا الشقيقين صان الله حوزتـــه ... أبناؤه العرب الغر البهاليـل

ولم يصمت على الجارم ازاء ما اصاب لبنان فيقول من قصيده له (٣):

هاج شوق الواله المضطـــرب ... حلم شق ظلام الحجـــب

جرد الليل عليه غيهبــــــا ... فتخطى عقبات الغيهب

١ـ احمد طربين ـ الوحده العربية ط٣٠٠ ـ معهد الدراسات العربية العالية

٢ـ ديوان "اغاريد السحر" ص١٨٦ دار الفكر العربي

٣ـ " على الجارم جـ ، ص ١١٣ ـ المعارف .

وكذلك نجد الشاعر عزيز فهمي يعقب على حوادث لبنان ، فيوليها عنايته ويبثها مشاعره ويعترف ان الغضبة المصرية التي انطلقت من لبنان هي التي حققت له حريته وصانتها بعد أن أوشك الغادر المستعمر أن يقضي عليها فيقول [(١)]

لبنان يا جار الدروز وغابهم وعرين كل مظفر مشماع
عاثت ذئاب في الثرى وتفززت ما بين غاطشه وبين جياع
أن التي زعمت حقوقك منحة سلبتك هذا الحق بعد خداع
ردته غاضبة ولولا غضبة مصرية ما ارتد بعد ضياع

٥

وظهر في الشعر تجمع آخر كان تعبيرا للعربي عن الامل الذي كان يعقده بقيام دولة عربية على يد الحسين بن علي ، وتعلق شعورهم بفيصل ابن الحسين ، فهو عندهم آنذاك بطل العروبة وحامل لوائها مما دفعهم الى أن يعقدوا عليه الآمال. فما أن وصل الى سمعهم موته حتى عبروا عن فجيعتهم جميعا وفي كل قطر عربي ، فأقيمت له مآتم في مختلف الاقطار العربية وفي المهاجر . وتقدم شعراء العروبة بمراثيهم فلا نجد أي ديوان من الدواوين تخلو من ذكره وتعداد مآثره والحزن على فقده .

فالدكتور ابو شادي يخاطبه قائلا :

هكذا هكذا شعوب تيتم ايها الموت ساء غنمك مغنم

وعلي محمود طه يقول :

تألق كالبرقة الخاطفة وجلجل كالرعدة القاصفة

ولوديع البستاني :

قمر وبنت الفجر والثقلان يوم الخميس بحضرة الجثمان

١ـ ديوان عزيز فهمي ـ ص ٩٠٤ ـ دار المعارف بمصر .

ولحليم د موس

هوى من سما عليائه بعد أن سما فسالت عليه دمعه الارض والسما

ولصلاح اللبابيدى :

كفكف دموعك واعد شجو المأتم فالموت من جند المليك الاعظم

وقصيده بشاره الخورى :

لبست بعدك السواد المواصم واستقلت بك الدموع المآتم

هذا غير الاناشيد الكثيره التى كتبت فى ذلك الوقت كنشيد الكشاف المسلم فى صيدا :

دافعت بالصدق عن حرمه الحق

والناس قد كانت فى الغرب والشرق

وقد تجددت العواطف القومية بموت الملك غازى ، فقيلت فيه مراثى كثيرة فياضة بالمشاعر العربية ، وقد اقام العراق مأتما كبيرا اشترك فيه شعراء العربية جميعها ولسان حالها يردد مع الشاعر المصرى على الجارم . (١)

أتينا لنقضى للعروبه حقها يسابق وفد فى تلهفه وفدا

وهكذا نجد الادب العربى مايزال يحلم بمجد القومية الكبرى القائم على التحارب التام ، وكان شعور الشعراء آنذاك دعوة قوية لتأسيس المملكة العربية المتحدة ذات العرش الواحد ، ولارجاع مجد العرب القديم ، وطبيعى ان يولوا وجهتهم شطر فيصل آنذاك فيتمثلوا فيه زعيما قوميا يمكنهم ان يستندوا عليه لتحقيق آمالهم ، اذ لم يكن أمامهم وقتئذ غير هذا الأمل يتعلقون بأهدابه ويولون وجوههم شطره .

١ـ الديوان ـ جـ٤ ، ص ٨٤ ـ مطبعة المعارف .

فلسطين نداء بعث ويقظــــة

للتجمع العربي

لحوادث فلسطين ونكبتها مآثر شديدة الأهمية في خلق شعور عربي سياسي موحد ، فكانت أهم عامل ايقظ العرب ودعا لضرورة وحدتهم .

فمنذ وعد بلفور الى النكبة وفلسطين الناقوس الذي كان يعلو صوتــــه باستمرار منذرا العرب ومحذرهم من التجزئة ، والناقوس الذي ايقظهم من غفلتهـــم ليحسسوا أمرهم ويتدبروا مواطن دائهم . ومنذ وعد بلفور والفلسطينيون يحاولـــون جهدهم تحقيق الوحدة العربية كلما ظهرت في الافق بوادر أضوائها ، وكلمـــا لاح لهم بريقها ، التفوا حـــول الحسين فخابت آمالهم وتعلقوا بفيصل وباعـــلان الدولة العربية في سوريه فطامنت احلامهم ، فلم ييأسوا بل ثابروا في جهادهـــم الداخلي بالطرق التي تمكنهم أمكانياتهم من التعبير عنها ، وكان التجاوب ونمـــو الوعي القومي الجماعي من ثمراتها الى أن كانت الكارثة وحلت بفلسطين النكبـــة .

وقد قام الادب العربي والشعر بنوع خاص بدور كبير في التعبير عن المشاعر وتنبيه الامه العربيه وتحذيرها ، فكان عامل تذكير واثاره كما كان عامل تجميع للمشاعـــر العربيه في اطارها الادبي . فلم يخل ديوان من دواوين الشعراء دون ذكرهـــا بل لم تخل سنة من السنوات دون أن تذكـــر على ألسنه الشعراء ، وفي المحافل الادبيه ، ويجول ذكرها على كل لسان ، فكانت القضية القومية الاولى التي بـــدت في افق الفجر العربي الجديد .

فجمعية الرابطة القلمية الادبية في النجف جمعت مجموعه من الشعر الذي نظمه شعراء جمعية الرابطه العلميه الادبيه في النجف الاشرف عن كل مايختـــص بفلسطين ، فمن الشعراء الجواهري ، اليعقوبي ، والجعفري .... الخ

وغيرهم كثير اطلقوا على الكتاب اسم "الفلسطينيات" كما وضع الشاعر وديع البستاني ديوانا آخر أطلق عليه ديوان الفلسطينيات ، ولم يكن يقام احتفال ادبي أو سياسي أو علمي الا وتكون في كلمات الخطباء والشعراء الحديث الكثير عن فلسطين • ففي عام ١٩٢١ قدم الوفد الفلسطيني الى مصر فتبارى الشعراء في تكريم هذا الوفد والاحتفال به • وفي ذلك يقول الكاظمي شاعر العرب (١)

يرى العرب فرضا زعي رد حليفها

أذا جد في رد الحقوق تشرشل

وان لم يكن حكم اليراع بصادق   فان رجوع السيف في الناس اعدل

بني المجد ان شد الزمان عليكم   فشدوا واما يجهل الدهر فاجهلوا

وأثناء زياره الوفد الفلسطيني للنجف أقيمت له حفلات كثيره تردد فيها قضية فلسطين والصهيونيه وغدر الحلفاء ، وتنبأ فيه الشعراء بوحدة العرب بحيث تكون فلسطين هي السبب في تحقيقها • وفي ذلك يقول محمد علي اليعقوبي (٢)

عسى وحدة للعرب أنتم دعاتها   يلم بكم عما قريب شتاتها

حدادا لما قاست فلسطين انها   عليها الرزيات انقض حلقاتها

اذا اليوم لايطفي شرار لهيبها   فهيهات تطفى في غد جذواتها

تئن فيبكي العالمين أنينها   وتشكو فتشجي السامعين شكاتها

الى أن يقول

وما موتنا بين الورى وحياتنا   مدى الدهر الا موتها وحياتها

وفي المؤتمر الثقافي في لبنان الذي عقد عام ١٩٤٧ ينتقل من التغني بلبنان الى ذكر فلسطين وما يحدث ذكرها في نفسه من الألم (٣):

١ــ ديوان الكاظمي ص ٢٢٤ "المجموعه الثانية •

٢ــ ،، الفلسطينيات ص ٥٥ "مطبعة الغري في النجف"

٣ــ ،، علي الجارم جـ ١ ، ص ١٧٨ ــ مطبعة المعارف •

بنى العروبه أن الله يجمعنــا فلا يفرقنا فى الارض انســان

لنا بها وطن حر نلوذ بــــه أذا تناءت مسافات وأوطان

قلبى وضعهد موعى كلما خطــرت ذكرى فلسطين خفاق وهينان

لقد اعاد بها التاريخ اندلسا اخرى وطاف بها للشر طوفان

ميراثنا فى فتى حطين اين مضى وهن نهايتنا يتــم وحرمــان

ردوا تراث أبينــا مالكم صلــه به ولا لكم فى امرنا شــان

بنى فلسطين كونوا أمه وبــدا قد يحتفى فى ظلال الورد ثعبان

وكيف يأمن رعيان وان جهــدوا اذا تردى ثياب الشاه سرحان

وكان وعد بلفور وصهيون والحديث عنهم ماده لكثير من شعرائنا ومثــارا للمآسى فى نفوسهم • فيقول رشيد الخورى يذكر الانكليز ان الله اكبر من وعودهــم[١]

الحق منك ومن وعودك اكبــــر فاحسب حساب الحق يامتجبــر

الى أن يقــول :

تعد الوعود وتقتضى إنجازهــا مهج العباد خسئت يامستعمــر

لو كنت من أهل المكارم لم تكن من جيب غيرك محسنا ياابلفــــر

ثم يذكر الشاعر العربى الغرب بالحروب الصليبيه وبصلاح الدين ونهضته ووثبته على اعدائه ، فيدعوه ليقدم هؤلاء المدعين درسا لــن ينسوها •

يدعوك شعبك ياصلاح الدين قم تأبى المروءة ان تنام ويسهــروا

نسى الصليبيــون ماعلمتهــــم قبل الرحيل فعد اليهم يذكروا

ريكارد وسادارى بسيفك منهمــو فليسألوه لعله لا ينكــــــــر

وفى استنكار وعد بلفور يقول الحومانى اثناء المظاهرات التى اقيمت فــى الشام معبيرا عن سخطهم لهذا الوعد واستنكارهم له •[٢]

١ــ ديوان الاعاصير ص٧١ ــ مجلة العصرى ــ سان باولــو •

٢ــ الديوان ص١٨ ــ مطبعة العرفان

لفلسطين فى الشام يسد | لا يخفى عنها لبنــــان
فرق حفظ الاوطان لهم | دين وهواهــنا ايمــان
ان فرقها بلفــور فقــد | وحدهـا قبلا عدنــان
هتفوا والحرب تهددهم | لتمـر لتحيا الاوطـان

وفى صهيون يتحدث على الجندى فيذكر العرب أن تل أبيب قاعـده إن قدر الله لها البقاء فسينطلق اليهود منها على عمان أو حلب .(١)

صهيون داء اساه الدهر ترهبه | لا تعدلن به سلا ولا جربا
وهو الجراد اذا أخنى على بلد | رعى ازاهيره واستأصل العشبا
ما اختار تل ابيب غير قاعــده | منها الوثوب على عمان او حلبا

ونجد ابراهيم هاشم فلالى يقول :(٢)

صهيون نال برجسه | مالم ينله بقوسه
خدع السورى بفجوره | وبراحه وبكأسه
جمع الجناة بـداره | ودعى البغاة لعرسه
وأتى يؤسس موطنا | بين الاباة لجنسه

وكانت كل حادثه تجرى وقائعها فى فلسطين نجد صدى لها فى البلاد العربية ففى صيف سنة ١٩٢٩ ، حاول اليهود الخروج على التقاليد الثابته المتعلقه بصلاتهم فى موقع البراق ، فهاج العرب لأنهم فطنوا على مايضمره اليهود من وراء هذه المحاوله من الاعتداء على الاماكن الاسلامية المقدسه ، فنشبت اضطرابـات عنيفه فى مدن الخليل وصفد ويافا وقتل فيها عدد كبير من القتلى اليهود وحاولـت السلطات الاستعماريه مساعدة اليهود كعادتها دائما كلما نشبت اضطرابات وظاهر

١ـ ديوان الحان الاصيل ـ ص ٣٠٤ . مطبعة الاعتماد .

٢ـ الديوان ـ جـ١ ، ص ٩٤

ضعف اليهود ، فألقت القبض على ثلاثة من المناضلين العرب، أعدمتهم على مرأى من الشعب ، وفي ذلك يقول ابراهيم طوقان [١] :

لما تعرض نجمك المنحوس ... وترنحت بعرى الحبال رؤوس
ناح الأذان وأعول الناقوس ... فالليل اكدر والنهار عبوس
طفقت تثور عواصف وعواطف
والموت حينا طائف أو خاطف
والمعول الابدي يمعن في الثرى ... ليرد هم في قلبها المتحجر

ويقول أمين ناصر الدين في هذه الحادثة [٢]

هذي فلسطين فاضمد جرحها الداعي ... وانضح ثرى قدسها بالمدمع الهامي
وقل لأبطالها المستشهدين كـذا ... يموت كل ابي النفس مقدام
جدتم بأرواحكم دون البراق ومن ... اعزه اليأس يأبى ذل احجام
لم تحفلوا بالمنايا عندما اتخذت ... شكل ألقذائف يرميكم بها الرامي
صدمتم الجيش عزلا لاسلاح لكم ... سوى عزائم فكت كل صمصام

ويقول عبد الرحمن مصطفى قليلات أيضا في حوادث المبكى [٣]:

جحدوا فضل بني العرب جحودا ... فاستحقوها قياما وقعودا
اخرجوهم للمواضي بعد أن ... أخرجوهم بلظى المكر كنودا

....

ايها السكناج ما الحق الذي ... فيه اثبتم لصهيون الوجودا
أبفضل والمعالي ما رأت ... فيكم الا حسودا أو حقودا
أم بأصل وفلسطين بكم ... ما حوت الا شريدا أو طريدا

١- ديوان ابراهيم طوقان - ص١٨ " طبعة اولى "دار الشرق الجديد ببيروت "
٢- ،، الالهام - ص ١٩٢ - الغذاء - لبنان .
٣- ،، الهيام - ص ٦٣ " مطبعة الكشاف ببيروت

أما ثوره ١٩٣٦ تلك الثوره التى دارت رحى معاركها الطاحنه بين العرب والانكليز واشترك فيها السوريون والعراقيون والاردنيون مما جعلها بحق ثوره عربيه كبرى فقد قيل فيها الكثير من الشعر نذكر منها قصيده بشاره الخورى بعنوان ياجهادا صفق المجد له [1]:

سائل العلياء عنا والزمانـــا هل خفرنا ذمة من عرفانـــا

المروءات التى عاشت بنـــا لم تزل تجرى سعيرا فى دمانا

وقد اهتزت البلاد العربيه لأنباء القمع والبطش وارهاب الامنين العـــرب وحرق قراهم وتشريدهم من قبل الانكليز . ووقفت الشعوب والحكومات وجماعـــات المفكرين للدفاع عن اخوانهم المجاهدين . ودام اضراب الشعب ستة شهور الى أن توجه غازى العراق ويحيى اليمن وابن سعود وعبد الله بنداء حار لايقاف القتـــال . وانتهى بقرار التقسيم الذى وضعته لجنة بيل فرفضه العرب بينما وجد فيه الاميـــر عبد الله الحل العملى لهذه القضية المعقدة ، وليصبح ملكا على رقعه أوسع من الارض . وبدأ اهتمام مصر يتعاظم وشرعت مصر تتطلع الى العالم العربى وتعنى بشئونه وتتابع الحركة المجزأه فى فلسطين خاصة وفى كل قطر عربى عامه . وبدأنا نسمع صيحات الشعراء فى مصر يسمع صداها افقها هو أحمد محرم يقول عام ١٩٣٨ قصيدة بعنوان وطن يعذب فى الجحيم :

لبيك يا وطن الجهاد ومرحبـــا لبيك من داع اهاب وثوبـــا

وفيه يعترف ان الهدف من هذا العمل هو اصابه العروبه جميعها بنكبـــه وان كفاح ابناء فلسطين انما هو كفاح العروبه جميعها .

انا لنعلم ان أكثر لخصمهـــــم سيخوضنا فى الدماء ليشربـــا

جعلوا الكفاح عن العروبه حربهم وتعهدوه فكان حربا طيبـــا

وبعد أن يهيب بالامه العربية جميعها لتهب لنجدة فلسطين يقـــول

يا آل يعرب من يرينى خالـــدا يزجى الخميس ويستحث المقنبا

من شاء منكم فليكنه ولا يقـــل ذ هب القديم فانه لن يذ هبـــا

ردوا المظالم عن محارم أمــه ردت ظنون ذوى الجهاله خيبــا

لم يعط أوطان العروبه حقها من كان يطمع ان تباع وتوهبـــا

ويقول وديع البستانى فى ذلك (١) :

نادى الملوك فلبينا نداءهـــم ان الرغائب ما شاءوا وما رغبـــوا

سبعون يوما توالت بعدها مائة وسبعه والضحايا فوق ماحسبــوا

فى ذمة الله قتلانا وذمتهـــم دين الى أجل يقضى ولا طلب

وتوالت بعد ذلك نداءات الشعراء تنادى بعروبة فلسطين والذود عن حياضها مهما كلف الامر ، وكان العامل الدينى هو الذى يثير الهمم ويحفـــز العزائم • وكان له المقام الاول فى البذل والتضحية والتأييد الذى نال المسأله الفلسطينيه •

وهكذا توالى الشعر فى الالتفاف حول اولى القضايا القومية يوليهـــا مشاعره وتمده بأحاسيس متنوعه من ذكريات ماضيه وحاضره ومستقبله ، فيهيب بأبناء العروبه جميعهم ان لايكرروا مأساة الاندلس ، وأن يعيدوا سير الابطال فى صد العدوان الاجنبى ، وأن يتحدوا ويتداركوا الامر قبل وقوعه ، وبقى الامر كذلـــك الى ان حدثت المأساة ووقع ما تنبأ بـــه بعضهـــم ، وبذلك فتحت قضية فلسطين تاريخا ثانيا فى حياة الامه العربية بدأوا من خلاله يرون الوقائع ويلمسونهـــا ، ودخلت البلاد العربية فى طور جديد من اطوار البناء للبعث الجديد نتيـــج عنه ثوره مصر والتخلص من الفئة الباغية الفاسدة ، وقتل الملك عبد الله والقضاء على العرش الهاشمى فى العراق وابادته ، واتحاد مصر وسوريا وجولات متواصلـــة فى سبيل تحطيم ادوات العهد البائد عهد ماقبل النكبه ، فقد شعر فيــه العربى

١ـ ديوان الفلسطينيات ص (٢١٦) ـ بيروت •

بالوعي .لوسائل المستعمر وأحابيله في البلاد ، ولن تكون الايام القادمه ببعيده حينما ينتهي الوطن العربي من ذبول الماضي ليندفع بقوته الكامنه في حنايا ابنائه الى عهد جديد وتطور جديد وأمل جديد في وحده عربيه مرتقبه .

لقد كان لكارثه فلسطين مآثره شديده الاهميه في خلق شعور عربي سياسي موحد فكانت أهم عامل أيقظ معنى الوحده العربيه في النفوس ، ونقل الدول العربيه الى الايمان بالقوميه كأساس أول لكرامه الشعب العربي واستعادة حقوقه والحصول على استقلاله .

التجمع الأدبي

لم تكن المهرجانات الادبيه التي جرى المعاصرون على اقامتها احياء لذكرى شعراء العرب سوى تجمعات قوميه حول لغتهم وتاريخهم وأدبهم وثقافتهم يستلهمون منه الماضي البعيد والقريب ليبعث فيهم روح القوه والثقه والاعتزاز بالمستقبل .

كانت تجمعات تضم كل من نطق بالضاد من الشعراء ومن أحس بكيانه وليس لها من قائد سوى الاحساس القومي والتذوق الادبي للغه وتقدير كل من يحمل رايه بعثها ، فالمتنبي والمعري والبارودي والرصافي وشوقي وحافظ ومطران كلهم قادة أمه ورواد ما لهم تراث من الأحاسيس والشاعر غني باللغة والثقافة والذوق ، فأغنوا الادب وأحيوه فحقّ للأمه أن تكرمهم ، ففي اكرامهم اعتراف صريح بقوميتهم بل وايمان بهذه القومية التي كانت الدافع والمحرك لكل عمل جماعي .

هذا مطران الشاعر الذي لم يتخذ من مصر وطنا له سوى شعوره بالرابطه القوميه رابطه اللغه تشده اليها وتربطه بنواديها وأدبائها وشعرائها وصحافتها حتى بطبيعة ارضها ومناخها . نجد مطران عام ١٩١٢ ينعم عليه بالنيشان المجيدى

واذا بالشعراء جميعهم ومن مختلف الاقطار يقدمون نياشينهم هم الاخرون قصائد من الشعر تعبر عن الشعور الكريم لهذا الشاعر فنسمع الشاعر شبلي ملاط الذى اوفد لينوب عن أدباء بيروت ولبنان يقول فيه :

وتصافحت مصر وسوريه بــــه يتعانقان على رضى ووئـام
شمل تعهده وضم شتيتــــه محى القريض ودولة الاقـلام
تجرى العناصر باسمه خالا الى خال وأعماما الـى أعمـام

وهذا حافظ ابراهيم يقول في الاحتفال بدار الجمعية المصرية (١) :

جاءنى عرفها فهاج غرامـا ودعانى فزرتهـا المامـــا
انما الشام والكنانة صنـــوا ن برغم الخطوب عاشا لزاما
أمكم امنـا وقـد أرضعتنـــا من هواها ونحن نأبى الفطامـا
قد سمعنا خليلكم فسمعنــــا شاعرا أقعد النهى واقامـــا
وطمعنا فى شأوه فعجزنــــا وكسرنا من عجزنا الاقـــلاما
نظم الشام والعراق ومصـــر سلك آياته فكان الزمـــانا

وهكذا كان شعره الرابطة الذى جمع البلاد العربيه كما عبر حافظ ابراهيم وقام بقية الشعراء بدورهم فى ذلك فولى الدين يكن يقول :

ملك شعر ومصر ملك بيـــــان هكذا المجد ايها الهرمـان

ولم يصمت الشعراء أمام تكريم مطران عام ١٩٤٧ بل التفوا حوله وقد اشتد الوى وقوى اكثر مما كان قبلا . واقيم له احتفال كبير حضره معظم من استطاع من شعراء البلاد العربية . فعلى الجندى يقول فيه :

ما نلت من شــرف المكـــــا نه والمكـا ن بعــض حقــك
زنت القريض بحسن خلقـــك لاعدمنا حســن خلقـــك

١ـ ديوان حافظ ابراهيم ـ صـ ٣٥ ـ طبعة ٤ ـ المطبعة الأميريـة .
٢ـ الديوان ـ صـ ٥٦

ومحمد الاسمر يقول له [1]:

هل ثم يوم كنت غير مكـــــرم ... فيه وكان الشرق غير مكـــرم

في ظل فاروق وحسبك ظلـه ... زفت اليـك عكاظ أجمل موسم

ابناء يعرب فيه حولك هالــه ... من منجد وافى اليك ومتهـم

وعباس محمود العقاد يقول [2]:

انعم لمحفلـك الـــــذى ... وسع العروبه في عكـان

كرمت باكـــرام النهـــى ... وعلـت باعـلاء البيـان

هي ترجمـت بـك عـن فضـائلهـا فنعـم الترجمــان

لم يبق من شعراء البلاد العربيه شاعر لم يوف لمطران حقه من التكريـــم والاعزاز وما تكريمه الا تكريم للغه والادب والثقافة ، وما الاعتزاز به سوى اعتزاز بالبيان العربـي •

واجتمع الشعراء في دار الاوبرا لمبايعه شوقي باماره الشعر عــام ١٩٢٧ • وذلك في مهرجان ادبي كبير قال شوقي فيه قصيدته [3]:

يا عكاظ تألـف الشرق فيــه ... من فلسطينه الى بغدانــه

افتقد نا الحجـاز فيه فلــم ... نعثـر على قسه ولا سحبانه

ولم ينس شوقي عن الاشاره الى الآلام التي كان يعانيها ابناء البـــلاد العربيه ، وبذلك لم يكن مهرجانا ادبيا فحسب بل طريقا لبث ما تعانيه أجزاء الوطن العربي المتمثله من آلام الاستعمار ونكباته وويلاته •

قد قضى الله ان يؤلفنا الجر ... ح وأن نلتقي على اشجانــه

كلما أن بالعـراق جـــريح ... لمس الشرق جنبه في عمانــه

١ـ ديوان الاسمر ـ ص $\frac{٥٢٨}{٢١٣}$ ـ دار احياء الكتب العربية •

٢ـ ديوان من دواوين ـ ص ـ مطبعة الاستقامـــة •

٣ـ الشوقيات جـ ٢ ، ص ١٤ ـ مطبعة الاستقامة •

وعلينا كما عليكم حديـــد تتنزى الليوث فى قضبانـه
نحن فيه بالديار ســواء كلنا مشفق على أوطانـه

ويحيى الشاعر الفلسطينى اسكندر الخورى شوقى ويرجع نهضة اللغة اليـه
والى بيانه السحرى (١)

هذى عكاظ تقـام فى مصـر اليوم يومك ربه الشعـر
أوصى على بما اخلــده ويسير من قطـر الـى قطر

الى أن يقول :

شوقى فديتـك ان نهضتنـا قامت بفضل بيانك السحرى
فى الشرق روح منه اقصده واقامه فى وجـه مفتـر
روح سرت فى العرب قاطبـه فى الشام فى بغداد فى مصر

ويعتبر وديع البستانى ان تكريم شوقى بشرى لعهد يحيى عهودا خلـت
وبشرى لمستقبل تتوحد فيه الاقدار العربية •

رب القوافى تقبـل من قوافينـا فى هيكل الشعر ازكاها قرابينا

• • • •

اليوم أول عهد لا انقضـاء لـه عهد أواخرنا فيه أوالينـا
قامت عكاظ ميادين السباق الـى مجد طريف نعم حى الميادينا
بشراكم انى نبئت عن ثقـه تكريم شوقينا بشرى أمانينـا

ويعتقد وديع البستانى أن الشعر الذى بدأ العربى به حياته سيعود ثانية
ليكون أول حجر فى البناء الجديد •

هذا اللواء لملك الشعر مرتفـع والضاد عدتنا والشعر نادينـا
للشعر أول سوق فى معاشرنـا للشعر أول صرح مـن مبانينـا

١ــ ديوان المعلوم المجهول ص ١٧ ــ مطبعة بيت المقدس •

ويحيه حافظ (١)

بلابل وادى النيل بالمشرق اسجعى   بشعر أمير المشرقين وردّدى

وثبت الخطيب فى ديوانه ان تكريم شوقى فى لغته انما هى بشائر الوعد الحق الذى حان أجله .

أجل إنه الفجر الذى أنت آملـــه   تخايل فى وشى الربيع غلائلـه

بدائع فى الآفاق عز كانهـــا   بشائر بالوعد الذى حان آجله

ثم ينتقل الى الاعتراف بفضل مصر فى حفظ اللغه والحفاظ عليها فيقول :

لكل فتى فى العرب مصر ان داره   ومصر ملاذ المستضام وكافلـه

وقد اثبتت للضاد فى الشرق بلبلا   ترنم فاستخف علديه بلابلـه

. . . . .

ردت على ام اللغات شبابهـا   ولم تأل جهدا فى الجهاد تواصله

فأنت لها والخطب يريد نقصـه   وانت لها والشعر باد مقاتلـه

ونجد المجمع العلمى العربى فى دمشق يكرمه عام ١٩٢٥ اذ يجتمع أهالى دمشق ليكرموا الشاعر فى لغته وبيانه وليكرموا اللغه فى ابنائها . فيقول خليل مردم يصف استقبال الشام له :

برزت بزينتها اليك الشـام   وافتر بشرا ثغرها البسـام

فتجاوب الاطيار بين رياضها   منها عليك تحية وسـلام

ولو عددنا القصائد التى قيلت فى شوقى حين مبايعته بامارة الشعر من كل الشعراء العرب لطال القول ، ولكن الاهم من ذلك كله هذا التجمع العربى ، تحت لواء اللغة وفى ظلال أدبها وثقافتها ، لم توضع خططه ، ولم تنظم مسالكه وانما كان نابعا من النفس ، من المشاعر والاحاسيس العميقه ، من أصالة الشعور

١ـ ديوان حافظ ابراهيم جـ١ ، ص١١١ ـ المطبعة الأميرية .

العربي ، اجتمعوا دون أن يقصدوا التجمع ، والتقوا دون أن يخططوا هذا اللقــاء ، كان تجاوبا عميقا لم تكن لتقف امامه تيارات سياسية أو مؤامرات استعماريه أو تجزئــه واقعه ، بل تخطى كل ذلك وارتفع فوق الحدود المصطنعه ، فحطم اسوارها واظهرها ضعيفه هزيله امام الواقع العربي الصحيح .

ولم يقف الشعر عن تمجيد حافظ ابراهيم فلم يستطع أي خلاف سياسي أن يقف دون تمييز السوريين عن احتفالهم بالشاعر عام ١٩٠٨ حين قال فيه حافــــظ (١)

لمصر أم لربوع الشــام تنتســب   هنا العلا وهناك المجد والحسب

ركنان للضاد لا زالت ربوعهمــا   قلب الهلال عليها خافق يجب

واستمر الاحتفاء بحافظ الى مابعد موته ، فرثاه الشعراء واقاموا احتفالات متعدده للشاعرين شوقي وحافظ كانت ملتقى أهل الادب والفكر ، ومنتدى رواد المعرفه ، وقد كان للشاعرين فضل كبير في التجمع العربي الذي أدخل البلاد العربيـــــه في وعي جديد وكفاح شديد من أجل تحقيق واقعها العربي ، ولهما الفضل الكبير في الارث الادبي الذي خلفاه لأبناء الضاد لتضيف الى فخرهم بلغتهم وتراثها فخرا جديدا ، كما أن للغه فضل على الامه العربيه جميعها . فضل جمع أبنائها وشد أواصرهم ، فضل توحيد ذوقهم وأدبهم ، فضل توثيق عرى تآلفهم .

وكان المجمع العلمي العربي بدمشق في طليعة المبادرين الى تكريــــم الراحليــن وتمييز ذكراهما ، ففي تكريمهما تكريم للأدب العربي وابيانه .

وقد قال خليل مردم يصف الاسى الذى انتاب العرب والخطب الذي ألـم بهم فقال :

خطبان قلب العرب قاسى منهما   جرحا يسيل دما وسهما قاصــدا

ماجف دمعهم لمصرع حافــــظ   حتى استهل بيوم شوقي واردا

١ـ ديوان حافظ ابراهيم جـ١ ، صـ١٤٢ ـ المطبعة الأميرية .

ولم يقف الشعر عند تمجيد الشاعرين غير شوقى وحافظ ومطران واليازجى والزهاوى والبارودى وغيرهم من أئمة البيان ، ولم يقف الشعب العربى عند الاعتزاز بهؤلاء والالتفات حولهم ، بل مجد بني اللغة فى صور أبطالها المتنبى والمعرى وغيرهم • مجد والذه فى شخص أبى العلاء المعرى ؛ فأقام الشعراء عام ١٩٣٦ مهرجانا كبيرا فى دمشق فى دار المجمع العلمى العربى بمناسبة مرور ألف سنة على مولده اشترك فيه أبناء الأمة العربية من كافة أقطارهم ، اجتمعوا يمجدون لغتهم وتاريخهم وأدبهم وفكرهم فى شخص أبى العلاء ، اجتمعوا يقدمون فروض الولاء والتعظيم لأمتهم فى شخص أحد شعرائها ومفكريها • فهذا محمد البزم يقول (١) :

علأت خياشيم العروبة نعرة ... تنوخية يزكى بها من تخامره

وسعرت فى احشائها الوجد للذى ... يرد لها عرباءها لاتناظره

• • • • •

ليهنك إن الشام يقظى مشاعره ... وفى لعهد الضاد تنمو أواصره

حفى بما يرضى العروبة ناسض ... بأمجادها باديه عنوا وحاضره

وعمر أبو ريشة يتخذ من هذا التجمع لتمطيم جزء من تاريخنا الادبى حكمة فيقول :

طلب الدهر لو ملكنا هدانا ... لبلغنا من الحياة منانا

ويتقدم الشعراء شاعرا اثر شاعر وناثرا اثر ناثر يمجدون تاريخهم ويستلهمون ماضيه ويتذاكرونه بقلوب عامرة بالايمان ملؤها الفخر والعزة والكرامة بالشخصية العربية •

وعام ١٩٣٦ أقيم مهرجان كبير عقده المجمع العلمى العربى بدمشق واستمر سبعة أيام تغنى فيه شعراء العروبة بشخصية المتنبى واسترجعوا حكمه وأقواله وخاضوا مشاكلهم السياسية وتناولوا آلامهم وآمالهم وتناوبوا التعبير عن أحاسيسهم

١ـ "المهرجان الالفى" لابى العلاء المعرى ـ ص ١١٣ "مطبعة الترقى

فكان مهرجان القومية العربية وقد دخل طورا جديدًا من أطوار الوعي القومي حرّيّة الشعراء الى قول المتنبي عندما اشتد سخطه على الاعاجم •

وانما الناس بالملوك وما يفلح عرب ملوكها عجم

فقال خليل مردم (١) :

يا مالئ الدنيا وشاغل ناسها الدهر راوية لشعرك منشد
ضمن الزمان بقاءه فكأنما انفاسه في صدره تتردد
آياته لا تنقضي وعظاته كالبحر زاخر موجه لا ينفد
لله رأيك في السياسه انه سهم الى كبد الصواب مسدد
العرب ما صلحت على يد أعجم حكم الاعاجم للعروبه مفسد

ولن يقف العرب عند الاحتفال بشعرائهم وأدبائهم بل سيستمر ذلك ما دام العربي يعتز بماضيه ويؤمن بكيانه ويعزز بناء هذا الكيان وأسسه ، واللغة من أهم مواد بنائه ومن أقوى دعائم وجوده •وكلما ازدادت أواصر القربى سيزداد لقاء العربي بأخيه العربي الى أن يصبح وجوده كلا كاملا غير مجزأ •

المؤتمرات :

الشخصية العربية كما رأينادا ماهي الا جماع مقومات الفرد وخصائصه ، أو هي نظام متكامل من مجموعه الخصائص العقلية والاجتماعيه والامزاجيه التي تميز الفرد تميزا واضحا عن غيره من الناس • فالشخصيه القوميه والحاله هذه مجموع النزعات التي بناها المجتمع القومي العربي منذ أول طور من أطوار وجوده على أساس من لغته وتاريخه والتفاعل الاجتماعي لكيانه • وكلما ازدادت هذه العناصر

١ــ ديوان خليل مردم ص ٢٩ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

تماسكا ازدادت الخبرات مشاركه وكلما عم الولاء لهذه المقومات المشتركه والمصالح المشتركه ايضا برزت قوميه المجتمع واتضحت معالمها وتميزت عن غيرها من القوميات .

لهذا كله كان التجمع الأدبي والسياسي بين أفراد المجتمع الواحد ، وبما أن الافراد يدينون بالولاء لمجتمع يشترك في هذه المقومات فان التعبير الجماعي في هذا المجتمع يؤدي الى تماسكه وقيامه على اساس من وحده الاهداف . وقد ازداد هذا التقارب بعد الحرب العالمية الثانية ، وتعددت جوانبه ، وخصوصا بعد أن توج بقيام الجامعه العربية ، فتعددت المؤتمرات فهذا موتمر ثقافي عربي أول يعقد في بيت مري في لبنان عام ١٩٤٧ ، فقد ادرك العرب أن وحده الثقافه تعني أن يسود المجتمع مثل وقيم وعادات وتقاليد واتجاهات في التفكير وأساليب في التعامل واحده ، بل وينتظم كذلك اللغه والدين وقواعد الحكم والقوانين ونظم الاتصال الفكري والتجاري والاجتماعي ... الخ . فجذور الثقافة بمعناها الواسع موجوده في اللغه والحضاره والتاريخ والظروف والاحداث الواحده التي تتعرض للوطن العربي .

ولا نقلل من قيمة هذه المؤتمرات مهما كان ردها الفعلي بطيئا ، فلا بد أن تحقيق ما وضعته هذه المؤتمرات من بنود سيكون فعالا ، فمجرد التأمل في معوقات الوحده بين البلاد العربيه تكفي لايقاظ النفوس من نومها فالعصبيات المختلفة والطائفيه ، واللغه القوميه ، والنظام الطبقي ، ومكافحة الغرباء كلها أمور تلفت اليها الانظار وتوقظ الشعوب وتحرك الاحاسيس ، فتحقيق الوحده السياسية تحققها الوحده الثقلية ، فيصبح لها القوه الفعاله البناءه الايجابيه حينما ينظمها الوعي القومي بكل معاييره .

وتوالت المؤتمرات الثقافية ، ففي عام ١٩٥٠ ينعقد مؤتمر ثقافي آخر في الاسكندرية وفي عام ١٩٥٧ في بغداد ثم عام ٥٤ في القاهرة وهكذا الى أن يكون مؤتمر القاهره عام ١٩٥٧ حيث يبحث في الادب والقوميه العربية والى أن يقولوا

في مؤتمر المسلمين ٠

"ان القوه لاتقوم الا على الفكره والفكره لاتستحيل الى سلوك الا بالعاطفه وأمجاد نا التاريخيه فيها الفكره وفيها العاطفه والمعلم العربي هو حلقه الاتصال بين الماضي والحاضر والفكره والعاطفه ، وبين التلميذ العربي وقوميته ".

وبذلك تكون هذه المؤتمرات قد تطورت الى اعاده بناء كيان عربي واحد ، ويساهم الشعر فيه بقسط وافر . فيقول علي الجارم في أول مؤتمر ثقافي (١)

لبنان روض الهوى والفن لبنــــان	الارض مسك وهمس الدوح ألحان
بني العروبه ان الله يجمعنــــا	فلا يفرقنا في الأرض انســـان
غدا الصليب هلالا في توحدنــا	وجمع القوم انجيــل وقــرآن
أواصر الدم والتــاريخ تجمعنــا	وكلنا في رحاب الشرق اخوان

ثم ثم ينتهز هذه الفرصه ليذكر المجتمعين بفلسطين وما تقاسيه ٠

ويتوالى انعقــاد المؤتمرات فالمؤتمر الطبي الاول يعقد في بيروت وآخــر يعقد في القاهره ، وهو مظهر آخر من مظاهر تبادل المشاعر ويقظه الوعي والعلــم من أقوى الاسلحه التي يمكن الأمه من التغلب على اعدائها ومناهضتهم ، فكـــان انعقاده بدء البشائر التي اخذت تهل هينا تبشر بالمستقبل الذي ينتظره كل عربي بل بالواقع الذي يجب أن يكون عليه ٠

وفي هذا المؤتمر يقول (٢)

أمة العرب آن ان ينهض النســر	فقد طال عهده بالرقــود
صفقي بالجناح في اذن النجـــم	ومدى فضل العنان وسودى
واعيدى حضارة زانت الدنيـــا	فكم ودت المــنى ان تعودى

١ـ ديوان علي الجارم ٠ ص ١٧٠ ـ مطبعة المعارف ٠

٢ـ نفس المصدر جـ٣ ، ص ٧١ " "

ويقول محمد الأسمر في مؤتمر بيروت :

الارز فيان ونخل مصر كلاهما   إخوان في الاتراح والافراح
والنيل منك فلو بكيت لقادح   غمر الشطوط بدمعه النضاح
لبنان آن لك الفخار بسادة   عرب كرام المنبتين سماح
مجد اذا ما اشرقت صفحاته   أزرت بضوء تلوع النهار الضاحي

وهكذا نجد أن التجمعات العلميه لابد ستتخللها مشاعر القربى والمودة وشعور الاخاء والتقارب ، فتتعارف الارواح بعد فرقة طويله وتتقارب النفوس ليعرف الاثنان أن كلاهما واحد .

ولم تقتصر المؤتمرات على الرجال بل تجتمع النساء ايضا ، والمرأة ثلثا المجتمع بيدها تربيه ابنائه وبناته ، فان كانت واعيه بواقعها مطلعه على حقائق كيانها عليمه بما خفي من أسرار سياسه الغرباء في ارضها استطاعت ان تدرأ عنه شبح الهلاك وأن تعيد اليه شبابه زاهيا حيا نابضا . لهذا اجتمعت النساء في القاهرة عام ١٩٤٤ ليتبادلن الرأى ويوحدن جهود المرأة العربيه في الدفاع عن فلسطين بزعامه هدى شعراوى ، وبذلك كانت بشرى من أجمل بشائر العهد الجديد ، ولم يصمت على الجندى في ديوانه اغاريد السحر عن الترحيب بهن ، وايقاظهن حثهن من الغناء الجميل ، وقد اجتمعن من مختلف أجزاء الوطن الذى تكبل باستعماره فنسمعه يخاطبهن قائلا :

رضيت مصر بسرب من مهى   حل منها في سواد البصر
مشية الصحراء في أعطافه   تتراءى تحت وسم الحضر
في الباب المصطفى من يعرب   والدوابات الحلا من مضر

ويرحب بهن محمد الأسمر فيقول (١) :

مرحبا زهر أبينا يعرب   مرحبا باللؤلؤ المنتخب
نعم عنوان الشقيقات التي   همها في الجد لا في اللعب

---

١ — ديوان الأسمر . ص ٧٧ — دار احياء الكتب العربية .

يا هدى انت على الوادى هـدى   انت ركن العلم روض الأدب
لست فى مصر بأم الحصـــى   وحده بل انت أم العـرب

الزيـــارات :

وشعراء العربيه يتنقلون من مكان الى آخر من مصر الى السودان أو منها الى بغداد أو بيروت ، أو من بيروت الى القدس ، وكانت مشاعر ابناء العربيـــه تحيط الشعراء بالكثير من العواطف العربيه والرغبه فى الاستماع اليهم والترنـــم بأبياتهم الشعريه بل والتغنى بها ، فالاسمر مثلا يزور السودان ويلقى قصيدتـــه فى نادى الخريجيـن ، (١)

بنى يعرب من كل لون وملـــة   عدوكم مازال جم الحبائـــل
يصيد بها المستضعفين محاذرا   الاعيب صياد البلاد مخاتـــل
مكائده بين الممالـك صعبهـــا   اشد رأدمى من ذرى القنابل

وبذلك ينتهز وجوده هناك ليثير القرى ويوقظ النفوس ضد هذا الغـــازى المستعمر الذى جعل بلادنا العربيه بقرة حلوبا له ، فذكرهم وانذرهم وحذرهم مما هم فيه وما يمكن أن يقع عليهم من عدواتـــه •

ويزور بشاره الخورى فلسطين ، وطبيعا لابد أن يستمع اليه الشعب هنـاك ويمتع روحه بقصائد عربيه ، وينتهز هذه المناسبه ليمجد الوحده الاسلاميه المسيحية ويقدس هذه الحريه الدينيه ، فيقول :

فلسطين يا هيكل الذكريـــات   على جبهة الأعصر الغابـــره
مضمخه بدماء الحــــروب   مخضبـه بالمنى الزاخـره
فلسطين ياجمحات الخيال   مجنحه بالـرؤى الساحـره
هناك على شرفات النجـوم   أرى مكه تلثم الناصـــره

١ـ   ديوان الاسمر ـ صـ ٢١٢ ـ دار احياء الكتب العربية •

ونسمع حافظ ياقي قصيدته في الجامعه الامريكيه في بيروت عند زيارته لها ، فيستمع الطلاب وأبناء بيروت له ، وينتهز هذه الفرصه ليبين الاواصر التي تربط ابناء العروبه بعضهم ببعض ، فيقول :

حيا بكور الحيا ارباع لبنـــان وطالع اليمن من بالشام حياني

الى أن يقول :

النيل يهوى الى الاردن في شغف يهدي الى بردى أشواق ولهان

ويحاول شوقي ان يزور فلسطين ، وهذه امنيه كان يتمناها الشعب هناك فهو يمجد شعراءه وحاملي لواء لغته وبيانه ، وهو اذ يلتفت حولهم انما يلتفت تعزيزا للغته واعترافا بها وتقديرا ، وينتهز ابراهيم طوقان هذه الفرصه لينظم قصيـدة يتحدث فيها عن ما يلاقيه هذا البلد وشعبه من استعمار انكليزي وصهيوني ، ويحاول بذلك ان يثير شوقي ليتحدث عن فلسطين فيقول له :

أهلا بسرب المهرجـــان أهلا بنابغـة البيـــان

في مصر يطلع الشــعب وهنـا ينـادى أشعيـان

ولكن شوقي ولسوء حظ الأدب لـــم يزر القدس ولم يحظ الشعر بقصيـــده يوضح فيها رأيه في بلد عزيز على كل عربي ويصمت شوقي كما يصمت حافظ حتى عن الاشاره الى ماكان يحدث هناك في فلسطين وما كان يدور فيها من معارك واضطرابات داميه ، وما كان يتساقط على ارضها من شهداء .

من كل ذلك نجد ان الشعر العربي كان دوما رائد سلام ومحبه واللواء الذي كان يلتف حوله ابناء العربيه من شتى الاقطار ، فيتقدم في كل مناسبه ليؤدى دوره في اثبات الوجود القومي والمناداه بالعروبه والتسامح الديني والحث علـــى الكفاح من أجل انقاذ البلاد ، كان عامل تجمع وتقارب في الاهداف والامثل والتفكير ،

كان عامل تمازج وتكتــل . ودعوه صريحه الى التضامن والاخاء العربي ".

وكما كان الشعر بالامس داعيه قربى شديده الوثائق بين الناطقيـــــن بالضاد مهما ترامت ديارهم وبت مضاجعهم ، وكان دوحه الشامخه يستروح العالم العربي كله في ظله لأنه التراث المشترك بين الشعوب العربيه كذلك اصبح اليوم يعيد رسالته لينهض من جديد ، فحمل رسالته في توحيد مشاعرنا واذواقنــــــا ودعم قوميتنا العربيه المنطلقــه الى حاضر مشرق ومستقبل سعيد .

وليس أدبنا العربي بدعا في الآداب ، فالأدب الانكليزي والفرنســـي والايرلندي والروسي واليوناني ، كل آداب العالم ساهمت في بناء قوميــــــات شعوبهم ودعم وجودها وربط أواصر قرباها وتجمعهم حول منابع ثقافته يرتشفـــــــون منها ويصقونها عصارة فكرهــم .

لذلك فرسالة الادب لن تنتهي ، ستظل داعية خير وسلام وحب وبنـــــاء في العالم كلـــه .

الباب الخامس

الباب الخامس
التقويم الفني للشعر الترمسي

لم يظهر في الأدب العربي نقد فني بالمعنى الذي نجده اليوم عند النقاد الغربيين، بل وقف النقد العربي عند النقد اللفظي ، فاعتمد على تحليل النص ودراسته من حيث البلاغه وقواعد العربيه وبيان ما بين معناه ومعاني السابقين والمعاصرين من تشابه ، وتقسيم النص الى جمل أو أبيات ، والتحدث عن كل جملة أو بيت على انه وحده فنيه مستقله بذاتها (١) فلا يكاد يتميز من المذاهب الادبيه في النقد العربي القديم الا مذهب المطبوعين ومذهب الصانعين كما اوردها ابن قتيبه (٢).

كما عرف منذ القرن الثاني للهجرة مذهب القدماء ومذهب المحدثين وتميز كلا المذهبين منذ القرن الثالث ، فعرف الاول بطريقه العرب في النظم أو عمود الشعر وكان البحتري زعيم هذا المذهب ، كما تزعم مذهب المحدثين أبو تمام (٣).

هذه أهم المذاهب الادبيه التي تميز بها النقد العربي القديم وعرف بهما وبرزت في تراثه منذ اقدم عصوره ، وقد غلب التقليد فيما بعد على شعرائنا مما جعلهم ينحرفون عن خصائصهم الفنيه ويبتعدون عن أصالتهم الشعريه . وبذلك افتقدنا ألوانا جديده في الشعر العربي تتوفر وجودها في الادب الغربي فكان منها الكلاسيكيه والرومانتيكيه والواقعيه والرمزيه والبرناسيه الى آخر هذه المذاهب ! صحبنا نطبق عليها ما انتجه كتابنا وأدباؤنا .

وفي مستهل القرن الحاضر ، وعندما ازداد اتصالنا بالثقافة الغربيه . بدأت هذه المذاهب تظهر في الأدب العربي الحديث، وتأخذ شكلا متميزا ملحوظا . وكان شعراء الشباب يقلدون هذه المذاهب دون أن يصدر أد بهم هذا عن حاجة طبيعيه أو ضروره اجتماعيه أو سياسيه كما فعل شعراء أوربا بل امعنوا في التجديد والتقليد .

١ـ محمد عبد المنعم خفاجي ، مذاهب الادب ص٤١ . طبعه أولى سنة ١٩٥٢
٢ـ ابن قتيبه ، الشعر والشعراء ص11 ، طبعه اولى سنة ١٣٢٢ هـ .
٣ـ الآمدي ـ الموازنه ، ص391 ، نشر محمد توفيق .

الشعر القومي بين التجديد والتقليد

===========

١
=

رغم تعدد المذاهب الادبيه الغربيه في مصر والشام بين الحربين الاولى والثانية نتيجة لاتصالهم بالثقافة الغربيه ، الا ان اكثر هذه المذاهب انتشارا واوفرها تأييدا كانت المدرسه التقليديه أو الاتباعيه "الكلاسيكيه •

قد أثرت المدرسه التقليديه في الشعر التقليدي في روحه ومعانيه وتشبيهاته وأخيلته وصياغته • وكان روادها عبد المطلب والجارم واسماعيل صبري ، كما كان منهم شوقي وحافظ بعد أن اخذا من الجديد بطرف من الموضوعات ، والتشبيهات • وكذلك الكاشف والاسمر وعزيز اباظه ونسيم وعزيز فهمي •

وكان رواد هذه المدرسه في الشام فؤاد الخطيب ومردم وشفيق جبري والشريقي ومحمد البزم وسواهم من كبار الشعراء الذين يقدسون اتجاهات الشعر القديم وأساليبه • فاذا قرأت مثلا قصيدة شفيق جبري " المتنبي " شعرت انك تقرأ للمتنبي نفسه أو للبحتري •

فجر الحرب بالمداد دماء — فتلاقت دماؤها ومداده

فترى الجو ملهبا من لظاها — وترى الافق مائجا أطواده

وتحس الدماء تقطر من جانب — سيف تندى بها اغماده

وتظن الجريح أودى به الجرح — ونادى من الوجاع ضماده

وكأن الاسير في ذلة الاسر — تماكت من الاذى أقياده ••• الخ

فتأثر الشعراء العرب بالتراث العربي واضح في اختيار مواضيع شعرهم وصورهم مما اختزنته ذاكرتهم • كما يظهر تأثرهم بالقديم من معارضتهم لفحول الشعراء القدامى ، فأحمد نسيم مثلا يعارض قصيدة المتنبي "كفى بك داء " فيقول المتنبي مثلا

حببتك قلبي قبل حبك من نأى — وقد كان غدارا فكن انت وافيا

أما نسيم فيقول :

حببتك غدارا وشيمتك الجفا — فكيف يكون الحب إن كنت راجيا

هذا الى كثير من شعر المعارضات الموجوده فى دواوين عزيز فهمى والأسمر ومحرم وشوقى وحافظ٠

وأما المدرسة الثانية التى كان لها مذهب أدبى معروف فى بلادنا فهى المدرسة الرومانسيه أو الابتداعيه التى جددت باعتدال دون خروج على اللغه أمثال مطران والعقاد والمازنى وأبى شادى • فكانت نزعة التجديد عند هؤلاء أقوى من نزعة من عاصروهم من شعراء الكلاسيكية ، فلم يفرض عليهم الماضى الموروث أن يتشيعوا له تشيعا عقائديا ، وبذلك خطوا فى تشبيهاتهم ومواضيعهم خطوة أخرى ففى قصيدة "المساء" التى قالها مطران يصور خواطره وهو فى الاسكندرية مايظهر هذا اللون من التجديد •

شاك الى البحر اضطراب خواطرى ... فيجيبنى برياحه الهوجاء

ثاو على صخر أصم وليت لى ... قلبا كهذى الصخرة الصماء

ينتابها موج كموج مكارهى ... ويفتها كالسقم فى اعضائى

تغشى البرية كدرة وكأنها ... صعدت الى عينى من أُحشائى

ان مطران يعطينا فى هذه القصيدة لونا من الوان الرومانتيكيه الباكيه تبعدها عن الطابع المادى المألوف فى صور الشعر بتشبيهاته المختلفه •

على اننا نجد أن الشعراء الاتباعيين ضمنوا شعرهم نفثات ابداعيه وتجارب خاصة ، وان كانوا لم يحرروها من الصياغة التقليديه•

فقد قال شوقى فى ذلك "لست فى هذا الرأى عدو التجديد ولكنى أكره الطفره" . (٢)

لكن الصلة بالغرب تزداد نتيجة للواقع السياسى ، فالجامعات والمدارس فى مصر تدرس الادب الاوروبى واللغات الاوربيه ، وعدد البعثات يزداد والصحف الادبيه ودور الكتب الاجنبيه تغزو الاسواق ، والترجمه تزداد حركتها والشعراء الفرنسيون الذين ترجم لهم كثيرون أمثال فكتور هوجو ولا مرتين وبودلير ومن الشعراء الانكليز بيرون وورد ورث وشيلى وكيتس، بل اصبح من الضرورى للشاعر أن يعتبر الأدب الغربى

الذى كانت عليه لبنان بعد ١٩٢٠ ، فالمدارس الفرنسية فيه هى المدارس المفضلة والثقافة الفرنسية تتبسط وتنتشر . فانفصل الشعر فى لبنان بما كان عند الفرنسيين من مذاهب واخذ الاتجاه الرومانسى يشتد ويقوى •

لم تظهر الرومانسيه فى اوروبا كما ظهرت عند الشعراء العرب فقد كان نشوؤها طبيعيا نتيجة لتغيير طبقات المجتمع وبروز مفاهيم جديدة ، فكان الانقلاب الصناعى هو التعبير الاقتصادى والثورة الفرنسيه هى التعبير السياسى كما كانت الحركة الرومانسية هى التعبير الأدبى • فهجرت زخرف القول ، ونشدت البساطة والتحرر فى التعبير واستيحاء مشاعر الشاعر نفسه وعواطفه ، كما كانت الحرية عندهم أغلى شيء فى الوجود • فلورد بيرون بذل روحه فى سبيلها دفاعا عن اليونان ، كما كانت الطبيعه هى الام الحنون التى يستطيعون أن يجدوا فيها الطمأنينه ويحلقوا معها على أجنحة الخيال الى عالم غير مرئى •

من طبيعة الشعر الرومانسى الثورة والسخط والالم والانطلاق الى الطبيعة فالحساسيه المفرطه هى من طبيعة الشاعر الوجدانى التى تدل على تفهم عميق للألم لابد أن تقوده الى تحسس آلام أمته والتفاعل بحاضرها والتعبير عن هذه الآلام كلها بالطريقة التى يوحى اليه بها •

وقد كان مجتمعنا العربى بعد الحرب العالمية الاولى مثقلا بالآلام ، تقسمه أيدى الأحداث تنزل عليه بمعاولها ، فالشهداء يزيد عددهم فى كل جزء والاستعمار يضاعف بلاءه ، والأمل فى نفوس البعض ، أمل قيام حكومه عربيه فى الشام قد انطفأ ، فوجد شعراؤنا العرب فى الرومانسيه الملجأ الذى يمدهم بالتعبير كما وجدوا فيه متنفسا لأحاسيسهم وشفاء لآلامهم • فمنهم من وجد فى الحنين

الى الماضي وذكرياته طريقا الى التعبير عن مايتفاعل بأحاسيسه ، ومنهم من وجدها في الالتجاء الى الطبيعه هربا مما يحيط به من شقاء وآلام ، ومنهم من أخذ يناجي نفسه كما يناجي العاشق معشوقه ميتغنى أآمه ، وهو اذ يفعل ذلك إنما يتغنى ألم أمته كلها ومجتمعه بأجمعه ، فهو جزء منه لاينفصل عنه ولا يستمد تجاربه الا بوجود هذا المجتمع والا كان خياله لاحياة فيه ولا خصب أو نمو •

ويعلل الاستاذ العقاد هذا القلق والضيق الذى ظهر في الادب الرومانسي بقوله : " انما لحكمة كانت المدن مثار القلق والشكوى ، لان المدنيّه ربيبة المدنيه وحامله أمانه الرقي الانساني ، ولئن كان التجاج الاصوات بالشكوى في هذه الايام أشد وأجهر منه في الايام القديمه فذلك لأن الانتقال الوشيك أعظم من كل انتقال احدثته الحياة المدنيه الى يومنا هذا ••"•

ويؤرخ العقاد لهذه الحركه حين يقول : لقد تبوأ منابر الأدب فتيه لاعهد لهم بالجيل الماضي ، نقلتهم التربيه والمطالعه أجيالا بعد جيلهم ، فهم يشعرون شعور الشرقي ، ويمثلون العالم كما يمثله الغربي ، وهذا مزاج أول ماظهر من ثمراته ان نزعت الاقلام الى التحرر ورفع غشاوة الرياء والتحرر من القيود الصناعيه ، هذا من جهه الاغراض والاتساق ، اما من جهة الروح والهوى فلا يعسر على البصير أن يلمح مسحه القطوب للحياة في أسرة الشاعر المصري الحديث ويتفرس هذا القطوب حتى في الابتسامه المستكرهه التي تتردد احيانا بين شفتيه ، وشرع الادب المصري الحديث من روح الاستقلال في شعرائه انهم رفعوه من مراغة الامتهان التي عفرت جبينه زمانا •• الخ(١)

والحقيقه أننا لا نرهبها غالينا من قيمه الفترة التي كانت البلاد العربيه تجتازها ، فنحن لا نقلل من قيمة التطور الطبيعي الذي يحصل لكل شيء نتيجة لعوامل زمانيه ومكانيه ، سواء في الحركات الاجتماعيه والسياسية والفكريه • وهذا التطور نتيجه لتفاعل وتطور بطيئين ، شأن كل الحركات التي تحصل • ولما كان المجتمع العربي يعيش أحداثا جساما لايمكن للاديب ان يعيش بمعزل عنها اخذ الادباء يعبرون عن آلامهم بما غذتهم به اتجاهات أدباء الغرب وشعراؤهم ••

كان مطران من أولى طلائع الحركة الرومانسية في مصر ، اصدر أولى دواوينه عام ١٩٠٨ ثم تلاه ديوان شكري والمازني فالعقاد • وقد اطلق عليهم

---

١ ــ ديوان المازني جـ١ صـ

بعد ثورة ١٩١٩ جماعة الديوان وكانت ثورتهم على الشعر التقليدي في الشكل والمضمون ، ثم ثبتت هذه الدعوة جماعة أبولو التي ضمت ابا شادي والصيرفي وعلي محمود طه والعوضي الوكيل وغيرهم ، وقويت دعوتهم بوفاة حافظ وشوقي .

أما في الشام فنجد أن اكثر الشعراء المحدثين جمعوا في شعرهم بين الابداعية والاتباعية ، كصلاح لبكي ، وعمر ابو ريشة وأمجد طرابلسي ، وغيرهم ، وشفيق جبري ، واما في المهجر فقد كانوا رواد الرومانسية وشعرهم رومانسي خالص النزعة . فكان لألم الغربة والبعد عن ديارهم أثره الكبير في تعميق احاسيسهم وشمولها . وقد نهج هذا المنهج ايليا ابو ماضي وشفيق معلوف وميخائيل نعيمة ونيقولا فياض وغيرهم .

٣

وجد كثير من الشعراء ضالتهم في الرومانسية واتخذوا منها منفذا يعبرون من خلاله عن الاهم المكبوتة ، فكان شعرهم مفعما بالأسى والشكوى واليأس .

فخير الدين الزركلي يبكي الملك الضائع فيقول :

ابكي ديارا حالفت للجمال ... أبهى مثال
أبكي تراث العز والمزغال ... صعب المنال
أبكي نفوسا تحدث بالرجال ... عن النضال

ووشح آخر لخليل مردم اطلق عليه اسم "المحزون" وهي الصفة التي اتسم بها شعرهم الرومانسي ان دل على شيء فانما يعكس لنا الحياة الاجتماعية التي اصبح الشاعر ينظر اليها من خلال ذاتيته ، وذاتيته جزء لا يتجزأ مما هو عليه .

ألف الحزن فلو فارقه الحزن بكاه
وجفا اللهو فلو واصله اللهو شكاه
نفسه ليس لها غير الاسى من سكن
ورأى الظالم لا يرقب في المظلوم ذمه
فبكى حزنا لمن عرى من عدل ورحمه
وعلى من يشد يد الجور والظالم منسي
ما احب العرب الا منذ لاقوا المحنا
فهم قد رزقوا لكن سواهم قد جني

ترى الشاعر من فرط ألمه ضيقا بالحسرات وهذه من سمات الرومانسية ونسمع خليل مطران يمزج الرومانسية بالواقعية ، بالقسوة والاسى وهو يصور أبنـاء بيروت الذين خدعهم الطليان بمدافعهم ، :

بلادى لايزال هواك منـى كما كان الهوى قبل الفطـام
أقبل منك حيث رمى الاعادى رغاما طاهرا دون الرغـام
وافدى كل جلمود فتيـت وهى بقنابـل القوم اللئـام
فكيف النبل مختبطاً صريعـا على الغبراء مهشوم العظام
وكيف الطفل لم يقتل لذنب وذات الخدر لم تهتك لـذام

ولجأ الشعراء الاخرون الى الطبيعة ،هرعوا اليها بأحاسيسهم ومشاعرهم يتهلون من نبعها ويستمدون من أغصانها وانهارها وازهارها وطيورها رمـوزا حيه لتصوير انفعالاتهم والتعبير عنها ، يقول الياس ابو شبكه : " كلنا كاذبـون الا الطبيعه والشاعر . فالطبيعة هى أم الحياه والشاعر هو ابن الطبيعـة خالقـة الحيـاة .

ونحوا لتصويـر واقع اعتهم من خلال أحاسيسهم الذاتيه ، ونحن نسـمع فوزى المعلوف فى ملحمه بساط الريح يقول .

لاتخافى ياطير ما انا إلا شاعر شطرب الطيور لشعـره
زارك اليوم ينشـد الراحه فى هذا السكون وسحـره
فر عن ارضه فرارك عنهـا من اذى أثقلها وتنكيل دهره

ويخاطب شفيق جبرى آلامه فى مخاطبته الطبيعه ويقارن بين حالتهـا وحالته ، فيقول :

شتان ماقلبـي وقلبـك ياحمام الزيتـون
انـت الطليـق فمـا تـزال من السهول الى الحزن
وأنا المبرح بالسـلاسـل مثل تبريح السجـون

ونجد مطران ينطلق بطبيعته وبحزنه الحائر وبكآبته الرومانسيه التى تصـور حيرته وتشاؤمـه ، ينطلق الى الطبيعه الى الطير الذى يغنى على الاشجار فيخاطبه بأسلوب اليائس .

يا ايها الطائر المغنى | بلا تشير ولا تفايم
من لى بشدو طليق غصن | كشدوك المطرب الرخيم
سجرا لهذى الديار ساءت | وشاق قلبى بزحبهنا
مابى وجد اذا تنساءت | ولا اثتنسار بقربها

فالتشاؤم مرده الى التأثير المخيب لتقلب الحياه فى هذا العالم ، اذ ندرك فى الحال ان من العبث والجهد الضائع التشبث فى البحث عن الحقيقة المطلقة الثابتة وراء مظهر الوجود المتقلب ، وعندئذ ينمر هذا الادراك بكآبه عميقه .

وهكذا اضطرمت مشاعر الشعراء الرومانسيين تشاؤما من الحياه وان كان تشاؤم العاجز الذى لم يستطع اكتشاف حقائقها او تغييرها ، ونجد شعراء المهجر تقسو بهم الغربه فيحاولون فينطرق به عن هذا الشعور الذى ملك عليهم أحاسيسهم فدفعهم الى الرؤى البعيده الى تمثيل عالم آخر يحنون اليه ، فيقول جبران فى ذلك "انا غريب فى هذا العالم انا غريب ، وفى الغربه وحشه قاسيه ، ووحشه موجعه تجعلنى افكر ابدا بوطن سحرى لا أعرفه ، وتملأ احلامى بأشباح ارض قصيه ما رأتها عينى (١) .

ويعبر رشيد سليم الخورى عن هذا الاتجاه فيقول :

ما البرازيل مهجرى | ليس لبنان لى حمى
ان نفسى غريبه | تشتكى البعد منهما
انا مادمت فى الثرى | وبعيدا عن السما
مهجتى كلها جوى | كبدى كله حنين
أبدا اشتكى الغوى | دأبى النوح والانين

وتقسو الغربه أكثر فأكثر عليهم فلا تكاد الحياه تحقق املا عندهم حتى يلج بهم شوق جديد وتستأنف المأساة سيرتها ، ونجد أبا ماضى يندفع الى الكاس يحسب منه دساه يجد طريقه ولكنه لايزال كما هو فيقول ،

وشربت بنت الكرم أحسب راحتى | فيها فطاشى الظن والتقدير
فكأننى فلك وهت امراسها | والبحر يطغى حولها ويثور
حامت على روحى الشكوك كأنها | وكأنهن فريسه وصقور

١ـ صالح زكى ـ التيارات الحديثة فى لبنان ص ١٢٤
معهد الدراسات العربيه العاليه .

ولقد لجأت الى الرجاء فحققنى   اما الخيال فذائب مدحور
يا ليل اين النور انى تائـــــه   لم ينبثق ام ليس عندك نور

ونلمس عندهم هذا التشاؤم يبلغ ذروته وقد انقسموا فيه قسمين ، التشاؤم اللا ادرى الذى يرى الحياه فناء لا نهايه لها ، نتيجه اليأس الشديد الذى تملكه ولعجزه عن تحقيق مايريده ، والقسم الاخر يستسلم الى التشاؤم المؤمن الـــــى احلام الابديه ، فأبو ماضى تتمثل فى كثير من قصائده النوع الاول ، وهو التشـــاؤم غير المؤمن ، وعند تحققه من ذلك تنطلق نفسه الى التمتع بالحياه قبل غروبهـــا بشتى الوانها واشكالها •

دنيا مزيفه ودهـر ســـارق   مافى انفلاتك منهما من بأس
ان اللذاذات التى ضيعتها   رجعت اليك عصاره فى الكاس
فاصبح رؤاك بها تعد ذهبيه   عطريه الالوان والانفـــاس

واما الشاعر القروى فهو يحلو بتشاؤمه فوق المحسوسات الى الابديــه وهناك يرى الوجود الامثل الذى يرجوه ،

ان فاتك الخير فلــك ايـــــة   وانعم بموت المؤمن الاصـــل
غدا لك الخالــد فما ضــران   لم تأكمل اليوم مع الاكـــلى
قبل يد الظلم قســـــرا ولا   تعتب على خالقــه العـــادل
هل كانت الالام قد قــــدرت   الا تصيـــب الرجل الفاضـــل

هكذا كان فرارهم من هذه الالام وهذا الضيق الى الطبيعة تمكـــب الطمأنينه فى نفوس أبنائها •

وقد حلق الشعر المهجرى فى آفاق الرومانسيه واستطاع بأسلوبه وموضـوع قصائده أن يجد معه الكثير من المؤيدين فى الشرق العربى فاثر فى شعرائهـــا فى اتجاهاتهم وطرقهم فى التعبير•

٤
=

لقد كان الشعر الرومانسى فى المهجر أثر بارز فى خدمه قضيه الكيـــان القومى وبث الوعى فى نفوس أبنائه واشعارهم بما لأوطانهم عليهم من حق الدفـــاع عنها وصيانه حرماتها حين تغنت الرومانسيــه بطبيعة هذه الاوطان •

وتجلى ذلك في التغني بطبيعة البلاد العربية وخصوصا الاجزاء التـــي شهدت مربع طفولتهم ومرتع لهوهم ولعبهم ، كما تجلى ذلك في تمجيد روحانيـــة الشرق ضد مادية الغرب فكان ماقالوه وعبروا عنه يتردد صداه في البلاد العربيـــه فيمتلىء العربي فخرا بماضيه وحاضره وتشحن نفسيته بطاقه شعوريه كبيره تدفعـــــه الى تخليص كيانه من ايدى مستغليه ومستعبديه وجامعى ارزاقه .

كان لحس الاغتراب ، وما يثيره هذا الاحساس في نفسية المغترب من الالم العميق دافعا الى قول الشعر ، والشاعر اكثر البشر عمقا في الاحاسيس وشعورا بها فكان كل جزء من أجزاء بلده ، أرضها وسماؤها ، شجيراتها وأنهارها ، أزهارهـــا وعصافيرها ، شروقها وغروبها ، بساطه عيش أهلها وطرق معيشتهم واحاديثهـــم مثار اعتزازه ومنبع فخره والهامه ، يتغنى بها كما يتغنى العاشق بمعشوقه ، فيبثهـــا وجده وهيامه ، ويحدثها عن مشاعره حديث المحب المستهام فيحملها اجمل احاسيسه وانبلها ، ولا غرابه في ذلك فالطبيعه أم الحياه وملهمة الشاعر ، فهو اساتها ونبيها بين الناس . ويقول في ذلك أبو شادى (١) :

فدعوا الحياة لمن يقدس وحيهـــا لايستهين بتربها ونباتهـــا
ويرى الطبيعه امه وربجـــاءه كرجائها وصفاته كصفاتهـــا

ومثل هذا القول يردده ابو الفضل الوليد (٢) :

فديتك يا أرض الشام فمنك لـــى ثراء على فقر وسكر بلا خمـــر
متى أملأ الترب الذى هو عنبـــر وأملأ من ارواح تلك الربى صدرى

وممن أسمعونا شوق ابناء المهاجر الى ربوعهم القديمة كثيرون منهم رشيد ايوب في ذكرى لبنان من ديوان " هى الدنيا " وقيصر المعلوف في قصيدتـــه " الهجره " الموجوده في ديوانه " تذكار المهاجر " ومحبوب الشرتوني في قصيدته " خطرات مغترب " وغيرهم كثيرون ويعبر عن ذلك ايليا ابو ماضى فيقول :

اثنان اعيا الدهر أن يبليهمـــا لبنان والامل الذى لذويه
نشتاقــه والصيف فوق هضابـــه ونحبه والثلج في واديـــه

ويشتاق ابو الفضل الوليد الى قريته اللبنانيه فيخاطب الفلاح الجبلـــى بعاطفه قويه قائلا له :

١ـ " الشفق الباكى " صـ ١٠١٢ عام ١٩٢٦
٢ـ ديوان اغاريد في عواصف ، صـ ٧٤

ياحاصد الزرع ألق الحبل والمنجل   الشمس غابت وأستار الدجى تسدل
والله بارك يافلاح ماتعمـــــل   فقل اذا أطربتنـا رنة الجـرس
ما أعظـم الكون ياربى ومـا أجمـل

. . . .

حل السكون على الغابات والأكم   والطير عادت الى الاوكار فى الاجم
والنفس تاقت الى الاحلام فى الظلم   فارجع الى الكوخ واجلس بين اولادك
ونم خليـا من الاحزان والنـــدم

ثم تراه يشتد به الحنين الى تلك الحياة التى فارقها فيقول معبرا عن شوقه

لو كنت تعلم ما القى من الشجن   وما اقاسى من الاهوال والمحن
لكنت تبكى على نـاء بلا سكـــن   يشتاق لبنان والاقدار تدفعـــه
عن الرجوع ، فوا شوقى الى الوطـن

كل هذه الاشواق إن هى الا دعوة قويه للتمسك بالكيان القومى وتفضيلــــه عن أى كيان مهما كانت خيراته ومطامع المهاجرين فيه كل ذلك فى وقت كانت البــلاد تقاسى الكثير من ويلات المستعمر ويصيبها الكثير من كوارثه ونوائبه ، وقد كان لشعـــور المهاجرين ومشاطرتهم آلام الامه العربيه اثر قوى فى الدعاية لاتحادها والمحافظـــه على كياننا ، فظهر لهم من الشعر والنثر مالا يقل عن افضل ماظهر فى الشرق العربى نفســه .

ونتيجه لاحاسيس أبناء المهجر ومشاعرهم اتجاه ماكانت عليه البلاد العربيه من ظلم المستعمر وجوره وقتله للحريات وسفكه للدماء ، خاطب جبران الحريه وناداها بمشاعر عميقه لتنشر الويتهـــا على وطنه تلك الالويه التى طالما اشتاق الى رؤيتهــــا ابناء البلاد وقدموا فى سبيلها ارواحهم وما يملكون فقال متمردا على التقاليـــــد والشرائع التى تحد من حريه الفكر والقلب وتسمح لحفنه من الادميين ان تتحكـــــم فى أرزاق الناس وأعناقهم .

" من أعماق هذه الاعماق نناديك ايتها الحريـــه ، فاسمعينـــــــا ..

" من منبع النيـــل الى مصب الفرات يتصاعد نحوك عويـــل النفـــوس متخبطا مـع صراخ الهاويه ، ومن أطراف الجزيره الى جبهـه لبنـان تمتد اليك الايدى مرتعشه بنزاع الموت ، ومن شاطـــىء الخليـــج

الى اذيال الصحراء ترتفع نحوك الاعين مغموره بذوبان الافئده ،
فالتفتى ايتها الخربه وانظرينــا ،(١)

ويعبر الياس فرحات عن شعوره بالغربه وتغنيه في بلاده فيقول (٢) :

نازح اقعده وجد مقيــــم في الحشا بين خمود واتقاد
كلما افتر له البـدر الوســيم عضه الحزن بأنيـاب حـداد
يذكـر العهــد القديـــم فينــــادى
أيـن جنـات النعيـــم مـــن بـــلادى

لقد كان الشعر عنده حاجه حتميه ، حاجه المستوحش الى أنيس ، فكان
من الطبيعى أن يكون الانتاج صادرا من القلب ناتجا عن انفعال عميق . فيقـول
ايليا ابو ماضى .

نحن نفسى الى السواقى الى الأقاحى الى الشذاء
الى الروابى تعـرى وتكـسى الى العصافير والغنــاء
الى العناقيد والدوالـــى والماء والنــور والهـواء

وقد رأى نسيب عريضه فى قصيدته " سلة الفواكه " طيف بلده الحبيـب
وذلك من خلال تينهــا ورمانها ، كما استشف ايليا ابو ماضى اهله من بيـــن
العناقيد والدوالى فى قصيدته "الشاعر فى السماء " ، وفجر رؤيه الثلج عواطــف
رشيد أيوب فذكر بلاده ووصف حنينه لها .

أما الناحيه الروحيه التى تعلق بها المهجريون ضد مدنيه الغــــرب
والتجائهم الى الروحانيه الشرقيه ، فقد كان فيها خدمه كبيره للقضيه القوميه التـــى
كانت تتصارع ضد قوى الغرب ومدنيته . صحيح ان المهاجرين فى أول امرهم قـــد
افتتنوا بعظمه الغرب العمرانيه وتفوقه العلمى والصناعى لكن كفاحهم المضنى والحياة
التى كانوا يحيونها كأدوات ميكانيكيه تعمل ليل نهار فى مدنيه السرعه والخصـــام
والتكالب على الرزق نفرتهم من الغرب ومدنيته ، وحببت اليهم جمال الطبيعـــه
وبساطه الروح . وفى ذلك يقول جبران خليل جبران فى مقاله "مناجاة ارواح "
حين يقابل بين طلوع الصباح على اكبر مدينه امريكيه ، وطلوعه على جبال لبنـــان
فيقول :

قد جاء الصباح ياحبيبتي ، وانبسطت فوق المنازل المكروســـه

١ــ صلاح لبكى ــ التيارات الادبيه الجديده فى لبنان . ص ٩٥ معهد الدراسات العربيه
٢ــ انيس الخورى المقدسى ــ الاتجاهات الادبيه فى العالم العربى الحديث
ص ٢٩٢ عن بلاغه العرب فى القرن العشرين " رضا " ص ٤٩٠ .

أكف النهار الثقيله ، فأزيحت الستائر عن النوافذ ، وانفتحت مصاريع الأبواب ، فبانت الوجوه الكالحه والعيون المعروكه • وذهب التمسا ُ الى المعامل وداخل اجسامهم يقطن الموت بجوار الحياه ، وعلى ملامحهم المنقبضه قد بان ظل القنوط والخوف كانهم منقادون قهرا الى عراك هائل مهلك • ها قد غصت الشوارع بالمسرعين الطامعين وامتلأ الفضا ُ من قلقله الحديد ودوى الدواليب وعويل البخار • واصبحت المدينه ساحه قتال يصرع فيها القوى الضعيف ، ويستأثر الغنى الظلوم بأتعاب الفقير المسكين ••••• "

ويقارن ذلك فى لبنان فيقول :

" استفاقت القرى المتكئه بهدو ُ وسكينه على كتفى الوادى، وترنمت أجراس الكنائس ، وملأت الاثير ندا ُ مستحبا معلنه بد ُ صلاة الصباح • وقد غادرت العجول مربضها وتركت قطعان الغنم والماعز حظائرها وانثنت نحو الحقول ترتعى رؤوس الاعشاب المتلمعه بقطر الندى • ومشى أمامها الرعاة ينفخون الشبابات وورا ُها الصبايا المتأهلات مع العصافير بقدوم الصباح •" (١)

ويحمل الشاعر القروى كذلك حملات شديده على ماديه الحياة الغربيه وهو يقارنها بما يجد فى بلاده من راحه النفس وبعد عن المتاعب فيقول •

يا برازيل لو أفضت على المال فيضا ما طاب فيك المقـــام
اين فصل الربيع فيك واين الشمس ـ اين الهلال ـ أين التمام
انت نعم البلاد جودا وخصبا غير ان الهنا ُ فيك حرام

••••••

فكأن الورى وهو بآجـــام وتلك الشوارع الآجـــام
منكب حك منكبا وجبيـــن شج رأسا ـ علام هذا الزحام

وعلى هذه الوتيره يسير الياس فرحات فى عده قصائد له فمن قصيده "عجل الذهب" يقول :

انما تدور اله الضميـــر وتحنى الرؤوس لعجل الذهب

وفى قصيدة اخرى له بعنوان "بين الطفوله والشباب" نلمس خوالج نفسه فى النقمه والشعور بعدم الرضا لما كان يحس به من ماديه الغرب وتكالب الناس ايها ، فيقابل بين حاله فى منزل والديه ، وحاله فى المهجر وهو يصارع الحياه فى سبيل الرزق فيقول •

١ـ انيس المقدسى ـ الاتجاهات الادبيه فى العالم العربى الحديث ص ٢٩٣

واهـا على ماضيكـم الليالـــى   واهـا على ساعاتها الغوالى
وحبـذا الغديـر والحيالـــى   وما لـدى النهرين من جمال
وما لتلك الارض مـــن جـــلال

....

امشى من الاحزان والاوجـــاع   كأن صنيـــن على أضلاعـــى
احاذر الذئـاب والافاعـــــى   والناس عند الذهب اللمـاع
شـر من الحيـات والسباع

فالشعراء ذوو رقة واحساس مجبـولون على رقة الشعور وسرعة الانفعال لايرضيهم الا التمتع بالحريه والجمال ، يدعون الى البساطه الطبيعيه والابتعاد عن شقاء المدنيه تلك التى اشعرتهم بجمال روحانيه الشرق وسحره ، فوجـدوا فى الشعر الرومانسى ضالتهم ينفذون منه الى الاسهم المكبوته ، فكان شعرهـم قد جمع بين روحانيه الشرق والتغنى بمشاهد طبيعه اوطانهم .

لقد كان التيار الرومانسى عندهم اكثر عمقا وشمولا لأنه تولد من الآلام مشاعرهم المتحده بآلام الوطن والشوق والتحنان له . وقد هرب ايليا ابو ماضى من ذلك الشعور الى الكأس فقال :

لم يبق مايسليك غير الكأس   فاشرب ودع للناس ما للناس
الحس مجلبة الكآبه والاسى   قم ننطلق من عالم الاحساس
نرجو الخلاص بغاشم من غاشم   لا ينقذ النخاس من نخـاس
ونكاد تفترش الثرى وبأرضنا   للاجنبى موائد وكراســـى

ولذلك قال لانسون " ان المذهب الرومانسى فى الادب كان ملجـأ لاذ به الشعراء والفنانون فرارا من تعب المهنى فى كنف الذكاء والتعقـل . "

الفـن للحيـاة

ازدادت الرومانسيه قوه حتى أصبح الشاعر لايرى فيها الا ذاتـــه ولا يتغنى الا مشاعره الخاصه ، فأخذ يبتعد رويدا عن مجتمعه الذى عاش فيـه ، واخذت الصله بهذا المجتمع تتلاشى وتضعف ، فضاقت احاسيسه الا عن نفسـه

واصبح وكأنه ينظر الى مجتمعه من برج عاجي . لكن ذلك لم يطل اذ سرعان ماهزت الحرب العالميه الثانيه مشاعر الشعراء فنهض قسم كبير منهم يتلمس مجتمعه ويتحسس حاجاته . وبدأت ارادة الشعوب هي التي تقرر المصير ودخلت البلاد العربيه في دور جديد من ادوار الكفاح والوعي القومي . فكان على الشعراء كسادتهم في كل عصر أن يحملوا رسالة الكفاح للتحرير والاستقلال ، وكان على الشاعر أن يتحسس مشاكل مجتمعه من خلال مشاعر امته ووجدانها .

من هنا بدأت الاتجاهات الادبيه تأخذ طابع الفن للمجتمع ، ولتقف أمام التيار الفردي الذي ينادي بأن الفن للفن وحده وان الشعر لا يصح ان يوزن الا بموازين الفن الجماليه وليس في موضوعه ولا من مهمته ان يخدم الاخلاق او يسخر لاهداف اجتماعيه .

سار رواد مذهب الفن للحياه سيرهم الذي يدعو الى التفاعل بمشاكل امتهم وخدمتها وتحقيق حاجاتها ، واخذوا يدافعون عن مذهبهم بما تمليه احاسيسهم من تلمس الام امتهم ومشاركتهم الامها . حتى عبر عن ذلك ايليا ابو ماضي بقوله :

علمتني الحياة في القفر اني اينما كنت ساكن في التراب

خلت اني في القفر اصبحت وحدي فاذا الناس كلهم في ثيابي

ويقول شوقي ضيف في ذلك :

"لقد وجهت الفلسفه السياسيه الجديده التي اعتنقها العرب في حياتهم المكافحه وجدانات الشاعر الضيقه المنعزله عن الحياة والواقع الى تبني قضية الامه ايضا ومصيرها دون ان يكتفي بخواطره المتناثره وعواطفه المنسابه ."(١)

وبذلك غدا الشعر العربي القومي في اتجاهه الاجتماعي شعرا ايجابيا يؤدي دوره في المجتمع ، حاملا رسالة الكفاح من اجل اسعاد الامه ، فجعل الشعراء قضية الوطن وتحريره محور شعرهم ، واصبحوا يشعرون بتبعاتهم الجسيمه نحو مجتمعهم المضطرب ، وبالالتزام الهادف في شعرهم .

ويردد الياس فرحات حاجه المجتمع الى الشعراء ورسالة الشعراء اتجاه تحقيق مطالبه ورفع الضيم عنه فيقول :

١ـ شوقي ضيف ـ الادب العربي المعاصر ـ ص ٤٠

هذى بلادك مسرح لحوادث   جهلت نبوءات الكتاب ختامها
تأبى عليك مروءة عربيه   الاتشارك فى الشعور كرامها
فذووا الحسام رعوا هناك ذمامه   ولله البراعه فارعانت ذمامها .

ويبلغ هذا الاتجاه أوجه على يد الشاعر القروى وضد اتجاه الفن للفن وضد الداعين له فيكرس شعره فى خدمه قومه بايمان قوى ونكران ذاته ونجده يزهد فى كل شيء عدا حوادث امته ونكباتها والتعبير عن آلامها وخدمه قضاياها ، وهو ينتقد تلك الفئة التى تبتعد بأحاسيسها عن حقائق المجتمع بشتى نواحيه فيقول :

أرأيتم شاعرا تطربه   أنه الثكلى على رطب وجيد
ويرى اخوانه تنترضم   زعزع البغى على كل صعيد
وهو لاه ينسب الشعر على   رنه الكأس بقد وبجيد
ليس هذا شاعر الخلد كما   وهموا بل شاعر العصر البليدى

وهو يدافع بايمان وحراره عن اتجاه شعره الذى يجهر بالحريه وينادى بالاستقلال ويطالب بالحق وينشد العدل . وهو يحدد رسالة الشعر فى مذهبه فيقول " الشعر الحقيقى هو ما مثل الحياة اكمل تمثيل ، والشاعر العظيم هو صورة محيطه الناطق ، هو دليل امته الذى يتقدمها كعمود النور فى ليالى محنتها رافعا لواء الحق ، هو بشيرها فى الشده ينعشها بالرجاء ، ونذيرها فى الرخاء (١)

لقد كان شعر الشاعر القروى تطبيقا عمليا لآرائه ومذهبه فى الشعر . واقوى مظهر من مظاهر التعبير عن اتجاه الادب الهادف ونجد نفسه مفعمه بالايمان بأمته ونكران ذاته فيقول :

غرضى فوز أمتى لم يكفكفنى عنه تحرقى المستعمر
لا ابالى شبعت أم جعت والقن شرابى وعزة النفس خبزى
ذل قومى ذلى وان كنت اغنى الناس طرا وعز قومى عزى .

وهو يحمل هذا المشعل يبشر به أينما حل الى ان يجدد رسالة الشعر فى مذهبه . ولاشك ان هذا مظهر بارز من مظاهر الشعر القومى فى الادب الحديث وخصوصا بعد الحرب العالميه الثانيه حيث اصبحت تطبيقا عمليا واديا ينتهجه الشعراء .

ويخاطب فى موضع آخر فتاة انكليزية حركت مشاعره ولكن شعوره بعروبته كان أقوى من هواة الطارىء فيخاطبها (٢)

١ — ايليا ابو ماضى — مقدمة ديوان الاعاصير ص ٢٥٠
٢ — الديوان — ص ٣

ولو لم تكونى فرنجيــــــه لكنت سعادي قبــل سعــاد
ولكننى عربــى المنبــــى عربى الهوى عربى الفــؤاد
فلا تعذلـى شاعراً زاهداً وكم هام بالحب فى كـل واد
فانــى حرام علـى هــواك وفى وطنى صيحه للجهـــاد

لقد شق الاتجاه القومى طريقه الى الشعراء يفردون له بابا خاصـــا من أبواب دواوينهم يودعونه شعرهم النابض بأحاسيس امتهم ، وبذلك اصبح لهـــذا اللون من الادب اهميته التى تواكب مراحل نضال الامه العربيه وتلتزم خطواتهــا وتؤدى رسالتها الى ان يشرق فجر الحريه على كل ربوعها وتحقق الوحده بين كـل اجزائها وتعود الى ركب العالم المتسابق الى التقدم والحريه والحياة الكريمـة .

ـــ . ... ـــ

الأداء الفنـــــى

أ

لايمكن للأدب العربى أن ينكر فضل الشعراء التقليديين وبخاصه البارودى وشوقى وحافظ برجوعهم الى الشعر العربى فى أيام ازدهاره ،فاستطاعوا أن يعيدوا اليه ديباجته الناصعه ، ويقول العقاد :

وأما الشعر فلم يكن يقصد به غير الوزن والاستكثار من محسنات الصنعـه فملأوه بالتوريه والكنايه والجناس والترصيع ، وجعلوا قصائدهم كلها كأنها شواهــد نظموها ليزينوا بها كتب البيان والبديع ، وظهر فى الشعر التطريز والتصحيــف والتشطير والتخميس ،وراح الشعراء يتبارون فى اللعب بالالفاظ وجمعها كما يتبارى الاطفال فى جمع الحصى الملون وتنضيده ٠٠٠٠٠ الخ (1)

عاد البارودى الى منابع الشعر العربى السليم ،فاستطاع أن يخلــص الشعر من آفاته ، ويخضع اللغه التقليديه للتعبير عن احاسيس عصره ومشاهــده ، ومن الطبيعى أن يسير شوقى وحافظ فى طريق الشعر الاتباعى حتى تأخذ هـذه المرحله حاجتها من التطور الزمنى لتنتقل بطبيعتها الى مراحل اخرى من المذاهب الادبيه التى ظهرت بعد ذلك وتفرعت وان لم تستطع ان تصل الى الذروة التى وصلها الشعراء التقليديون ٠

كانت الاحداث القاسية تعرض للامه العربية بقسوه وشده ، وخاصة فــى الشام ومصر ،وكانت الأمه العربيه تجاهد وتكافح لتثبت دعائم قوميتها ضد الاستعمار الغربى ،فكان اتصال الشعراء العرب بتراثهم الادبى القديم الحافل احـــدى مقومات حياتهم القوميه التى تزيدهم تشبثا بها فى مرحله بعثهم الجديـــده وبذلك يعتبر التيار التقليدى فى الشعر ظاهره قوميه بغض النظر عن المضمـــون الشعرى ، ويعتبر اى تجديد أو خروج عن القديم مثار قلق لذى الأمه التى لاتزال فى طور كفاح لتحقيق الكيان القومى ،ويقول فى ذلك الياس فياض من قصيده عنوانهـــا وفاء ٠

١ــ محمد مندور ــ الشعر المصرى بعد شوقى ــ ص٤ معهد الدراسات العربيه العاليه

تلك آباؤنا وذاك تراث   المجد منهم بان الى الأبناء

لذلك نجد شعراء العرب يتخذون من شوقي وحافظ روادا لهم . وبهذا كان الشعر القومي يتسم بالطابع القديم وكان شكل القصيدة القومية يحتفظ بطابع التقليد في اصول النظم الا في بعض مواطن تجديد قليله سنعرضها في حينها .

٢

لم تكن تتمثل في الشعر العربي القديم وحده القصيده الا في اتحاد الوزن والقافيه اما الغرض فقلما تراه موحدا ، ويفسر الدكتور مندور هذه الظاهره بقوله :

"ان القصيده العربيه القديمه كانت تدور عند نشأتها حول مايشغل الرجل البدوي وينبع من حياته ، مثل وصف الاطلال ، والناقه والرحله ومنازل الاحبه وحيوان الصحراء ونباته ، حتى اذا ظهر المدح والتكسب بالشعر لم يشأ الشاعر العربي المفطور الذي كان يقول الشعر اصلا للعباره عما في نفسه ان يتخلى عن هذا الغرض الشاعري الاصيل لكي يقرض قصيدته كلها في المدح . لذلك اخذ يجمع في قصائده بين الغرض الشاعري القديم والغرض النفعي الطارئ ... واصبحت هذه الظاهره تقليدا شعريا ثابتا عند العرب ."(١)

وفي القرن الرابع الهجري عندما يوازن الامدي بين ابي تمام والبحتري تقوم موازنته على أساس هذا البناء التقليدي القصيده . فيبدأ بالمعنى التقليدي في استهلال القصيده وهو ذكر الديار ووضعها ، ويفصل كافه المعاني الفرعيه التي تنطوي تحت وصف الاطلال كالدروس وتعفيه الرياح وآثار الراحلين ، ثم ينتقل الى ذكر الحبيبه التي كانت تقيم في تلك الديار واوصافها ، ومنها الى

١ـ محمد مندور "الشعر المصري بعد شوقي" . ص ١٦ معهد الدراسات العربيه العاليه

وصف الناقه والرحله فى فيافى الصحراء ومايلقاه الشاعر من حيوان أو نبات ، واخيرا يتحدث عن وسائل الانتقال التقليديه ، ثم يأخذ فى الحديث عن الخصال والفعال التى استقرت تقاليد الشعر العربى على ان تتخذ وسيله للمدح .... الخ .(١)

لقد غدت تجزئه القصيده القديمه تقليدا عند العرب ، ونجد أن الشعراء الذين تمردوا فى العصر العباسى على محاكاة القدماء لم يطرحوا المطالع والمقدمات بل استبدلوها بغيرها . امثال ابى نواس فلم يطالب بحذف المطلع بل استبداله بما يناسب العصر كقوله فى ابنه الكرم .

صفة الطول بلاغه القدم   فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ثم يقول : أرجع البلى ان الخشوع لباد   عليك وانى لم أخنك ودادى

فمعذرة منى اليك بأن ترى   رهينه ارواح وصوب غوادى

ولا يسمت زعيم المحدثين ابو تمام عن ان يخاطب الاطلال بقوله

أأطلال بنت العامرى بمنعرج   غناؤك محظور على الدنف الشجى

اجيبى سؤالا واعرفى ان عرفته   مقامى عن صحبى وحق تعرفى

فالفنون الشعريه المختلفه تتدرج فى القصيده العربيه على حاله من الاستطراد يخرج الشاعر به من فن الى فن ، فتفقد القصيدة صفه الوحده المتناسقه فى موضوعاتها وتظهر بمظهر الاستطراد والتفكك الموضوعى .

كثير من شعر الشعراء الكلاسيكيين ابتعو فى شعرهم هذا الاتجاه فشوقى مثلا يفتتح احدى قصائده بمطلع عربى قائلا :

بأبى وروحى الناعمات الغيدا   الباسمات عن اليتيم نضيدا

واذا تحدث عن مشروع ملنر فانما يفتتح قصيدته بقوله :

اثن عنان القلب واسلم به   من ربرب الرمل ومن سربه

وبعد أن تصل ابياته الى سبعه عشر بيتا ينتقل الى الغرض الرئيسى من القصيده كالعادة المتبعه فى قصائد المدح حين لايمكن للشاعر ان يبدأ

١ـ محمد مندور ـ الشعر المصرى بعد شوقى ـ ص١٣ ـ معهد الدراسات ال...

فجأه بالمدح وينتهى به .

اما فى القصائد القوميه فنجد ان معظم الشعراء طرقوا موضوعهم مباشرة دون تمهيد ، ودون حاجة الى مقدمات كما فعل الاقدمون فى شعر المديح أم غيره من شعر المناسبات . فأمين ناصر الدين عندما يتحدث عن فلسطين فى فتنه البراق يقول :

هذى فلسطين فاخمد جرحها الدامى   وانضح ثرى قد سها بالمدمع الهامى

ويقول على الجارم فى مؤتمر الثقافه العربى فى لبنان

لبنان رمز الهوى والفن لبنان   الارض مسك وهمس الدوح الحان

ورشيد سليم الخورى يقول فى حفله جمعيه الخيريه الاسلاميه

صياما الى ان يفطر السيف بالدم   وصمتا الى ان يصدح الحق يافمى
افطر واحرار الحمى فى مجاعـــه   وعيد وابطال الجهاد بمأتـــم

وطبيعى ان يستغنى الشاعر القومى عن مطلع القصيده التى اعتاد أن يبدأ بها الشعراء الكلاسيكيون قصائدهم، ولو استعرضنا معظم الشعر القومى نجد أن الشعراء قد استغنوا عن هذه المطالع التقليدية ، وابتدأوا قصائدهم دون تمهيد . على ان الشيء الذى يبدو واضحا افتقـاد الوحده العضويه للقصيده القوميه، اذ ان الباحث فى الشعر يمكنه ان يقتطع أى بيت دون أن يؤثر هذا فـى بناء القصيده الكلى ، وقد ظهر هذا جليا فى اختيارى ابياتا للاستشهاد بهـــا اثناء عمليه البحث . ولما جعـل القصيـده العربيه موضع نقد وجدل بين الشعراء والعقاد يقول ويفصل هذا القول :

"ان القصيده ينبغى أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيه تصوير خاطـــر أو خواطر متجانسه ، كما يكمل التمثال بأعضائه والصوره بأجزائها واللحن الموسيقى بأوزانه بحيث لو اختلف الوضع او تغيرت النسبه اخل ذلك بوحده الصنعه وافسدها (١)

١ـ محمد مندور ـ الشعر المصرى بعد شوقى ص١٥ ـ معهد الدراسات العاليه

والذى لاحظته ان القصيده التوميه اقل تقبلا للوحده العضويه من غيرها من مواضيع الشعر العربى ، فطبيعه الموضوع ذات أثر فى مدى الوحده بين الابيات فالموضوع القصصى يأخذ البيت برقاب البيت الذى يليه فى تسلسل وتدرج ، وهذا ماحـــدا بالقصيده الاغريقيه مثلا ان تتمثل فيها وحده متناسقه لأنه شعر قصصى يختلف تناولـه عن الشعر الغنائى • فقصيدة الحطيئه مثلا فى وصف الذئب الطارق تتمثل فيهـا شىء من الوحده العضويه عندما يقول :

وأطلس عسال وما كان صاحبا دعوت بنارى موهنا فأتانى

فلما اتى قلت ادن دونك اننى وإياك فى زادى لمشتركان

وقصائد ابى نواس تتجلى فيها شيء من الوحده العضويه كما تتجلى فـى قصائد عمر بن ابى ربيعه وبشار وغيرهم حيث يقص علينا الشاعر مغامراته الخمريـه او الغراميه • أو يصف لنا وقائعه الحماسيه •

ولا يعتبر فقدان الوحده العضويه عيبا ، فهو من طبيعه الشعر الغنائـى أو الوجدانى الذى انحصرت فيه عواطف الشعراء العرب قديما فبلغوا فيه منزله عاليـه جدا •

ويتجلى مراعاة الوحده العضويه بعد احتكاك العرب بآداب الامم الاخرى فى موضوعات عديده اقتضت هذه الوحده فى النظم أو تصميما فى العواطف والصـور الخياليـه ، كما هى فى الشعر التأملى أو القصصى ، كشعر مطران القصصـــى والشاعر القروى فى فتى الهيجاء •

فمن باب الشعر التأملى مثلا قصيده الطلاسم لايليا ابو ماضى ، وهـــى مؤلفه من واحد وسبعين دورا رباعيا تنتهى جميعها بعباره واحده هى بمثابـــه لازمه أو قرار يرجعنا الشاعر اليه وبه يوحد عواطفه وخيالاته • فيحاول تصوير قصـور أدراك الشاعر كشفه الحياة وسرها الغامض •

جئت لا أعلم من أين ولكنــي أتيــت

ولقــد أبصرت قدامى طريقا فمشيــت

وسأبقــى ماشيا ان شئت هذا أم أبيــت

كيف جئت ؟ كيف ابصرت طريقى ـ لست أدرى .

ولا يزال يقف امام مشاهد الطبيعه المختلفه حائرا متسائلا حتى يصل الى ختامها . فأدوار القصيده متضافره فى الاتجاه نحو غرض واحد هو روح القصيدة أو فكرتها الاساسيه وكذلك فى قصيدته "الاسطورة الازليه ، وقصيده التمثال لعلى محمود طه (١) (٢)

وقد نهج طوقان فى بعض قصائده هذا المنهج كقصيده الشهيد ، والفدائى

٣

وأدى طبيعه افتقار القصيدة القوميه الى الوحده العضويه أن تناثرت كثير من ابيات الحكم والفخر فى القصيده ، واحيانا كانت تختتم القصيده بها واحيانا اخرى ينهى الشاعر بها قصيدته كنتيجه لما تقدم من القول .

وكان شوقى موفقا فى هذا المضمار اتم توفيق ، ولا شك أن نجاحه هو الذى جعل بقيه الشعراء يترسمون خطاه ، فأبياته لاتزال تروى ولن يكف الناس عن ترديدها لما تشعرهم به من تجاوب مع تجاربهم اليوميه وحياتهم .

وللحريه الحمــراء بـــاب بكل يــد مضرجه يــدق

وكقولــه :

وما نيل المطالـب بالتمنـــى ولكن تؤخـذ الدنيا غلابا

وقول الشاعر القروى يؤكد قوه الوحده العربيه .

أصابع كف المرء فى العد خمســه ولكنها فى مقبض السيف واحد

وكحليم دموس يؤكد هذه الوحده فى صوره اخرى فيقول .

وتقارب الارواح ليس يضيره بين الديار تباعد الاجساد

انما رأيت الشعر وهى بعيده تهدى الشعاع لانجد وو هاد

١ـ الخمائل ص ١٢٧

وكقول خير الدين الزركلي يطالب العرب بالمبادره الى الكفاح والاعتماد على النفس بقوله :

خذ في يديك زمام امرك ان تطع   او فانفرد شر الرجال الإمع

وكقول حافظ ابراهيم يعظم من شأن وحده الشعب :

هلاك الفرد منشؤه تـوان   وموت الشعب منشؤه انقسام

وكقول احمد محرم

واذا الرعاة تنكبت سبل الهـدى   غوت الهداة وطاشت الحكماء

وكقول احمد الكاشف

وليس بمضن امة خصب ارضهـا   اذا لم يكن خلق الرجال خصيبا

وكقول محمد عبد المطلب يطالب بتوحيد القوى من أجل البلاد فخـذ لان البلاد هو الكفر .

كلانا على دين بن هو مؤمـن   ولكن خذ لان البلاد هو الكفر

وهكذا لو اردت استعراض الحكم المتناثره في القصائد لما انتهيت ، وكلها تدعو الى وحده الامه العربيه ، والاعتماد على النفس في الكفاح ، والفخر بالانساب والمبادره الى العمل ، ونبذ التفرقه الدينيه وما الى ذلك مما تتطلبه مواطن القصائد القوميه في بعثها الجديد وما يورده الشاعر من المعاني ..

٤

ولا شك ان الشعر القومي يتطلب من جزاله اللفظ وجهاره العباره وجلجلة القافيه ووضوح الإيقاع ما لا يتطلبه الشعر في مواضع اخرى كمواضيع الشعر القومـي الحث على الجهاد ، واستثاره النفوس وبث الحماس فيها والافتخار بالاباء والاجـداد ووصف البطولات العربيه في التاريخ القديم والمعاصر ، والدعوه الى التمسك بالوحـده ونبذ الفرقه ، الى غير ذلك من المواضيع القوميه ، وهذه ولاشك تتطلب من النبـره والجرس اللفظي ما يتمم المدلول اللفظي التي هدفت اليه الكلمه . وما يكمل ايحائهـا الفعلي العاطفي .

ويتقابل الشعر القومي في كثير من ظروفه الناشئه بالخطابه كما انه يحتـاج الى كثير من مقومات الخطابه كالتأثير على الجمهور واثارة الحماسه ومخاطبة العواطف ،

لذلك تعتبر جزالة الالفاظ من مقوماته .

ومعظم الشعر القومي تتوفر فيه هذه الجزاله في اللفظ كشوقي والشاعر القروي وخير الدين الزركلي ، وخليل مردم ، ومحمد عبد المطلب ، فمن شعر محمد البزم النضالي .

اقسمت بالضاد فخر الناطقين بها   ان كان يقنع قومي مني القسم
لابعثن بهم شعرا يثير بهم   عزائما كعباب اليم يلتطم

وقول مصطفى الغلاييني :

هبوا فامتكم امست على خطر   جارت عليها الاعادى جور منتقم
حتى تسيل ربوع الشام مفعمة   دما يسيل الردى في سيله العرم
وذمه العرب والايام شاهدة   لنصر من الوغى في السهل والقمم

أما ابو الفضل الوليد فيقول :

هبوا بني أمي وصيحوا صيحة   يصحو العراق لها ويصحو الشام
وقفوا نمزق بالسيوف جموعهم   حتام تعبد عندنا الاصنام

كلها الفاظ تتناسب والمعنى الذى هدفت اليه القصيده القوميه ، فأبو هلال العسكري يقول " لايكون الكلام بليغا حتى يعرى من العيب ويتضمن الجزالة".

ويقول في موضع آخر " وأجود الكلام مايكون جزلا سهلا لاينغلق معناه "

وعلى هذا النحو سار معظم شعراؤنا المحافظون في قصائدهم القوميه ينتقون اللفظ الفخم تعينهم على ذلك ثقافتهم العربيه الواسعه .

فلو طالعنا مواضيع اخرى من الشعر العربي نجد خفوت هذه النبره في جرس الكلمه قليلا وان كانت لاتزال تحتفظ بجزالتها . ولم يستطع الشاعر أن يتخلص منها ، وكلما تقدمت السنون نلاحظ أن هذه الجزاله تقل حدتها نتيجة حتميه لبعد الناشئه عن الثقافة العربيه الخالصه وتشبعهم بثقافة الغرب ونظرياته .

٥

أما الصور والمعانى الشعريه فهى ايضا من وسائل الاداء الشعرى فـــى الجاهلية وبعد الاسلام والتى لم يستطع الشاعر القومى الا أن يدل عليها بتعبيراته سواء بتضمين القصيده معنى من معانى القدماء أو بنظم ما يشابهها من هذا المعنى وخصوصا فى شعر الفخر والحماسه وفى مواقف الحماسه التى قد حصل مايماثلها فـى التاريخ القديم • فعبد الرحمن الرافعى يقول أن الدنيا لاتصلح مالم يتولى أمـــر كل جنس ولى من جنسه •

ما تصلح الدنيـا ولا ناسهـــا مالم يلِ الاقوام أجناسهــــا

ولا شك أن هذا البيت من الشعر يرتبط ارتباطا سريعا بالمعنى نفسه الــــذى قاله المتنبى •

وانما الناس بالملوك ومــــا تصلح عرب ملوكها عجـــم

وقول محمد الاسمـر :

واذا الصوارم واليراع تناظـــرا فرقت بين الحق والاوهـــــام

شبه هذا القول قول ابى تمام :

السيف أصدق انبـا من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

ومع أن مطران من المجددين فى الشعر فان اثر القديم توحى اليه بعض أبياته حين يقول :

بعد وشيك فى اثر شيب عنيـــف وارتداد فى الشوط عب ارتداد

فهو يرتطى بقول امرىء القيــس :

مكـــر مفـــر مقبـــل مدبـــر معـــا ......

وقول معروف الرصافى :

وقد عهدوا لنا بتراث ملــــك أضعنا فى رعايته العهودا

ورثنا المجد عن آباء صدق أسانا فى ديارهم الصنيعا

اذا الحسب الرفيع تواكلته بناة السوء أوشك ان يضيعا

وقد بلغ من شدة اعجابهم بالشعر القديم تلك المعارضات الموجوده فى شعرهم فكثير من قصائد الشعراء كأحمد نسيم وعزيز فهمى والاسمر ، وشوقى يتأثرون بروح القصيده القديمه فيعارضونها ، ولئن كانت شخصياتهم تبقى واضحه المعالم فى القصيده الا أن تأثرهم ببعض معانيها واضح فالمتنبى يقول فى احدى قصائده لسيف الدوله

وأنت الذى تغشى الاسنه أولا وتأنف ان تغشى الاسنة ثانيا

فيقول نسيم :

ونادى جلال الملك يدعوك أولا اليه ويأبى أن يرى لك ثانيا

ونجد احمد شوقى يتحدث عن الامويين وعروشهم وخلفائهم وعن الآثار العربيه كقرطبه ويتحسس ثراها بوجدانه وعن الحمراء وغرناطه ويتخيل رحيل العرب عن الجزيرة فيبكى مجد العرب الضائع هناك ويتجه الى العظات والعبر ، فهو فى قصيدته انما يعارض سينية البحترى

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جبس

وذلك فى قصيدته .

اختلاف النهار والليل ينسى أذكرا لى الصبا وأيام انسى

ولو اطلعنا على شعر المعارضات لطال المقام فنسيم يعارض قصائد البحترى ، وأبو تمام والاسمر يعارض اشعار الكميت ، ومصطفى الماحى يعارض شعر ابن زيدون ومحمد عبد المطلب يكاد يشعرنا ببراعته فى التعبير الجزل الذى لا يكاد يبعد عن شعر الاقدمين ، وهكذا يستمر الشعراء القوميون فى تأثرهم بالثقافة العربية حتى فى تشبيهاتهم ومعانيهم .

ولا يقف التأثر بالقديم عند ذلك بل نجد الشاعر يضمن قصائده أقوال القدماء .

فحافظ مثلا يتحدث عن مصر ويقول

وكم ذا بمصر من المضحكـــات   كما قال فيها أبو الطيـــب

ويقول عبد المطلب

ينادى لسان الحال من شرفاتهـا   قفوا ودعونا قبل وشك التفرق

وفى قول عمر يحيى

" لايسلم الشرف الرفيع من الأذى "   حتى ترد قذائف ومفاصل

وكذلك فى فخر ايليا أبو ماضى فى × تشبيهه لأبى فراس الحمدانى فى قوله

ومن كان قحطان اباه فانه   له الصدر دون العالمين أو القبر

٦

اما التشبيهات فقد استعملوا كثيرا من تشابيه القدماء وصورهم ، كالرعـــد والابراق ، وبنات الموت ، ومزجى الخميس ، كمي ، نصل ، الغضنفر ، اطراف اللهاذم ، القـلاص ، يخب ، القلوص ، والبيض ، عضب السيوف ، وغير ذلك من المعانى البدويه التى لها اتصال بأسماء ادوات الحرب وبالحيوانات الضاريه وبالطبيعه البدويه بألوانها المختلفه ، وبالناقه وما يتصل بها من الصفات التى استعملها العرب ، مما لم يكن بينه وبين البيئه الحديثه صله تذكر .

وكما شهدت القوالب الموسيقيه التى كان يصب بها الشاعر شعره على قـدم الشعر الجاهلى ، فكذلك شهدت قصائد القوميين فى بحورهم وأوزانهم على صلتهـا بالشعر الكلاسيكى القديم . شعر البعث الادبى الجديد ، فقد استأثرت البحـور الطويله باهتمام الشعراء ، وذلك طبيعـــى . نتيجه للموضوعات التى يطرق بابهـا الشعر القومى كالافتخار بالعروبه ، والدعوه الى الجهاد ، ووصف البطوله ، أو وصف معركه ، أو الدعوه الى التآخى والاتحاد ونبذ الشقاق . اما الاوزان الخفيفـة أو المجزوءه فكان استعمالها احيانا لايتناســـب مع الموضوع الذى قيلت فيه ،

والذى كان الشاعر العربى القديم يوليه اهتماما كبيرا ويحافظ على العلاقه الكبيره بين الوزن والموضوع.

فلا اعتقد مثلا ان خير الدين الزركلى قد وفق فى هذا الوزن مع مناسبة البكاء الذى اراد التعبير عنها فى قصيدته :

أبكى ديارا خلقت للجمال

أبهى مثال

أبكى تراث العز والعزغان

صعب المنال

أبكى جلال الملك كيف استحال

الى خيال

ففى القصيده تنافى وتنافر النغم الموسيقى والقافيه مع معانى الحزن الذى اراد الشاعر التعبير عنها . اما بعض القصائد فقد نجح الشاعر القومى فى استعمالها حينما كان الموضوع مناسبا سواء بالوزن أم بالقافيه ، وتظهر فى التهكم بالمستعمر أو التهكم بالوضع الراهن . فالرصافى مثلا يقول للمستر كرا ين الامريكى :

واذا تسأل عما هو فى بغداد كائن

فهو حكم مشرق الضرع غربى الملايين

وطنى الاسم لكن انكليزى الشناشن

قد ملكنا كل شىء نحن فى الظاهر لكن

نحن فى الباطن لانملك تحريكا لساكن

وحتى هذا التغيير في الاوزان كان محدودا جدا ازداد استعماله بعد الحرب العالمية الثانية واصبحت له مدرسته الخاصه التي تتعصب له .

وما يقال في نغم القصيده يقال في قافيتها ، اذ ان تنوع القافية لم يحدث في الشعر القومي الا قليلا ، وظهر في بعض الموشحات التي تحافظ على الوزن وتسمح بتنوع القافيه كالمخمس او نحوهما من الانماط التي تحافظ على وحدة الوزن وتسمح بتنويع القافيه . كقول الشيخ مصطفى الغلاييني في الحماسيه . (١)

راية الحرب رايه المدنيـــه   راية المجد رايه العزيــه
انت مهوى آمالنا الوطنيــه   ومنار "يهدي السبيل السوية "
دمت فينا مدى الزمان عليــة

بك نحمي الحمى المفدى ونجنـي   ثمرات تحيي القلوب وتغنـي
ونرجي الحياة في روض أمــن   وارف ظاله خصيب أغـــن
في حمى دولة العلى العربية

اما انواع الموشحات فكثيره متعدده لجأ اليها الشعراء باعتبارها ألوانا من التراث القديم الذي ظهر في الاندلس ، فهو جزء من الثقافة العربية التي يحق للعربي أن ينسج على منوالها دون أن يشعر أنه غير من هذا التراث شيئا أو خرج عن جادته .

فحليم دموس من هؤلاء الذين نظموا موشحات في الحماسه فقال .

ايها الابطال حيوا العلمــا   واحملــــوه
وانصبوه فوق اسوار الحمـــى   واحرســـوه
كن لقومي رمز مجد وعـــلا   فـي الامــم
وتمون ، ثلاث الشعب فـــدا   يا علــــم

١ــ الانفاس الملهبه ص ١٢٠

ومهما يكن فقد كان التجديد محدودا فى القصيدة التونسية وكل ما حصل لايعدو محاولات فى نطاق القالب التقليدى الموروث •

التجديد فى الاسلوب الشعرى

الرمز فى لغة العرب هو الاشارة ، وهو طريق من طرق الدلالة ، ولم يتحدد الرمز معنى اصطلاحيا الا منذ العصر العباسى عصر النهضة العلمية الادبية ، وقد جنحت الحياة الى صور من التعقيد ، وتعرضت لألوان من الكبت والضغط ، كما أن هذا العصر استكمل فيه التشيع والتصوف وسائلهما المذهبية والأسلوبية [1].

وكان أول من تكلم الرمز بالمعنى الاصطلاحى قدامه بن جعفر ، فأطلق عليه معنى الايجاز ، فيكون اللفظ القليل مشتملا على معنى كثير [2].

وأضاف البلاغيون الى الرمز بعد المعنى عن ظاهر اللفظ ، وغير المباشره فى التعبير، وقد جاءت الرمزيه فى القرآن على نطاق الرمزيه المعهوده فى كلام العرب من الايجاز والتعبير غير المباشر مع اعتمادها على الموسيقى فى اثارة الاجواء كمثل قوله " والنازعات غرقا ، والناشطات نشطا ، والسابحات سبحا ، فالسابقات سبقا ..... الخ .

وكانت مظاهر الرمزيه فى الادب العباسى الاغراب فى التصوير وتداخل معطيات الحواس كبشار ، وابى تمام ، والشريف الرضى .

اما الرمزيه عند الغربيين فتفهم بمعناها اللغوى علامة على اى شكل أو أى شيء مادى له معنى اصطلاحى ، واما الرمزيه فى الادب فهى حركة ادبيه تميزت فى فرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر ، وهى ثورة على الطبيعيه البالغة الغاية فى الجمود ، وعلى البرناسيه المفرطة فى الوضوح [3]

وقد جاءت لتعبر عن عالم مثالى كان فى نظرهم هو العالم الحق ، وهى تستند الى مثاليه افلاطون التى كانت تنكر حقائق الاشياء المحسوسه ، ولا ترى فيها غير رموز

١ــ درويش الجندى ــ الرمزيه فى الادب العربى ص ٢٤ مكتبه نهضه مصر .

٢ــ بدوى طبانه ــ قدامه بن جعفر والنقد الادبى ــ ص ١٠٦ ــ مكتبة الانجلو .

٣ــ درويش الجندى ــ الرمزيه فى الادب العربى ــ ص ٧٠ ــ مكتبه نهضه مصر .

ترمز الى الحقائق المثاليه البعيده عن العالم المحسوس(١).

ولم تتضح معالم الرمزيه الغربيه في الادب العربي الحديث وتبدو حركة متميزه الا منذ عام ١٩٢٦ — سواء في مصر أم الشام ، فقد تضافرت عوامل الثقافه الاجنبيه مع عوامل الكبت السياسي والاجتماعي على تهيئة الادب العربي لتلقي هذا المذهب والنسج على منواله •

وكانت نفوس المهجريين اكثر استعدادا لتقبل هذا المذهب لما نكبوا به من سوء الحكم التركي وما لاقوه من الكبت السياسي ، فتفننوا بالحريه السياسية والادبيه وتكونت منهم مدرسه رومانسيه وجدت الرمزيه الغربيه بذورها فيها ، وتزعم هذه المدرسة جبران •

---

١ — درويش الجندي — الرمزيه في الأدب العربي — ص١٠٩ — مكتبه نهضه مصر •

أ ـ الرمـــز القصصـــي :

١
=

واذا تتبعنا الشعر القومي الذي انتجه الشعراء بين الحربين العالميتين الاولى والثانيه ، لانجد للمذهب الرمزي صدى في انتاج الشعراء ، فقد عمد الشعراء القوميون في اسلوبهم الشعري الى الرمز القصصي ، فاستعانوا بقصص التاريخ القديم أو القصص الخرافيه ليشيروا الى استنكارهم للاحتلال والتعبير عن كرههم له ومقاومتهم لأساليبه المختلفه ، وقد لجأوا الى هذه الطرق في الرمز القصصي خوفا من غضبه المحتل وبطشه ونتيجه للضيق الفكري والسياسي .

وليست القصه الرمزيه جديده في الأدب العربي ، فقد عرفوها شعرا ونثرا ، عرفوها في قصص الحيوان ككتاب كليله ودمنه ، فالمقصود ليس ظاهر القول انمـــا اراد به كاتبه نقد السلوك الانساني والعمل على تقويمه ، وكذلك الحال في رسائل اخوان الصفا فقالوا على السنه الحيوان مالو جاهر به احد هم لثارت حوله الشكوك وتعـــرض للعقوبات .

عرفوها ايضا في قصص الف ليله وليله ، فضمنوها ارشادا خلقيا وتوجيهـــــا سياسيا واجتماعيا . ونقدوا في المقامات النزعه الكسرويه القديمه التي ظلت مسيطرة على مشاعر عليه القوم ، وكذلك عظم الفوارق الاجتماعيه ، كما نقد أبو العلا في رسالـة الغفران بعض عقائد المسلمين التي كانت شائعة بطرق غير مباشره خوفا من الاتهـــــام بالزندقه والخروج على الدين ، وكذلك الحال في رسالة حي بن يقظـــان .

وفي ادبنا الحديث من اعتمد التشخيص الرمزي لنقد الافكار والعواطف كمـــا فعل جبران في مقاله حفار القبور ، وتوفيق الحكيم في رواية شهرزاد وأهل الكهف .

اما في الشعر فالامثلة كثيرة، فالقصص الغراميه في شعر شعراء العرب صوره من صور التعبير الرمزي ،اى انها نوع من انواع المجاز وليست حقيقة ، ويقول الدكتور البهبيتي " وقصه البراق ، وقصه المرقش الاكبر ، وقصص غرام امرئ القيس ولبوه، وقصه غرام عنتره ، لم يقصد بها الا التصوير لأحداث تاريخيه وقعت لهؤلاء الابطال وجرت على هذا النسق في حياتهم ، فهي لون من الوان التصوير الرمزي لوقائع تاريخيه تتصل بحياه كل منهم وتبين مواقفهم من تاريخ امتهم وتتعلق بمطامع لهم كانوا يجرون وراء تحقيقها فخابوا أو اصابوا (١).

لقد عمدت طائفة من الشعراء القوميين الى هذا اللون من اساليب القصص الرمزي نتيجه للتضييق الفكري الذي كانت تعانيه جموع الامه العربيه وايثارا لسلامتهم من الارهاب الذي كان مصلتا فوق رؤوسهم سواء كانوا في الشام أم العراق أم مصر .

٢
=

لم يستطع الشعراء المقيمون في الوطن العربي ان ينتصروا بشعرهم علنية لشهدائهم من ضحايا الامه العربيه زمن حكم جمال باشا . فقد كان المرء يؤخذ بالشبهة فكانوا ينتظرون فرصه يتمكنون فيها من التحدث عن الامهم ونشر ما نظموه في بكاء شهدائهم فحليم دموس يصف سجنه في تلك الفترة بحاليه فيقول (٢):

انا في سجني وحيد أحتسي	خمره الاتراح لا خمر الدنان
مهمل في غرفــه مظلمــه	لو مشى المصباح فيها لا يراني
ليس لي ذنب سوى حريــه	سببت سجني وقهري وهواني
ايها الظالم جوروا واحكموا	وازرعوا الويلات في كل مكان
فغدا ينشق جلباب الدجى	وترى في مطلع الفجر الاماني

ولا شك ان هذه الابيات تمثل ما كان يلقاه الفكر العربي آنئذ من الاضطهاد

١ـ نجيب محمد البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٩٦ ـ مطبعة دار الكتب المصرية .

٢ـ ديوان حليم دموس ص ٢٠٧ .

وكذلك قصيدة الزركلي حين كان سجينا في قلعة دمشق عام ١٩١٦ ونشرتها مجلة الرابطة الادبية الدمشقية عام ١٩٢٢ ثم واشارته الى شهداء ٦ أيار ولقائهم الموت وهم يرددون الاهازيج والوطنية ويتحدون جلاديهم "١" .

ولم يستطع كثير من الشعراء أن يصرحوا عن مشاعرهم الا بعد الحرب حيث عادوا الى ذكريات أمتهم يعددون مآثر شهدائهم .

كما ان الصحف بعد الانتداب وفي اولى سنواته لم يكن في وسعها أن تنشر الشعر الحماسي الصريح المناهض للنظام المفروض وخصوصا بعد معركة سقوط الحكم الفيصلي ومعركة ميسلون مع انها كانت معركة عظيمة بمعناها ومغزاها مما جعلها معركة رمزية ومعين إلهام للشعراء في كل جيل لا ينضب . لهذا كله نجد أن الشعراء وتحت وطأة الاحتلال والظلم لجأوا الى تصوير آلامهم ، وتجني الاجنبي على استقلال البلاد وحريتها بطريقة قصصية رمزية ، تغنوا بالحرية والبطولة ، واظهروا قوة الاستبداد وقضائه على القيم الانسانية الرفيعة وهزأوا بالظلم والقسوة بل وتمردوا عليها .

فمنهم من صور مشاعره اتجاه وطنه صورة غرامية ألبسها ثياب المأساة التي تمثل نكبة الوطن بالاحتلال الاجنبي ، ومنهم من استعار ثوبها من كتب التاريخ وقصصه يمثل الظالم ويصور حكم الفرد ، ثم يجعل نهايتها تتفق وواقع البلاد التي آلت اليه ، لكن مضامينها كانت في روحها منطلقة تعبر عن التضحية والاستعداد القوي لمواجهة اي طارئ رغم وطأة القوى التي تواجههم .

فالزركلي صور في موشحه العذراء " بطريقة قصصية رمزية احتلال الفرنسيين لسوريه وتجنيهم على استقلالها وحريتها .

ففي كوخ على ساحل البحر اسرة مكونة من نيلى واخيها الهيثم واخوة صغار ثلاثة مع اب شيخ . هذه الاسرة تعيش في رغد من العيش آمنة تطاردها القضاء السيئة،

١ــ امجد الطرابلسي . شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام ص ٥/٦

وفى احدى الليالى طرق بابهم طارق جعل ليلى تهبّ من نومها على صوته وهو يقول " ضيف " فتفتح له الباب

واذا الطارق يختال بأبراد السناء

طبعت فى وجهه سيما وجوه الكبراء

ويستيقظ الشيخ ليساعد ابنته فى تقديم مايمكنها تقديمه لهذا الضيف ،
ولكن الشيخ وابنته يفاجآن بالضيف حين يقول لهما :

قال والآن ؟ اجاب الزائر ، الآن عزائى

هو أن تقبلنى جار صباح ومساء

ويستمر الزائر فى الحاحه وليلى ووالدها يعتذران عن عدم استطاعتهما
قبول هذا الجوار المفروض عليهما مهما كان هذا الضيف مستعدا أن يقدم من معونات ،
ولم يجد الضيف الا ان يلصق بالفتاة فرية اخترعها وهداه اليها كذبه وخداعه

قال : مهلا يامهاة الحى انى بك ادرى

انت قد احببتنى والاعراض منى صار سرا

بهتت من قوله فاضطربت يا للسماء

اى عار فرية يلصقها بى ، بازائى

وتحدث ضوضاء فى البيت يستيقظ على اثرها الهيثم ليخاطب الزائر بعنف
مما ادى الى ان يكشف عن رغبته فى طلب العذراء والا فالرصاص يخترق صدره ،
وتدور معركة بين الهيثم والباغى الاثيم ولكن الهيثم لا يلبث ان يسقط صريعا بطعنة
من العبد المقنع بعد كفاح مرير • فتصرخ اخته بألم مرير تصب اللعنات على الباغى
الأثيم •

قتل الباغى اخى شلت يد الباغى المرائى

آه يا غادر أدميت قلوب الضعفاء

وينحنى الاب وابنته على الهيثم ويخاطب الهيثم أباه واخوته يوصيهم قائلا :

ابسمي لا تنسي سني   واحمي قصة الطهر أنتا

فاذا ادركك الموت كما مت منذ زمنا

فكفكفي دمعك يا ليلاي كوني لي اختا

تاجها العفه لاترضى بغير الطهر بيتا

ياطفلات أبي اصلحكن الله نبتا

كن عونا لأبيكن وخلين بكائي

وتناقلن حديثي انه رمز الاباء

ويموت الهيثم ويحلن الضيف عدم مبارحته البيت لكن العاقله تأبى ذلك وتستعد للموت .

ضحك القاتك من توبيخها وانسل يدعو

صحبه كامنه فانهال نحو القصر جمع

ويختم الشاعر قصته بقوله

أين من ينقذ بنت النور مرآة النقاء

من مهاوي البؤس والآلام ، من أيدي الشقاء

أين من يصغي لأنات العذارى والعويل

أين من يضمد جرح القلب في الجسم العليل

أين من يرحم ضعف الطفل في القيد الثقيل ....

فالهيثم هو يوسف العظمه ، والطارق المتنكر هو الفرنسي ، والفتاة العذراء سوريه ، اما عروض الخاطب فهي الدعاوى الكاذبه التي يحاول المستعمر بها أن يمكن بها حكمه في سوريه بدعوى انه منتدب لمعونه الأهلين والاخذ بيدهم في سبيل الاستقلال والذى كشفت كذبه الحوادث التي تلت بعد ذلك ، فالموشح رموز للخطوط السياسيه العامه التي رافقت معركه ميسلون . ولم يجد الشاعر بدا من أن يلتمس هذا الاسلوب الفني الجديد للتعبير عن عواطفه وافكاره حتى يمكن لقصيدته أن تنشر في

الصحف المحليه .

ولجأ بعض الشعراء الى استيحاء التاريخ يرمزون منه الى ما يقاسونه من حكم الفرد وسلطته واصطبار الشعب في ذلك ، وقد استوحوا آراءهم من التاريخ وحوادثه ليرمزوا الى ما هم فيه من بلاء . فمطران تحدث عن بزرجمهر حكيم فارس بالوزارة حين أراده كسرى قتيلا لنصيحته قدمها بزرجمهر لكسرى فلم ترق له . بينما يبقى كسرى في قوم قاطمين حيا . وقد اتخذ من قصة مقتل بزرجمهر اداة لابراز جبروت السلطان عبد الحميد عندما شاهد أحرار العرب يقتلون وشاهد السلطان عبد الحميد لا يرعى لهم الا ولا ذمه . لانهم ارتضوا العبوديه وسكتوا عن مظالمه .

فلأنت كسرى ما ترى تحريمه | كان الحرام وما تحل حلالا
وليذكرن الدهر عنك بأنه | ولتصدقن خلائقا وخصالا
ولو كان في تلك الجماع مقاوم | لك لم تجيء ما جئته استفحالا

ويكشف مطران عن بطوله ابنه الوزير التي آلمها جبروت كسرى وعدم المشاهدين لأبيهـــا ، فتخلع نقابها الذي كان محظورا خلعه وتبرز بين صفوف الشعب وتتحدى استنكار كسرى لها بأنها فعلت ما فعلته لعدم وجود رجال بين قومهـــا يستطيعون أن ينتصروا لوزيرهم المقتول ظلما .

مولاي يعجب كيف لم تتقنعي | قالت له : أتعجبا وسؤالا
أنظر وقد قتل الحكيم فهل ترى | الا رسوما حوله وظلالا
فارجع الى الملك العظيم وقل له | مات النصيح وعشت انعم بالا
وبقيت وحدك بعده رجلا فسد | رب النساء ودبر الاطفالا
ما كانت الحسناء ترفع سترها | لو أن في هذي الجموع رجالا

واستوحى مطران ايضا من التاريخ قصيده نيرون افرغ فيها موجدته على حكم الطغاه فرمز ولم يلمح .

سرد أعمال نيرون بقتل امه التى احلته عرش رومه ، وكذلك حرقه رومه واتهامه اللصارى بحرقها ويقول فى نهاية قصيدته :

من يلم نيرون انني لاشم	امه لو كهرته ارتد كهرا
امه لو ناهضته ساعة	لا نتهى عنها وشيكا واثبجرا
كل قوم خالقوا نيرونهم	قيصر قيل له أم قيل كسرا

وكذلك فعل فى قصيدته " شيخ اثينا " (١) . فهى نذير الى أهل اثينا الاذلاء بمقاومه استعمار الرومان الغاشم ينفث فى كل بيت من أبيات القصيدة روحه المتألمه لذل قومه ويستحثهم على النهوض. فقد علمت الحوادث مطران أن يكون ناقما يكظم نقمته وثائرا يجتر ثورته (٢) .

وهكذا كانت قصائده القصصيه الرمزيه من روائع الشعر الحديث ، كان يستثير الشعب فيها ويعتبره المسئول عن أى حكم يوجد وأى استبداد يحل بالامه نتيجة لحكم الفرد . ولم يقف الشعراء عن التلميح فى اشعارهم كما فعل مطران والزركلى فمختار الوكيل فى ديوانه الزورق الحالم قصه رمزيه وطنيه تقص مأساة اخرى شبيهه بمأساة العذراء للزركلى . وقد كانت الفتاة تأسم والدها مرضه عند احتضاره بجلوسها بقربه عندما حضرها زائر يساوم الشيخ على حياته بالحصول على ابنته ، ولكن الفتاة والشيخ يرفضان ذلك باباء ويقولان :

ومتى كانت فتاة النيل تشرى وتباع
ومتى احسان كانت تقتنى مثل المتاع
هتف الشيخ "الا فاطلب اذا شئت سواها
وسأبقى رضيت أم كرهت انى فتاها

ولكن احسان تفضل الموت على الرضوخ لهذا الرجل :

١ـ ديوان خليل مطران جـ١ ، ص ٢٦٤
٢ـ مصطفى عبد اللطيف السحرتى ـ شعراء مجددون ، ص ٢٧ رابطة الادب الحديث

لم تمت احسان بل سارت لكهف الأبديـــــه
حيث تبقى صوره صادقـــه للـــوطنيـــــه
ومثـالا رائما ينفح فى الـــروح الحميـــــه

واحيانا كان يستمد الشاعر من مواد شعره مايمكنه ان يحمله المعانى التى فى حسه وفكره ، فموت حاكم لورك "مات سوينى " فحت خليل مردم (١) الـــى أن ينظم قصيدة "أطلب الموت توهب لك الحياة" ، وقد شحنها بآرائه وبانفعالاتـه .

ابى رق الحياة فمـات حــرا ۔۔۔ وابلغ نفسه فى ذاك عـــذرا
واقسم لايكون حمــاه نهبــا ۔۔۔ مباحـا أو يموت ثاوى قبرا

ويشعر الشاعر بهذه الصله القويه التى تربطه بهذا الشهيد ، ليست صلـــة الدم وانما عزة النفس فى سبيل حياة كريمه بعيده عن ذل المستعمر وحكمه .

كأنك من ذوى قربــاى لمــا ۔۔۔ رثيتك باكيا نظمـا ونثـــرا
ولم تك ذا ولاء فى معـــد ۔۔۔ ولم تبلغ بك الاجداد فهرا
ولكنى بكل فتــى كريـــــم ۔۔۔ اخى ثقه عزيز النفس مغــرى

ثم يقول :
اذا كانت حياة المــرء اسـرا ۔۔۔ فان المـوت بالاحرار أحرى

ولم يقصر شعراء العراق فى ميدان الرمز القصصى فمعروف الرصافى رمــــز للعراق فى العهد العثمانى الانتداب فصوره بفتاه محجبه تبهر الناظرين :

فى الكرخ من بغداد مرت بنــــا ۔۔۔ يوما فتاة من ذوات الحجـاب
تحسبها حســـناء فــى زيهــا ۔۔۔ وما سوى (جونبول) تحت الثياب

والافتتاحيه الغزليه التى كان يقدم بها الشاعر الجاهلى قصيدته كان يقصـــد بهـــا الى غير موضوع القصيده مما يهم الشاعر امره ، فالمرأه فى ذلك رمز ، واسمـاء النساء اسماء تقليديه تجرى فى الشعر عند الشعراء دون وقوف على حقيقه واقعه .

١ــ ديوان خليل مردم ، ص ١٥٦ مطبوعات المجمع العلمى بدمشق .

يقول عمرو بن قميئه وهو صاحب امرئ القيس في رحلته الى قيصر :

لقد سألتني بنت عمرو عن | الارض تنكر أعلامهـــا
لما رأت ما تيد ما استعبرت | لله در اليوم من لامهـــا
تذكرت ارضا بها اهلهـــا | اخوالها فيها وأعمامهـــا

وينقل شعراء النصرانيه عن ابي الفدا قوله " سبب بكائها أنها لما فارقـــت بلاد قومها ، ووقعت الى بلاد الروم ، ندمت على ذلك ، وانما اراد عمرو بن قميئه بهذه الابيات نفسه فكنى عن نفسه بها " فهذا نص قديم ادرك فيه ابو الفدا القيمه الرمزيه لحديث عمرو عن ابنته (١) .

ومن هذا القبيل من الافتتاحيات الغزليه اخذ الشعراء العرب ينهجـــون هذا الاسلوب في الشعر ، فلم يقصد شفيق جبرى الى الغزل حين قال :

يا ظبيـــة عرضت لنا بالـــوادى | حيراء تحذر رقبه الارصـــاد

وانما قصد بالظبية الشام ، واراد مناجـاة الحرية التي يعشقها والتـــى كانت عزيزه المنال آنـذاك .

هاج نسيم الريح لـــى أمرهـــا | بالله ياريح ابعثى ذكراهـــا
عشقتها والله ادرى بنـــــا | ما من صدرى فى الهوى صدرها

ويعتبر ابو الفضل الوليد في ديوانه الانفاس الملهبه ابرز من نظم بلغه الغزل في الشعر الحماسي .

ارينا محياك والبســـمات | فنحن لأجلك نهوى الممـات
الست شآميه مثلنـــــا | مزينـــه بأعـز الهبـــات

وكذلك يخاطب خليل مردم وطنه بأسلوب غزلى ويطلق عليه اسم لميـــاء يرمز بها الى دمشق فيقول (٢) :

١ـ نجيب محمد البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ١٠١ ، مطبعة دار الكتب
٢ـ ديوان خليل مردم ، ص ١٢٢ . مطبوعات المجمع العلمي بدمشق

طيف للمياء ماينفك يبعث لـــي   من آخر الليل أن هومت أشجانا

يذرى الدموع بأجفان مسهـــدة   من حيث يورى على الاحشاء نيرانا

وقد سلك هذا المسلك أيضا من التعبير عن النفس بالرمز شعراء العراق ، فصور الرصافي الانتداب بغاده حسناء تغريك بمنظرها وما هي الا كخضــــراء الدمن . ومن الطبيعي ان تكون هذه الظاهره عامه في الشعر العربي لأن الاحداث السياسية واحده والمشاكل التي تعرضت لهـا البلاد العربية واحده في عنفهـا وقوتها وألوان استبدادها المختلفه .

٤
=

لم يكن هذا اللون من الرمز القصصي فنيا محضا ، كما انه لم يحدث عن اجل الفن فقط ، وانما كان وليد ظروف معينه ، فكان يحمل في طياته رساله هادفه تحمـل مغزى سياسيا أو اجتماعيا معينا وتبشر برساله واحده قال خليل مردم في نهايــــه قصيدته " يوم الفزع الاكبـر " .

" وعندما نشرت في الصحف وتناقلتها المجالس وجدت السلطات الفرنسيــــة لاعتقال الشاعر وزجه في السجن مع من زجت بهم من احرار البلاد ، فنزح الشاعـــر عن وطنه الى الاسكندريه ومنها الى اوروبا ، وظل غائبا عن وطنه مده أربع ســـنوات ونيــف . "

لذلك نجد في القصيده القصصيه ان الغايه من كتابتها كان واضحا بحيث كانت تتغلب على الاطار القصصي وتصنيفه ، وخاصة عندما يضمنها الشاعـــــر ابياتا من الحماسه تطبعها بطابع حماسي غنائي . وبذلك نجد شعر القصـــص لايختلف عن الشعر القومي من حيث هدفه ورسالته وجوهره .

لقد بلغت قصيده مطران في " بزرجمهر " مستوى رفيعا من الفن القصصي لكن هذا لم يمنع ان تكون قصيده " نيرون " بهـا الجزاله الجاهليه واللفظ الضخم الذي خلت منه قصيده بزرجمهر بتسلسلها القصصي الذي يتناسب والفاظهــــا .

من يلـم نيـرون انـــى لاثـــم   امه لو كهرتـه ارتد كهـــرا

امه لو ناهضتـه ســـاغـــــه   لانتهى عنها وشيكا وانبجرا

وغير ذلك نجده في كثير من الابيات ، بالرغم من انه يعد هذا الفن مــن اللون القصصي في الشعر والمتمرسين فيه •

وعلى ذلك يمكننا اعتبار هذا اللون من الاسلوب الفني غنائي حماسي لم يخرج عن دائرة الشعر القومي الذي تحدثنا عنه •

ب ـ الصـــــورة الفنيـــــه

١

عنى القدماء عنايه كبيره بالبيان ، واهتموا بالصوره فيه ، فكان هناك كثيـــر من الصور التشبيهيه والاستعارات والكنايات ، وكانت لديهم تشبيهات معروفه يتبـع اللاحق منهم السابق فى استعمالها كتشبيه المعالى بالنجم والجواد بالقطر والشجاع بالاسد ، على أن تداول هذه التشابيه واشتراك الادباء فى استعمالها لم يقــف حائلا دون التوليد والابتكار كتوليدات أبى تمام وابى نواس وابن الرومى والمتنبــى وسواهم ويشير ابن رشيق موازنا بين المحدثين والقدماء •

فان تأملت وتتبعت لك ما فى اشعار جرير والفرزدق واصحابهما من التوليـــدات والابداعات العجيبه ، ثم اتى بشار بن برد واصحابه فزادوا معانى ما مرت قـــط بخاطر جاهلى ولامخضرم ولا اسلامى ، والمعانى أبدا تتردد وتتولد والكلام يفتـــح بعضه بعضا ". (١)

فمن الطبيعى ان نرى شعراء عصرنا يتأثرون بتراثهم الادبى القديم •

٢

كانت صورهم الفنيه متأثره بما اكتنزه الشاعر من محفوظاته القديمه فى الشعـر ، لأن تجديد الصوره الفنيه يتطلب قدرا كبيرا من الموهبه ، كما أن التجديد المطلق أمـر متعذر فى أدب أية أمه من الامم • وقد مضى على الامه العربيه زمن كان الشعراء يتبارون فى اللعب بالألفاظ وجمعها كما يتبارى الاطفال فى جمع الحصى الملون وتنضيـــده •

ولما كانت حركه البعث العربى بعد عصر الانحطاط ، وعندما ظهر البـــارودى كان لابد للتيار الاصيل أن يأخذ مجراه أولا ثم يفسح صدره للروافد الاخرى ، فعـــاد الى منابع الشعر العربى السليم يستمد منه بعض معانيه وأخيلته ، يصوغ منها تجاربـــه

١ـ انيس المقدسى ، الاتجاهات الادبيه فى العالم العربى الحديث ص ٣٦
عن (كتاب [illegible])

الخاصه صياغه شعريه قديمه بحيث لايكاد المرء يميزها عن غيرها من الشعر القديم ولما جاء شوقي سار على نفس الدرب حتى بلغ القمه بالشعر التقليدي فرده الى جماله القديم وتتابع شعراء البعث العربي الجديد .

وبالرغم من طبيعه التطور الادبي ومن الظروف التي مرت بها الامه العربية فان التجديد الفني في الصورة الشعريه للشعر القومي كانت له ومضات قويه ومعانـي طريفه نجدهــــا في بعض القصائد القوميه التي توفر لاصحابها قدر كبير مـن الاصالة الشعريه ، وبالرغم من أن هذه التجديدات قليله بالنسبة لغيرها مـــن المواضيع الشعريه الا أن تأثيره كان قويـــا في نفوس العرب وكان ايحاؤها قويـا كذلك . فشوقي والشاعر القروي وحافظ طوقان وعمر أبو ريشه ومارارن ، وبعــض قصائد جليل دموس وانياس فرحات وخليل مردم وشفيق جبري وغيرهم ، كانـــت تشتمل على صور فنيه ذات طاقه كبيره من الايحاء .

يعبر زكي مبارك عن الصورة الشعرية فيقول "انما هي تمكين المعنى فـي النفس لأن غاية الكلام البليغ من شعر أو نثر انما هو التأثير" .

ولكي يتمكن المعنى في النفس ويكون الايحاء قويا ينبغي للصوره الشعرية أن تشمل على فكره حيه نابضه كما يلزمها كلمات حيه تتناسب والصوره التي يـراد التعبير عنها . عماد الله تعبير وعمق احساس وحرارة تجربـة .

فشوقي قد استطاع ان يبعث الكثير من التوليدات الشعريه في الصـــور التقليديه الي كان يقود اتجاهها ، وله كثير من هذه الصور بحيث اصبحت لاصقة بالنفس عالقه بالمشاعر يتمكن المعنى في نفوسنا دون أن يسعى الى ذلك .

ففي بعض أبيات شوقي التي رددها عندما تحدث عن الحريه والتعبير عـن غلائها صور رائعه تحلق بالمشاعر وكذلك الحال في تمجيد الوطن والذود عن جناحه ففي حديثه عن الحريه قوله :

وللحريه الحمراء بـــاب بكل يد مضرجه يدق

صوره رائعه الحرية التى يطالب الوصول اليها تهز النفس وتعلق بالمشاعر دون أن يستطيع الشعور نسيانها . كما أحسن شوقى فى انتخاب الالفاظ للتعبير عن الصوره التى أرادها وذ فق فى اختيار الوزن كذلك.

وتعبير شوقى عن وحده الآلام التى تجمع الامه العربيه وارتباط كل جزء بالاخر صوره قوية موحيه من صور التعبيرات الشعرية :

كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه فى عمانه

وعلينا كما عليكم حديد تتنزى الليوث فى قضبانه

فالصوره الشعريه بلغت القمه فى التعبير المجازى عن تفاعل أجزاء البلاد العربيه بعضها ببعضها وتأثر بعضها بالآخر فسلامه الجزء سلامه للكل كما أن إصابة جزء له تأثير على الجزء الاخر . فكان فى تلوين الصوره بهذه الالوان ابداع جديد فى الشعر التقليدى .

وكذلك توفيقه فى تشبيه الاستعمار بالحديد وتشبيه الشعب بالليوث داخل قضبان هذا الحديد وهى فى ثورتها وهديرها تريد تحطيم مايقيدها . ولم تقل قصيدته فى استشهاد عمر المختار عن ماسبق قوله :

ركزوا رفاتك فى الرمال لسواءً يستنهض الوادى صباح مساء

جرح يصيح على المدى وضحية تتلمس الحرية الحمراء

هذا الجرح وصياحه والضحيه وهى تتلمس الحريه الحمراء صوره قويه زاد ها روعه الاطار الخلاب للفظ والموسيقى . فقد استطاع أن يبعث الحياة فى صوره التقليديه فكان عنصر الابداع فيها قويا . وابراهيم طوقان من أولئك الشعراء الذين عنوا بالصوره الشعريه فى قصائدهم فأولاها اهتمامه ، ربما عن قصد أو ربما رغبه فى التأثير على المستمع ، لأن الصوره الشعريه كلما قويت كانت اشد التصاقا بالنفس واسرع تأثيرا .

ففى قصيدته الفدائى يضعنا مباشرة وفى مطلع قصيدته أمام صورة رائعة لهذا الفدائى الذى يتحدث عنه ، فتخلبنا شجاعته وكأنه يخط بقلمه لوحه زيتيه لما يجب

أن يكون عليه كل من أراد أن تتألق عليه هذه الصفه .

عبس الخطب فابتسم ... وطغى الهول فاقتحم

رابط الجأش والنهى ... ثابت القلب والقدم

وزاد من روعه الصوره حسن اختياره بل واجادته اختيار الكلمات بموسيقاها التى تتلاءم وما يريد التعبير عنه من معانى : فكلمه عبس الخطب ، ثم تتبعهـــا كلمه ابتسم وهى رد فعل لما حدث يصدر عن طبيعه اخاذه لا تكلف فيها ولا تصنيع وكذلك قصيدته الثلاثاء الحمراء تتخللها صوره تتداعى من بعضها البعض ويتلو بعضها بعضا لتضاعف الجو الذى أراده الشاعر . والحبشى الذبيح وهى قصه رمزيـه يطالعنا بقوله :

برقت له مسنونه تتلهـب ... أمضى من القدر المتاح وأغلب

وكانت صور الشاعر القروى من أجمل ما قدمه الشعر القومى ، ففى قصيده لـه يحـاول أن يبين أن ظهر التنك أوطأ من سنام البعير الذى الفه ، ثم ربطه السريع بين صوره البطل ينحط على سنام التنك وصوره النسر ينحط على فريسة من عليا سمائه ثم كيف يخر التنك صريعا تحت الجند الذين خروا فوقه .

فالصوره مستمده من صميم البيئه البدويه . بصوره قديمه لا حديثه ولكن الشاعر بعث الحياة فيها .

ولما صرت من مهج الاعادى ... بحيث تذيقها السم النقيعـا

وثبت الى سنام التنك وثبا ... عجيبا علم النسر الوقوعـا

فخر الجند فوق التنك صرعى ... وخر التنك تحتهم صريعـا

واستطاع حليم دموس أن يعبر تعبيرا بسيطا لا تكلف فيه ولا افتعـال عن وحده البلاد العربيه ، فأعطانا صورا خاطفه متتابعه ولكنها تكمل بعضهـا بعضها بحيث لا ينفصل جزء منها عن الاخر ، وبذلك خلق فى نفوسنا وعى الواقـع الذى نعيش فيه مشاهد لا ننساها بل ووضعها فى اطارها المحبب الى النفـوس القريب الى المشاعر فقال :

أنا كيف سرت أرى الأنام أحبتي والقوم قومي والبلاد بلادي
بردى كدجله والفرات محبه والنيل كالاردن طي فؤادي
والغوطتين وكرم وادي زحلته كنخيل مصر في ظلال الوادي
وحفيف هذا الارز في لبنانه كحفيف ذات النخل في بغداد

لقد مزج حليم دموس الواقع العربي واذا به متعاطف متساند متشابه الارز يكمل النخيل ، وبردى كدجله ، والنيل كالاردن ، كلها حياتي بها يعيش اهلي واحبائي ، لم تكن الصوره معقده التركيب بل سمت ببساطتها وواقعيتها فهي من صميم حياتنا ، وكلما كانت اجزاء الصوره من كياننا وذاتنا كلما كانت قيمتها اسمى وتأثيرها اقوى .

وقد دفع الشعور بضعف الامه الذي ادى الى ازدياد الاستبداد بها أن قال خليل مطران .

لكن خفضن الاكثرين جناحهم رفع الملوك وسود الأبطالا
واذا رأيت الموج يسفل بعضه ألفيت تاليه طغى وتعالى

وبذلك خلق صوره فنيه لاستبداد الحكام بالامه ، في صوره تشبيهيه كامله كعاده القدماء في صورهم البيانيه .

ومن طريف الصور التي وردت في الشعر القومي قول بشاره الخوري في رثاء الزهاوي يصف حاله وهو في طريقه الى بغداد .

بغداد ماحمل السرى مني سوى شبح مريب
جفلت لـه الصحراء والتفت الكثيب الى الكثيب
يتساءلون من الفتى العربي ذو الزي الغريب
صحراء يا بنت السماء البكر والوحي الخصيب
انا دمعه الادب الحزين رساله الالم المذيب
من قلب لبنان الكئيب لقلب بغداد الكئيب

وهكذا نجد أن كثيرا من التوليدات الفنيه في الصوره الشعرية ظهرت في الشعر ، وإن لم تكن كلها جديده في ادبنا الحديث الا انها بداية خروج الشعر القومي عن التشبيهات التي ألف القدماء استعمالها ، فكانت خطوات في سبيل خروج الشعر العربي عن ما ألفه القدماء سواء في الصوره أم الوزن أم القافيه أم الاسلوب ، وكانت هذه الخطوات أمرا لابد منه لكي يسير التطور الادبي في الطريق الذي تمر فيه التطورات الادبيه في العالم.

٢

ان الدارس للقصيده العصريه يدرك تماما أن التطور الذي وصلت اليه في المضمون كان شيئا بارزا جدا لايمكن للناقد أن ينكره ، فالتعبير بالصور كان من الاتجاهات البارزه في القصيده وخاصة عند اصحاب المذهب الواقعي ، لقد اصبح يعتبرها الناقد جوهر القصيده بما توحيه من صور وبما لها من التأثير في السامع وبما تعرضه من نبضات الحياة .

فاثاره الناس مثلا ضد ما يلاقونه من بؤس وظلم وتجبر موضوع اكثر الشعراء من الحديث عنه ، فأثاروا المشاعر وزادوا النفوس ثوره .

فالكاشف يقول :

وصرنا لهم مثل العبيد خواضعا ارقاء نخشى بطشهم والعواديا

فما أوردونا الماء الا مكدرا وما اصدرونا عنه الا صواديا

ونرقد عصا نرتجي فنصيبه خيالا لنا في النوم يخطر ساريا

وعندما يتحدث الشعراء القوميون عن مثل هذه المواقف ، وعندما يريدون أن يشعروا الناس حقا بما يقاسونه من الظلم وما يشعرون به من سيطره القوى الاجنبيه فانما يتخذون ماده الحياه اليوميه ، الوقائع التي تحصل فيها صورا يصوغونها في قوالبه الشعريه ليقدموها الى القارئ كجزء من حياته ، فكأنهم بذلك يقدمون حياتهم التي تخصهم والتي يحيونها ليل نهار ، وبذلك يكون تأثيرها في الناس أقوى

واشد وابقى اثرا • فتسمع احدهم يتحدث عن ظلم الحكام ، وعدم اهتمامهم بالفرد ومراعاتهم لحقوقه ، ثم يتحدث عن هذا الضغط والقهر بصورته المطلية التي يراها ويحسها القارئ في حياته كل يوم • فيقول يصور الواقع :

وحدثت يوما ابي والمساء يفجر فينا الاسى والشجون
وكان معي اخوة ينظرون الى غير شيء ولا يحدقون
وموقد شاي ومن فوقه وعاء يئن ويطوي السكون
ولكن اخ لي جر الحديث الى الانتخابات بالناخبين
ومن سيفوز من الاغنياء ومن سيكون من الفاشلين
وكيف اشترى بعض من رشحوا بأمواله ذمم البائسين

وينتقل الشاعر الى صوره أخرى عندما يتكلم المرء فتسمع الجدران كلامه ويكون ظلال السجون قد ران عليهم•

ومط ابي شفتيه لنا وجال بعينيه في الحاضرين
وقال ابي اننا ههنا نسير ونمضي مع الحاكمين
تحركنا اصبع للشمال واخرى تحركنا لليمين
مواكبنا اينما وجهت تصيح وتهتف للظالمين
وكم ارغمونا على ضحكه واعماقنا صارخات الانين

وبينما كانت العائله تتحدث عن احداثها السياسيه التي هي حياتها ومستقبلها ومستقبل اجيالها اذا بالشاعر ينتقل الى وصف الضغط والتضيق الفكري :

سمعنا دبيب حذاء ثقيل ونحنحه العسكري البدين
وقطب وجه ابي واعتراه شحوب وخوف وسخط دفين
وحرك مسبحه في يديه ورانت علينا ظلال السجون

هذه الصوره التي ترسم حياة الظلم وتعبر عن حياتنا أدق تعبير لاننا نحياها ونعيشها ، لاشك تؤثر فينا وتبقى في ذاكرتنا مده اطول وتثير فينا من الاحاسيس والمشاعر ضد البؤس والظلم ما يحفزنا دائما الى العمل المستمر واليقظه الدائمه•

هكذا كانت معاني الشعراء الكلاسيكية صورها تقريرية تعتمد على الاسلوب الخطابي والالفاظ القويه ، أما الصور في القصيده العصريه فأصبحت تعتمد على الصور الموحيه لاظهار تجربه حيه نابضه ؛ وبذلك بدأت القصيده القوميه تأخذ مجراها الادبي في الاعتماد على التشخيص الحي •

٣
=

اخيرا لابد من القول ان القصيده القوميه قد تطورت تطورا ملحوظا بعد الحرب العالمية الثانية ، ولا تزال عمليه التطور مستمره سواء كانت في المضمون أم الشكل ، لقد اصبحت صورها موحيه في اظهار التجارب الشعوريه واعتمدت على التحليل والتأثير بالتشخيص • كما انها اصبحت تميل الى وحده الموضوع خلافا للقصيدة القوميه قبل ذلك الوقت التي كثيرا ما كانت تظهر بوحده البيت فلقد تطورت بحيث اصبحت تعالج موضوعا واحدا وبذلك نجد الوحده بين اجزائها قويه متماسكه •

اما من حيث القافيه التي كانت ملتزمه في شعراء الشعر القومي فقد بدأت تتراجع أمام القصيده المنوعه القوافي التي اخذ طابعها يظهر في دواوين كثير من الشعراء ، تتكون من مقطوعات لكل قافيتها ولكل مقطوعه فكره تتحد شعنها لتنتقل الى الفكرة الاخرى دون أن يحس القارئ باختلاف موسيقاها • وكذلك ظهر التطور في الاوزان على شكل نظام الموشحات الذي عرف في الاندلس ، واحيانا كثيره تستند القصيده الى عدة تفاعيل وبذلك أخذت تتحرر من البحر والقافيه •

ولابد للتطور أن يأخذ مجراه ، ورغما عن معارضه الكثيرين لهذا التطور فهو امر لابد منه ، وقوة هذا التطور ستظهر في طول بقائه واستمراره ، فاما أن يحكم عليه بالخلود ، واما ان يحكم عليه بالفناء لتبقى القصيده العربيه بأوزانها وقوافيها واسلوبها التي عهدناه بعد الحرب العالميه الاولى •

والذي نأمل أن يكون هو أن يتعمق الاديب في ثقافته فيطلع بعمق ووعي على الاداب الغربيه ، كما لا يهمل لغته وادبه ، وبذلك يتمكن من خلق جديد في

ديباجه قويه لايظهر فيها الضعف والركاكه ٠

وقد لاحظنا ان الشعراء الذين كان اطلاعهم واحتكاكهم بالأدب الغربي اكثر كان خلق الشعر عندهم اكثر حيويه وأعمق تجربه واجد ثوبا من غيرهم من الشعراء كأمثال مطران وابراهيم طوقان وأبو ريشه وعلى محمود طه كما كان هناك من شعراء المهجر كثيرون استطاعوا ان يأخذوا بناصية الشعر ليصيغوا من نسيجه الوانا مختلفة بأشكال متنوعه من الرسومات ، ولا ينكر تأثير الادب المهجرى فى ادب البلاد العربية وقيادته الكثير من اتجاهاته ٠ فقد كان اول من تحرر تحررا ملموسا من غلبة الموضوعات التقليديه كالمديح والفخر ، كما تجنب الكثير من شعر المناسبات وتحرر من النزعة الخطابيه الغالبه على الشعر العربى فاستطاع ان يغزو القلوب فى البلاد العربيه ويجد له انصارا ومؤيدين ٠

ويقول الدكتور ماهر حسن فهمى

كان لشعر المهجر اثره فى الشعر المصرى الحديث لان اتجاهاته وطرقه فى التعبير قد لفتت الانظار اليه ، ولأنه شعر عربى قريب من نفوس شعرائنا (١) ٠

ودافع عنه الدكتور مندور من ناحية اللفظ حيث يقول " كلما امعنت النظر فى الفاظهم وتراكيبهم لم اجد لها مثيلا فى شعرنا الحديث من حيث الدقه والقدره على اثارة الاحساس ٠ نعم قد يخطئون فى النحو أو الصرف ولكن هذه فى نظرى اشياء نادره لها نظائرها عند أكبر الكتاب والى اليوم لايزال الفرنسيون يضربون المثل بفولتير فى الخطأ والاملاء ، وانما يعيب الاسلوب عدم التحديد أو العجز عن الايحاء ، وتلك عيوب لاوجود لها فى شعرهم ، اما استخدامهم للالفاظ المألوفه فلست أرى فيه موضع ضعف بل قوه لأن الالفاظ المألوفه ولا أقول المبتذله ، هى التى تستطيع فى الغالب ان تستنفذ احساس الشاعر ، كما كثر استعمالنا لها فى الحياه فتحددت معانيها وتلونت بلون نفوسنا فحملت شحنه عاطفيه ، وهذى صفات أولى خصائص الاسلوب الشعرى ٠

١ـ ماهر حسن فهمى ـ تطور الشعر العربى الحديث ـ ص ١٧٥ ـ مكتبه نهضه مصر

جـ – التصميم الفكـــري

لست اعنى ان وحده القصيده اصبحت خاصه عامه فى الشعر ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانيه فى القصيده القوميه ، بل أقصد من وراء ذلك انها من الخصائص التى ظهرت بين الحربين العالميتين بصوره بسيطه ثم أخذت تنمو وتزداد حتى اصبحت من أهم خصائص الشعر العصرى بعد الحرب العالميه الثانيه الى وقتنا الحاضر.

وان تحدثت عنها فانما اتحدث عنها كخاصية جديده بدأت تظهر فى القصيدة القوميه لتحتل مكانها البارز بعد ذلك – فالقصيده العربيه كانت تميل الى وحده البيت الذى ينفرد بافادته كأنه كلام مستقل ، حتى ان العرب استطاعوا ان يختاروا ويستشهدوا بأفخر بيت واشجعه وهكذا . كما كانت القصيدة العربية تحوى عده موضوعات كالغزل والمديح او غيره . ونهج الشعراء القوميون هذا النهج كما رأينا فى بحثنا عن مقومات القصيده القوميه .

لكن القصيده القوميه بل الشعراء القوميون اخذ يحتكون بآداب الامم الاخرى فاتسعت آفاقهم فى النظر الى الحياه ، وظهر فى شعرهم وحده فى النظم وتصميما فى العواطف والصور الخياليه مما لم نعهده قبلا فى كثير من القصائد .

ونقرأ لخليل مطران زعيم المجددين فى مقدمه ديوان دعوه الى الحرص على الوحده العضويه فى القصيده فيقول :

هذا شعر ليس ناظمه بعبده .. لا ينظر قائله الى جمال البيت ... المفرد ولو أنكره جاره وشاتم أخاه ودابر المطلع وقاطع المقطع وخالف الختام . بل ينظر الى جمال البيت فى ذاته وفى موضعه والى جمله القصيده فى تركيبها وفى ترتيبها وفى تناسق معانيها وتوافقها . (١)

ونهج هذا المنهج عدد من شعراء العرب ففى قصيده الفدائى لابراهيم طوقان تظهر وحده التصميم الفكرى الذى اصبح فيما بعد صفه من مميزات القصيده العصرية

---

١ – ديوان خليل مطران جـ ١ ص ٥

لاتسل عن سلامته — روحه فوق راحته
بدلته همومه — كفنا من وسادته
يرقب الساعه التى — بعدها هول ساعته
شاغل فكر من يرا — ه باطراق هامته
من رأى فحمه الدجى — اضرمت من شرارته
حملته جهنم — طرفا من رسالته
هو بالباب واقف — والردى منه خائف
فاهدأى يا عواصف — خجلا من جرائته

فالمتأمل يرى أن عقل الشاعر واحاسيسه تركزت فى موضوع واحد هو صوره هذا الفدائى ، فأبيات القصيده متضافره كلها فى الاتجاه نحو غرض واحد هو روح القصيده او فكرتها الاساسيه ، لايخرج القارئ منها الا وهو محمول على اجنحة التأمل الموسيقى والتصوير الفنى الى ذلك الغرض الذى هدف اليه الشاعر وبذلك تظهر القصيدة العصريه فى بنيتها الحيه ووحدتها العضويه • صحيح أن مواضيع اخرى كانت اكثر اتساما بالتصميم الفكرى منها فى القصيده القوميه الا أن حظ القصيده منها فيما بعد كان ظاهرا ملموسا •

وهناك قصائد اخرى غير قصيدة ابراهيم طوقان تظهر فيها هذه الخاصه كقصائد مطران فى نيرون ، وكقصيدة اخى لميخائيل نعيمه •

حرية النظم

لقد ظهرت القصيده العربيه منذ الزمان الاول وفى اول نشأة عرفت بها سلسلة من الابيات مستقله مطرده القوافى ، واستمر هذا حالها طيلة مراحل تاريخنا الادبى الى الوقت الحاضر •

عرفه الشعر خلال تلك الفتره نمطا مختلفا من القصائد فى الاندلس اصبح الشعراء هنالك يتنافسون بعضهم بعضا فى نظم التوشيح •

والتوشيحه عباره عن سلسله ادوار متناسقه الترتيب متنوعه القوافي لا تتقيد تقيد القصيده ببحر واحد اذ ان فيها مايزيد على اكثر من بحر ، كما أنها تبنى على تشابه الادوار في طريقه النظم بحيث تصبح قطعه فنيه واحده ، تؤلف من مطلع او لازمه ثم ادوار . وقد كثر هذا النوع من التواشيح حتى بدأ الشعر بعد الحرب العالمية الثانيه يخرج من قيد القافيه ليفسح امامه مجالات واسعه في ضروب شتى من الموضوعات .

ويعتبر العقاد التحرر من القافيه أو المنظور من تعديل الاوزان والقوافي انما هو بمثابه تهيىء المكان لاستقبال المذهب الجديد ، اذ ليس بين الشعر ... والنثر الا هذا الحائل، فاذا اتسعت القوافي لشتى المعاني والمقاصد وانفرج مجال القول برزت المواهب الشعريه على اختلافها ، ورأينا بيننا شعراء الروايه ، وشعراء التمثيل .

وكما ظهر التطور في القافيه ظهر كذلك في الاوزان ، وخصوصا الذين احتكوا بالعالم الغربي واطلعوا على اساليبه الشعرية كما نرى في منظومات المهاجرين من اعضاء الرابطه القلميه أو العصبه الاندلسيه او سواهم من الذين احتكوا بالثقافة الغربية وتأثروا بها . وما هي قصيده ابراهيم طوقان الثلاثاء الحمراء

لما تعرض نجمك المنحوس وترنحت بعرى الحبال رؤوس
ناح الاذان واعول الناقوس فالليل اكدر والنهار عبوس

طفقت تثور عواصف وعواطف
والموت حينا طائف أو خاطف

والمعول الابدي يمعن في الثرى ليردهم في قلبها المتحجر

لم يكتف بتنوع القافيه بل استعمل ايضا تنوع البحور ، وهذه ظاهره اخذت تشتد وتقوى في الشعر حتى خرجت عن دربها واصبحت تسمى الشعر المنثور .

وقد غدا الشعر المنثور محاوله اخرى قام بها شعراء الشعر القومي وممن استطاع ان يفتح هذا الباب الى النظم الحر د. أمين الريحاني في نشيد الثوره :

هى الثـــوره ويومهــــا العبــوس الرهيـــــب
ألويــه كالشقيــق تموج ، تثيــر البعيد تثير القريب
وطبول تــردد صـــدى نشيـــد عجيــــب
وأبـــواق تنـــادى كـــل ســـميع مجيـــب
وشـــرر عيـــون القـــوم يـــرمى باللهيــــب
ونار تسـأل هل من مزيـــد • وسيف يجيب وهول يشيب
ويل يومئـذ للظالميـن ، ويــل لهـم من كل مريد مهيب
طـــلاب للحق مهيـــن ويل للمستعمرين والمستأمنين
هـى ساعـة الظالمين

ولم تلبث الطريقه الريحانيه حتى اخذت تشق طريقها فى عالم الادب فظهر بعد ذلك كثير من الدواوين ، وفى تقديم احد الدواوين يقول الريحانى "وهـــو ذا ديوان شعر لشاب هام بالحب والجمال والفضيله ونبذ فى صنعه الشعر القوالـــب والقياسات المعروفه ، فصاغ لفكره وخياله وعاطفته القالب الذى ظنه مناسبا لها • "
الحقيقه ان ليس على أحد حرج فى التجديد فى الشعر اوزانه وقوافيه ، فقد جـــدد القدماء من العرب فى شعرهم فابتكروا فى الاسلام اوزانا لم تكن فى العصر الجاهلى وابتكروا فى العصور المتأخره اوزانا لم تكن فى الشعر الاسلامى الاول ، وصنعوا بالقافيه كما صنعوا بالوزن • فقد كان العربى كلما اتيحت له حضاره جديده تثير فى نفســـه اهواء جديده كان يلائم بين مايجد وبين مايشعر دون حرج او جناح فى ذلك • ويقول الدكتور طه حسين :

فى بعض العصور الاسلاميه ، تنافس الشعراء والكتاب ، وعدا بعضهم على فنون بعض ، فنظم الشعراء نثر الكتاب ، ونثر الكتاب نظم الشعراء ، وهجم بعض الكتـــاب على فنون من القول كانت مقصوره على الشعر فى الزمان الاول ، فتفوقوا فيها على الشعراء

أحيانا كما فعل الجاحظ حين عدا على فن الهجاء ، فبلغ فيه بكتاب التربيع والتدوير مالم يبلغه شاعر من الشعراء الذين سبقوه أو عاصروه ، وذهب بعض الشعراء بشعرهم مذهب الكتاب في التفصيل والتحليل والتأويل كما صنع ابن الرومي في بعض شعره ، وفي فن العتاب خاصه (١)

هكذا لايجد أديبنا الكبير اى غضاضه فيما طرأ على أوزان الشعر في تاريخنا الادبي من تجديد ، لكن مايحسه المرء يجب أن يعبر عنه بالطريقه التي تتفـــق واحاسيسه ومشاعره • فروائع الشعر العالمي لم يقيد بوزن ولا بقافيه •••• ولكـــن الدكتور طه حسين يعود فيضع شرطا لهذا التجديد الذي لايعترض عليه وهو الانفعال الصادق في التعبير فيقول " ليس على شبابنا من الشعراء بأس فيما أرى مـــن أن يتحرروا من قيود الوزن والقافيه اذا نافرت امزجتهم وطبائعهم لايطلب اليهم فـــي هذه الحريه الا أن يكونوا صادقين غير متكلفين وصادرين عن أنفسهم غير مقلديـــن لهذا الشاعر الاجنبي أو ذاك • ومبدعين فيما ينشئون غير مسفين الى سخف القول ، وما لاغناء فيه • والحقيقه أن عمليه الابداع لاتتوقف على قافيه أو وزن ، أو موضـــوع، انما عمليه الابداع في الشعر تلزم مزج هذه الالوان جميعها مزج فنان عارف بفنـــه وبروح هذا الفن ، بحيث يكون النتاج إبداعـا وخلقا جديدا به من الصدق في التعبير مايجعلك تلمس ذلك باكبار واعجاب، تما احر تشوقنا فعلا الى تصوير جديد للجمال... (٢)

ولا يسعني الا ان اعقب على قول الدكتور طه حسين بقول آخر قاله الناقد ستيفـــن سبندر •

" من البديهي دائما انه لاموضوع الشعر ولا أسلوبه مهمان مادام الشعـــر نفسه قد جاد وصدق ، إن ابوابا عده تؤدي الى الحياه ولا ضير عليك ان انت دخلت من المدخل الامامي أو من المدخل الخلفي ، فالمهم حقا ــ وهذا هو الشيء النادر الاصيل ــ هو وصولك الى الداخل (٣)

١ــ الدكتور طه حسين ــ من أدبنا المعاصر ــ ص ٢٤ ــ الشركة العربيه للطباعه ...

٢ــ نفس المصـــدر ص ٢٦

٣ــ استيفن سبندر ــ الحياه والشاعر ــ ص ١٦١ ، ترجمة دكتور مصطفى بدوي ...

ويمضى على ذلك فى موضع آخر من نفس الكتاب فيقول متحدثا عن اصالة الشاعر " ان اصالة الشاعر اذن هى اولا واخيرا فى شجاعته الوجوديه التى تمكنه من أن يكون صادقا فى ادراكه ، مخلصا لطبيعته ، ولا توجد اصالة حقيقيه غير هذه .. فلا تقل اصالة شاعر مثل بوب بمقاييسه الكلاسيكيه الدقيقه عن اصالة اكثر الشعراء السرياليين تقدميه ، وفى حدود التقاليد التى نظم فيها بوب يجد القارئ فى شعره الشجاعه الوجوديه التى تجعل قراءة شعره تجربه فريده فى نظر الرجل العادى ....." (١)

فما نصيب الشعر القومى من حريه النظم التى نادى بها بعض الشعراء وتحمسوا لها ؟؟ .

هل سهلت عليهم استخدام الشعر لاغراض قوميه كالحث والاستثاره والتغنى بالامجاد الماضيه واثاره الكبرياء والعزه ، ومقاومه المستعمر الى غير ذلك مما يمكن أن يكون ضمن الشعر القومى .. ؟؟.

الحقيقه ان الشعر القومى لم يكن حظه من هذا التجديد فيما بين الحربين العالميتين الاولى والثانيه كبيـــرا ، بل لايمكن أن يكون غير ما قرأناه من شعرهم وقوافيهم واوزانهم.

فالشعر القومى كان وليد مرحله تاريخية معينه من حياة العرب ، وطبيعه ظهوره مرتبط بطبيعه هذه المرحله التى اجتازتها الامه العربيه ومنبثق من واقعها النضالى المتأجج ضد قوى العدو وضد اخطاره المتعدده التى كانت تحيق بالبلاد العربيه . فمن الضرورى والحاله هذه اعتبار اى خروج على تقاليد الشعر خروجا على تقاليد الحياة العربية كلها . واعتبار هذا الخروج جزءا من اعتداءات العدو على الكيان العربى ومحاولته القضاء عليه وتشويه وجوده .

فالشعراء القوميون والحاله هذه متمسكون بتقاليد الشعر التى كانت الاوزان

١ـ استيفن سبندر ـ الحياة والشاعر ـ ص ١٦٥

من أعمدته القويه ، وهم والاشك يتهمون زعماء البعثه الجديد أمثال البارودى وشوقى ، وحافظا وكلهم محافظون .

بالاضافه الى ما تقدم فان اكثر الشعراء فى هذه المرحله كانوا استمرارا لمدرسه البعث الجديد وامتدادا اوليا لها ، يفضلون لشعرهم الصوره التقليديه للشعر من وزن وقافيه ومن مراعاة لجوده النظم وقوته وجماله ، بل ان كثيرا منهم كان متشبثا بالقدماء فى طريقه النظم متبديا فى معانيه واخيلته والفاظه

ومواضيع الشعر القومى التى كان الشاعر يصوغ منها نسيج قصيدته لها صلة قويه بالشعر الحماسى القديم ، ويتوقف مدى نجاحها على تأثيرها فى السامع ، لذلك يجب ان يتوفر فيها قوه اللفظ والقافيه بحيث تثير فى السامع ألوانا من الحماس وتقدم له الشحنات العاطفيه القويه فى تعبئة شعوره للعمل من اجل انقاذ امته مما تردت فيه من الاضطهاد .

لهذا كله نجد أن التيار التقليدى فى ذاته ظاهره قوميه لازمت نشوء الوعى بالكيان القومى والعمل على انقاذه وبنائه من جديد ، فالتيار التقليدى لاسبيل الى تخطيه فى حياة العرب الادبيه لهذا فالشعر الحر لن يكتب له النجاح الا بعد فتره من الوقت حين يستكمل العرب قواهم ، ويكثر اطلاعهم على آداب الامم الغربيه وتياراتها الفكرية وتعمق تجربتهم التى يريدون التعبير عنها ، فروائع الشعر العالمى اليونانى لم يتقيد بوزن ، ومع ذلك فقد كان شعرا خالدا ، وكذلك روائع الأدب العالمى .

٤

رسالة الشعر القومي

واخيرا وبعد ان وصلنا الى هذا القدر من المعلومات عن الشعر القومي ودوره في القوميه العربيه ، لابد لنا ان نتسائل .

هل ادى الشعر القومي رسالته التي جاهد في حمل لوائها حتى منتصف القرن العشرين . أم انه قصر في ادراك غايته التي كان يسعى اليها .

وماذا سيكون مصير القصيده القوميه ؟؟ هل ستستمر في حمل رسالتها أم ستحنى رأسها استسلاما لبعض اتجاهات اخرى في التطور المذهبي الذى اخذ يشق طريقه في عقل الاديب ويوجهه وجهات مختلفه وبذلك يبتعد الاديب عن الكلاسيكيه التي سار عليها رواد طليعته . ؟؟

ولابد لنا قبل الاجابه على هذين السؤالين ان نستعرض بايجاز كفاح الشعر القومي منذ أن بدأ الوعي يغزو النفوس ويستحوذ على المشاعر ، ومنذ أن اخذ العربي ينفض عنه كابوس الحكم الذى كاد يودى بعروبته ويجرده منها ، فقد كان له الدور الفعال في هذا الكفاح أثر وتأثر بالحوادث ، تفاعل مع الاحداث تفاعلا يختلف وظروفه السياسيه .

ظهر الشعر القومي أول ما ظهر في أواخر القرن التاسع عشر وذلك بعد أن غزت مبادئ الحريه والمساواة مشاعر شعوب الارض بتأثير الثورة الفرنسيه ، وثور الشعوب الغربيه وهي تصحو على اجراس نواقيسها العاليه ، ولم يكن الشعب العربي بأقل منهم احساسا بمشاكله ووعيا لمفاهيم انسانيته وخاصه أن ادب هذه الثوره قد وصل الى الطبقه المثقفه عن طريق التراجم التركيه .

وكان الحكم العثماني يتخفى بثياب الدين ويستغله في اخضاع الشعوب العربيه لحكمه . ولم يكن ذلك وقتئذ بالامر الصعب اذ أن الجذور العميقه التي خلفتها الحروب الصليبيه لا تزال راسخه في الاذهان راسيه في النفوس ، والغرب لايزال يعتبر الحروب

الصليبيه مستمره وان كانت تتزى بازياء مختلفه من ارساليات تبشيريه وفتح معاهد ثقافيه وغير ذلك مما يمهد لهم طرق الاستقرار في الشرق •

- ظهر الشعر القومي متسما بالغموض والاضطراب ، فقد كان العامل الديني له السيطره والغلبه ، وهذا ليس بغريب بل هو طبيعي جدا لارتباط اللغه بالعقيده واعتبار من يعتدى على اللغه معتديا على العقيده الدينيه •

وشأن كل مفهوم آخر في اول وجوده وأولى خطواته نشأته كان ناقص النمو والتكوين فاقتصر الشعر على التذكير بماضي العرب ، وحثهم على النهوض لاسترجاع حقوقهم التي كان لها اشراقه قويه على العالم ، وكذلك شمل تذكيرهم بنسبهم من عدنان وقحطان واثارتهم بذكر مفاسد الحكم التركي وعيوبه ، فكان شعرا حماسيا قوي النبره يسعى جهده لتحرير العرب أو اصلاح أمرهم وتحسين احوالهم دون العمل للانفصال على الدوله التركيه التي كانت تعتبر آنذاك حاميه الاسلام وخصوصا في مصر حيث كان يحكمها محمد على التابع اسما لآل عثمان ، فالشعراء الذين حملوا لواء الدعوه الى القوميه العربيه ومحاوله ايقاظ الشعور والمشاعر على أضوائها كانوا في نفس الوقت يمدحون الدوله العليه ويهنئونها في مناسبات متعدده تنبىء عن ذلك دواوينهم التي شملت الكثير من هذه القصائد •

وقد قويت هذه الدعوات واشتدت باشتداد الحكم الحميدي وسوء ادارته للبلاد العربيه وسوء معاملته للشعب العربي ، ولا شك ان القوميه الكامنه في النفوس ستستيقظ اذا ما شعرت بخطر يهدد كيانها وستنتقل الى مرحله العمل الايجابي لحفظ هذا الكيان من خطر يوشك ان يودي به ••• وكذلك كان الشعر ، اشتدت •قوته وارتفعت نبرته الحماسيه كلما شعر العرب ان قوميتهم مهدده ، لكن هذه الحماسيات لم تصبح واضحه المعالم الا بعد الحرب العالميه الاولى •

وانتقل الشرق العربي بعد الحرب العالمية الاولى الى مرحله ثانية من مرحله تبلور الوعي القومي التي كان للاحداث السياسية نصيبا كبيرا فيه ، ففي الـ

خلقت المناهيم والعقائد ، فالمرء كلما شعر بفقدان جزء من كيانه الجسمي أو باعتلاله هب ثائرا من الالم ينقشعورد وا ً يحيد اليه ما فقده ويتحسس بقيه أعضائه ليتأكد من سلامتها

والاحتلال الغربي أشعرنا بالكثير من مقومات كياننا الذي كان يحـــاول جاهدا تحطيمه ، فأخذ الشعر يستيقظ ويتحسسها جزءا جزءا ، وكان هذا التحسس هو بدء تبلور الشعور القومي بالكيان العربي الاصيل ، وبذلك انتقل الى طور آخـــر من أطوار قيادته للمعركه يتفاعل بالحوادث وتتفاعل الحوادث به وكلاهما مشـــدود الى الاخر برباط الوعي الجديد .

٢
=

وجدنا الشعر القومي بعد الاحتلال يدخل معركه القوميه العربيه صريحـا سافرا وبذلك نجد معالمه تتحدد اكثر فأكثر ليتخذ شكلا عقائديا ونضالا قوميا . التفت أول ما التفت الى معركه الدفاع عن لغته ، فهاجم كل من يحاول اختراق حرمتها وانتهاك قدسيتها سواء بتشجيع اللهجات المحليه أم بمهاجمه من ينسب اليها الضيق والجمود . فلم يخل ديوان من دواوين الشعر من التغني والفخر باللغة العربية التي تحمـــل ثقافته وحضارته الفكريه وتراثه الأدبي ومثله وأخلاقه وعاداته ومبادئه . واعتبر تشجيـــع اللهجه المحليه محاوله هدم بنيان الكيان العربي بقطع اواصر قرباه التي تتمثل في لغته . نظر الى لغته نظره جديده باعتبارها تصل الاقطار العربيه كلها وتوحد ثقافتها، فالقضاء عليها مؤامره استعماريه للكيد من أمته وطعن مواطن كبريائها بشريان وجودها ســواء في ذلك الشاعر المسيحي أم المسلم .

وخاض الشاعر غمار تاريخه القديم والحديث ، وتعهد شخصيه مواقعه وأبطالــه ، وعظم شهداءه ورفع قدرهم تعظيما واجلالا ، فاستغل التاريخ ليعيد الثقه الى النفوس بكيانها العربي والعزه بأمتها ماضيها وحاضرها ، فحاول ان يثير فيها هذه النــوازع لتجاهد في المحافظه على هذا الكيان والدفاع عنه ليبقى عزيز الجانب مرهوبـــه ،

كانت صور الابطال العرب وكفاحهم تبرز في صور زاخره بمعاني العزه في ديوان كل شاعر ، وبذلك خاض الشعر معركه نضاله ليثبت دعائم قوميته وقد اتخذ من تاريخه سلاحا معنويا يقدمه لأمته لتحارب فيه سلاح المدفع الذى كان يحطم مدنها وقراها ويقتل ابناءها •

ورغم الحدود المصطنعه التى اقامها المستعمر ، فان الشعر القومى لم يعرها أى دلاله او اهتمام ، بل ارتفع فوقها الى عالمه الحقيقي وضمه الطبيعى الذى يجب أن يكون عليه ، فهدم التجزئه الاقليميه ، ونادى بالوطن العربى كله من الخليج الى المحيط ، واعتبر مايحدث فى مصر يهز مياه بردى ، وما يثير شوامخ لبنان تثب له روافد العراق ، وما يحدث من ثوره فى سوريا ومن طعنات المستعمر لها تهز مشاعر شعراء مصر والعراق فيبرزون بأشعارهم لتصل سمع كل عربى فتهزه لمصاب أخيه وتحرك عزائمه ليقوم هو الاخر بنصيبه وواجبه من الكفاح • اعتبر كل انتصار يحدث جزءا من انتصار القضيه الكبرى ، قضيه الوطن العربى كله ، ووصل آلامه ومشاعره الاقليميه بآلام البلاد العربية الاخرى ومشاعرها فكان تعاطفا أخويا متحد المشاعر يتطلع الى وحدة الآمال ونحو الوصول إلى وحده عربيه شاملة •

واشهر سلاحه الحاد ضد المستعمر ، حاربه بألسنه حداد ، بالتهكم والسخريه ، بكشف الاعيبه والتشهير بمكائده ودسائسه ، واحباط مؤامراته بتهديده وانذاره لتحقيق عهوده وبكوله بنوده ، لم يترك طريقا سلكها المستعمر لفرض سيطرته الا كان الشاعر القومى لها بالمرصاد ، يرصد حركاته ليكشف عنها فيجنب البلاد ويلاتها ، وهكذا كان حظ المستعمر فى شعر الشعراء كبيرا جدا •

وأخذ الشاعر القومى يهاجم كل ما من شأنه يضعف البلاد ويسهل عمليه بقاء المستعمر فيها والتحكم بأرضها ، فلم يترك عملاء الاستعمار وصحبه من الرأسماليين والى الانتهازيين ، كشف عن اعمالهم وما يسببونه للبلاد من مصائب وويلات ونكبات ، لم يهادنهم ولم يرحمهم • اما الحكومات التى كانت

موالية للمستعمر ورغباته فلم يجد المرء غير الشعر متنفسا لاحاسيسه ضد سياستها يبثه نوازع نفسه ومكامن دائه فيسجن ويعذب في سبيل ماقال أو نشر .

وحاول الشاعر القومي جهده ليرى البلاد العربية قويه الصفوف في الداخل صلبه الوجود عنيده على كل باغى ، ففتش عن مثار ضعفها لينذر العرب ويحذرهم سوء المصير ان تهاونوا في امرها . وجدها في التجزئه الدينيه والاقليميه ، فتهكم على من يتخذ من الدين سوطا يشهره ضد أبناء وطنه ليسهل للمستعمر مهمته ونادى بالسلام والمساواة التي لاتفرق بين دين وآخر لأن جميعنا في عرف الغرب شرق ، ووصل الامر بالشعراء أن طالبوا بما يوحد صفوف الامه حتى لو كان الكفر ذاته ، وأبرزوا ما وصلت اليه حال البلاد اثناء الفتن الدينيه ، فدعوا في كل دواوينهم الى نبذ التعصب والولاء للوطن فهو الذى يحفظ لهم كبرياءهم وسلامتهم وكرامتهم

ولم يسكت عن التكتلات الحزبيه ، والتكالب عليها ، فالبلاد امامها عدو واحد هو الاجنبى ، وامام الجميع على مختلف الوانهم هدف واحد هو الوطن العربي ، فتفكك أواصر البلاد مآله الضعف والانهيار ، وقد حذر الناس منها في كل مناسبه حصلت لها وكان في تحذيره قويا مؤمنا بما يقول :

وكان الشعر القومي دعوه صارخه للانسانيه ، الانسانيه بمدلولها الواسع التى تبنيه على اساس حريه واستقلال بلادها ، واتخذ التبشير بهذا المبدأ الوانا متعدده ، احيانا كان الشاعر ينتهزها في تغنيه بميلاد الرسل والانبياء ، فيبين مايدعون اليه من محبه وتآخى وسلام بين البشريه ، حيث نادوا بحقن الدماء وعدم سفكها ، ولم يدعوا الى حكم الشعوب الضعيفه وامتصاص خيراتها ، واحيانا اخرى كان الشاعر يدعو اليها بالمطالبه بمبادئ الاشتراكيه التى تحقق للفرد حقوقه وتكفل له سعادته ، فكان صوت الشعر وخاصه في مصر صارخا قويا ، ولاشك أن الاشتراكيه السليمه اذا سادت العالم منعت ان تستغل الفئه القويه الفئه الضعيفه أو تبنى قوتها على جماجم اصحابها ، فالاشتراكيه في نظر الشاعر طريق الانسانيه التى ينادى بها ويبشر بتعاليمها .

واحيانا اخرى كان الشعراء ينادون بتحقيق مبادىء ولسون والتندر عليها والتهكم بمعناها التى استحالت نصوصها المنصفه للبشريه جميعها الى اعمال اغتصاب وامتصاص للدماء ، واصبحت استبعادا للشعوب الضعيفه وقهرها وقتل الاحرار فيها والتحكم بمصائر ارزاقها وارواح ابنائها • وكثيرا ما ذكر الشعراء مبادىء الحرية والاخاء ففتشوا عنها ليجدوها وقد استحالت الى مبادىء تدمير الشعوب الضعيفه واستعبادها • وكثيرا ما تغنى الشعراء بالعداله والحريه والمساواة فترنموا بألفاظها ترنم العشيق باسم معشوقه ، وفى بعض الاحيان كان الشعراء يظهرون انسانيتهم بالانتصار لحوادث الامم الضعيفه التى تماثلهم فى المصائب والويلات ، فانتصروا لزلزال مسينا ولحروب اليابان وأولوها التفاتاتهم لانها تماثلهم فى المصاب •

هكذا نجد الشاعر القومى انسانيا فى شعره ارتفع بآلامه فشعر بكل من حوله سواء قرب ام بعد •

٣
=

فماذا كان للشعر من فضل على الوعى القومى فى البلاد العربيه ، وما مدى تأثيره بعد هذا الاستعراض السريع للشعر فى معركه البناء القومى • ايهما اثر فى الاخر وكان له دور قيادته •

من استعراضنا لتطـور الوعـى القومـى فى البلاد العربيه نجد أن الشعر كان يلازم الحركات السياسيه • وقد رأينا أن هذه الحركات لم تكن فى بادىء امرها من القوه بحيث تستطيع ان يكون لها تأثير سريع ، فقد حمل الشعر لـواء قيادتها ، حملها فى صوت اليازجى عندما دعا العرب الى التنبيه واليقظه ، عندما اخذ يذكر قومه بماضيهم ويعلوا أنسابهم وبعظائم حضارتهم على الانسانيه ليستعيدوا الثقه فى انفسهم ، حملها فى صوت نجيب الحداد عندما اخذ يستثير العرب بالمخاطره بالدماء فى سبيل الخلاص من الظلم ويكشف مايفعله الاتراك فى ديارهم من سلب ونهب

وإذ لاذ . حملها فى صوت جورج عساف وهو يلقى اللوم على تخاذل امته وضعفهـــا وتفكك امرها حتى أباد عصور الملك والسلطان الذى كان لها ، حملها فى صوت رزق الله حسون وهو يشمت فى انخذال الاتراك امام هجمات الروس لان على الباغى تدور الدوائـــر .

هكذا بدأ الشعر قيادته للشعوب العربيه ، والشعر يفعل فعله فى النفوس العربيه ، يخاطب منازع بيانها ومثار احاسيسها ومرابع وجدانها ، وهو يفعل فعـــل الجرائد المحليه اليوم ويقوم مقامها ، فتسرى القصيده فى النفوس مسرى النار فى الهشيم يحفظها الناشئه الصغار ويرددها الكبار فتحرك النفـــوس وتشحن بالثورة والرغبـــه القاهرة فى التحرير ... وتعبئه الوجدان اولى مراحل الاستعداد للعمل تماما كمـا يتهيأ الجيش للمعركة بما يقدم له من أدوات الحرب ووسائلها ، والتعبئه الشعوريـــه هامة جدا فى حياة أى امه من الامم تريد نضالا فعالا ونتائج سريعه فى كفاحهـــا .

فالشعر القومى هو الذى فتح المعركه واعد شبانها وأمدهم بالمشاعـــــر والوجدان والاحاسيس المشتعله ، ويبصرهم بأسوأ العواقب ان تهاونوا ، وبالذل اذا رضوا بما هم فيه ، قام بدور التعبئه الشعوريه لوجدان الامه تعبئه أتت اكلها فيما بعـــد عندما تكثر القوى ويدخل الشعب ميدان المعركة ... ليس هذا بغريب فشعوب العالم كلـها بدأ الأدباء القياده فيه ، بدأها الشعراء باقلامهم والادباء بأفكارهم وكتاباتهم . فلم تشتعل ثوره من الثورات الشعبيه الا كان للشعراء والكتاب فضل قيادتها وحمل ألويتهـــا .

اما فيما بعد ذلك وعندما دخلت الشعوب ميدان العمل الفعلى لتخليص بلادها من نير الحكم التركى فقد توالت الاحداث السريعه يلاحق بعضها بعضا فكان اعلان الدستور ثم التنكر له ، وكانت القوميه الطورانيه والتكتلات العربيه لمقاومتهـــا ثم كان ما كان من أمر اعدام الشهداء العرب ، واسرعت الاحداث يأخذ بعضها برقاب بعض ، واصبح دور القياده للشعوب ، اما الشعر فكان يتأثر بالاحداث بعد ان كـان هو مبعثها ومثيرها ومصدر شحنتها . واصبحت الاحداث تخلق الشعراء وتثير احاسيسهم

فيما يتوالى على مسرحها من حوادث وما يحدث من صراع مرير طويل الامد . فنجد اثر كل حادث من الحوادث قصائد تتوالى على مسرح الادب ويتناقلها الشعب سرا أو جهرا ، فتزيدهم تفاعلا وثوره وبذلك يصبح الادب والمجتمع متفاعلا كل منهما بالاخر يستمد الشاعر وقوده مما يجرى حوله وما يدور من الام قومه ونكباته واحداثه ، وعلى ضوئها يرثى أو يثير العزائم ويزيدها قوه على الاستمرار فى الكفاح ، وتستمد الحوادث من الشاعر الشحنات المتواليه والتعبئه المستمره لتبقى الوقود مشتعله والمعركه دائره الرحى ، فيتفاعل الادب مع الاحداث وتتفاعل الاحداث معه .

كانت القصيده القوميه تستلهم من ماضى العرب وعزتهم ما تضمنه اطارها الفنى فتثير فى القارئ النخوه وتحيى فيه العزيمه التى طالما افتخر بها العربى ، فاذا مات أحد الاحرار فى سبيل الدفاع عن قضيته القوميه اعتبر الشاعر ذلك كقول القدماء اذا مات منا سيد قام سيد ، واذا اراد الشاعر استثارة الشعب للمطالبه بحقه وبث التمرد فى نفسه طالبه بالدم لغسل العار الذى لحقه ، وعلق حقه بأطراف اللهاذم والمناصل والقضب ، ولئن كانت هذه من الادوات التى عفى عليها الزمن وقدم العهد بها الا انها عند العربى رموز تعنى لديه القوه والبأس والعزيمه وتعيد اليه ذكريات تاريخ مجيد كان لأمته .

وكان من شده تمسك الشاعر القومى بثقافته القديمه وشده اتصاله بها أنه كان يستلهم منها صوره الشعريه حتى فى اعنف الاحداث المحليه التى كانت تحيط به فيطلقها على صور قديمه من الشعر الذى اختزنته ذاكرته والذى اصبح جزءا من ثقافته ، فعالم الثوره والكفاح والاستبداد والاستعمار والاستغلال كلها ، معانى شديده الصلة بالشعر الحماسى القديم ، فكان الشاعر والحاله هذه يعتمد على ما اختزنته ثقافته من هذه المحفوظات وبذلك طغى التعبير المتوارث على كل لون من الوان الابداع الفنى الذى كان يحدث فى الوان اخرى من الشعر . وكان من نتيجه ذلك اننا قلما كنا نعثر على تجديد فنى أو ابداع فى الصوره الفنيه التى يقدمها الشاعر القومى وان كان بعضهم قد

استطاع ان يبعث بعض الحياه فى الصوره التقليديه التى تمسك بها .

ومهما يكن من تمسك الشاعر القومى بالصوره التقليديه لقصيدته الا اننا نستطيع أن نقول بعد ذلك كله انه كان للشعر فضل كبير فى بث الوعى القومى الذى تفتحت عليه النفوس العربيه ، وكان له تأثير كبير فى اضاءه الكثير من جوانب الحياة التى كانت تحيط بالعربى ، سواء كانت من الناحية السياسية أم الاجتماعية ، وكان للشعر اثر شديد فى تطورات الحوادث ، بل لقد اسهم مساهمة فعاله فى خلقها وانضاج مفاهيمها على نار مستمره من الوعى القومى .

ولا بد أن يتبع هذا العرض سؤال آخر يتصل بدور القصيده القوميه فى معركة نضالها . هل أدى الشاعر القومى حقه فى هذا الميدان رغم ما رأينا من شدة احتدام المعركة فى سبيل تثبيت دعائم قوميته ؟؟؟ ألم يقصر الشاعر القومى فى واجباته اتجاه احداث وطنه الكبير ؟؟؟ وهل راغس بنضاله كل معركه من معركه وجودها ؟؟

نحن نعلم ان الشاعر القومى هو الذى ينظر بمنظاره الواسع الى وطنه العربى الذى يمتد من المحيط الى الخليج ، وجدير والحاله هذه أن يكون مداده مغموسا بكل نبضه من نبضات فؤاد هذه الامه ليكون بحق رائدا من رواد القوميه وعاملا هاما فى تقدمها ونهضتها ، وحين تتبعت ما قيل فى ميادين التجمع الادبى والسياسى ، لاحظت أن التفاعل بين الاديب ومعركه كيانه لم تكن تشمل احداث البلاد جميعها ، ومع ما قيل من شعر فى المعارك السياسية والثورات التى حصلت فى مصر والشام ولبنان ، وما كانت تدور من رحى المعارك فى فلسطين ، الا أن ذلك كان مقصورا على عدد قليل من الشعراء كان يتكرر ذكرهم فى كثير من القصائد ، هذا مع كثره عدد الشعراء الذين كانوا ينظمون الشعر انذاك .

فثوره مصر مثلا قيل فى حوادثها من قبل أبنائها المقيمين فيها الكثير من الشعر أما أبناء البلاد الشاميه فقد قال فيها الشريقى وناصر الدين والخطيب واسكندر الخورى والملاط والعاملى بينما لم يقل فى ثورة لبنان من شعراء العرب الا الجندى والجارم وعزيز فهمى .

لست ادرى سببا لهذا التقصير سوى تبرير واحد هو كثره الاحداث فى الوطن العربى فقد كان بعضها يلاحق بعضا ، ثم تمدد مشاكل الاقليم الواحد مما كان سببا فى اشتداد التضييق على ابناء كل قطر سواء كان تضييقا فكريا ام سياسيا مما جزأ النضال، ولكن تقصير الشعراء فيما قيل من شعر يغفر له التجمع السياسى حول ثوره الشام ، فلم يصمت شاعر عن التحدث عنها ورثاء شهدائها والاستعداد لبذل النفس والنفيس فى سبيلها ، حتى شوقى وحافظ اللذين صمتا عن احداث فلسطين صمتا تاما كان نصيب الشام من شعرهما اروعه واكثره نبضا وحياة ، واشده تأثيرا فى نفوس الشعب العربى ، اذ كان كل بيت من ابياتهما يعادل جهودا كبيره تبذل فى مدد طويله الامد ، ومع ذلك لم يكن لها نفس التأثير.

اما احداث فلسطين فكنت اقتش فى دواوين شعراء مصر عسانى اعثر على قصائد قيلت فيها قبل الحرب العالميه الثانيه فلم أجد الا قصيده لاحمد محرم اثبتها فى موضعها . وربما كان للسياسه فى مصر تأثير فى ذلك " ان مصر باستمالتها الرأى العام الدولى تستطيع أن توازن به النفوذ البريطانى . والرأى العام الغربى يهمه أن تبقى مصر بمعزل عن التيارات العربيه والاسلاميه التى تسبب نفور الاقليات الدينيه المصريه من جهه ، وقلق الجاليات الاجنبيه على مالها من امتيازات من جهه ثانيه ، وحرصت مصر على سير المفاوضات بينها وبين بريطانيا فلم تلتفت الا التفاته قصيرة الى افعال السلطات البريطانيه فى ارض فلسطين عام ١٩٢٦ منذ نشوب الاضطرابات فيها بين العرب واليهود والانكليز . (١)

ويؤيد ذلك قول الدكتور محمد حسين هيكل اثناء نقده لمعاهدة ١٩٣٦ " وقد يكون الامتناع خلافنا معها " بريطانيا " فى مسأله سياسيه أو اقتصاديه اذا سامت السياسه البريطانيه شعبا عربيا اسلاميا كاهل فلسطين الهوان . وقد كانت الحكومة المصريه تعمل جهدها لمنع الصحف من نشر انباء فلسطين او التعليق عليها باسم الحرص على المفاوضات المصريه البريطانيه (٢).

١ـ احمد طربين قومية العرب ص ١٩٣

٢ـ نفس المصدر ص١٩٤ عن كتاب مجلس الشيوخ الرسمى ص ١٨٥

وهناك غير العوامل السياسيه عوامل ثقافيه عزلت مصر لفتره من الزمن عـــن حوادث الشرق العربي بحيث ابعدت الاديب عن ان يستلهم مادته مما حوله ودفعته الى أن يستلهم من صور الادب المنقول اليه من الغرب •

تعددت البعثات من الاساتذه الاوربين الى مصر ، وقامت حركة ترجمـــه قويه ، ترجم اثناءها كثير من كتب النقد لتشارلتن ولانسون وهوراس ، ونقل كثير مــن أدب الفرنسيين كأدب فكتور هوجو ولامرتين والفرد دى فيني والفريد دى موسيه وبودلير • الخ وكذلك ترجم لعدد من ادباء الانكليز امثال شكسبير وبيرون وكيتس وورد زورث وتنســون وتوماس هاردى ، مما اصبح معه الادب الاوربي ميسرا لكل من يريد الاطلاع عليـــه ، واستبد بشعراء مصر الحماس فمنهم من انتمى الى المدرسة الفرنسيه ومذاهبها امثـال مطران وعلى محمود طه ، ومنهم من ناصر المدرسه الانجليزيه امثال العقاد والمازنـــى وابو شـادى •

ولما لم تستطع الثوره عام ١٩١٩ ان تحقق اهدافها احدث ذلك خيبه أمـل عند الشعب الذى كان يسعى الى تحقيق آماله ، والذى أقبل على الحياة الاوربيـــه يحياها وهو لايملك من اسبابها الا القليل ، واشاع فى النفوس الحزن والبؤس فتلاقت سمت رومانسيته الاجتماعيه مع رومانسيه الادب الغربـــى الذى اخذ يغزو مجتمع الادباء ، وفرحوا بهذا اللقاء الذى تجلى فى شعراء ابولـو والذين اتجهوا بشعرهم الى الهروب من الحياه ولجأوا الى الطبيعه •

ونجد هذه الصبغه السوداء تلون دواوين مطران وشكرى والمازنى والعقـاد كأثر لقراءتهم الشعر الغربي الرومانتيكى ، تقدموا لنا سجلا حافلا بعواطفهم الفياضـة بالهوى الروحى وامعانهم فى الخيال فى عزلتهم ، وطمأنينتهم بين احضان الطبيعـة ونفورهم من الحياه الماديه • ولهذا نجد أن ذلك عزلهم عن أن يستلهموا احاسيسهم مما كان يحدث فى اجزاء البلاد العربيه من مآسى وخصوصا احداث فلسطين فافتقـــد الادب العربي جزءا مهما من احاسيس هؤلاء الشعراء اتجاه واقع وطنهم الكبيـــــر ومآسيــه •

لكن كل ذلك لم يستمر طويلا اذ أن الواقع كانت هزاته الرهيبة عنيفه بحيث نقلهم مما كانوا فيه الى مرحله اخرى من مراحل الوعي القومي .

لقد ظهر تأثير تطور الوعي القومي بعد الحرب العالميه الثانيه ، فقد اخذ التفاعل شكلا آخر اكثر ايجابيه ، وكان الادب والشعر بنوع خاص اكثر تفاعلا وتأثرا مما مضى من الزمن . ونما هذا التطور الى أن اصبح مفهوم القوميه نزعه عقائديه تحتل الصداره الاولى من اعمال القاده العرب ومفكريهم ، وتولت مصر زعامة هذه العقيده بصفتها الشقيقه الكبرى والدوله الام .

وما يؤخذ على كثير من القصائد القوميه انها تكاد تخلو من عمق التجربه وحرارتها، ربما لسبق الحوادث المتتابعه التي لم تترك للشاعر مجالا لتعميق فكرته ، فترددت المعاني كثيرا وتكررت وظهر فيها صخب الحوادث وضجيجها ، وربما كان طول فترة الجهاد التي مرت بالشعب العربي اثرها في ذلك فهي تولد في المرء اليأس وتدفعه الى الشك في امكانياته وقواه ، وخصوصا عندما يلمس ما للمستعمر من قوه وبطش وجبروت وهو ضعيف لايملك جزءا من القوه التي يتمتع بها العدو .

والشاعر اكثر ابناء هذه الامه حساسيه واشدهم توقد عاطفه ولاشك أن هذا طبيعي في مرحله اتصفت بهذا التوتر وتعدد الحوادث وكثره الانفعالات التي مرت بالوطن العربي مما حدا به الشاعر الى ان يقول الشعر اثناء وقوعها حتى يكون للقصيده مناسبتها .

وقد ظهرت بعد الحرب العالميه الثانيه قصائد كان لعمق التجربه فيها أثر كبير . فكان الشاعر تنضجه حوادثها بحيث تكون القصيده ثمره هذا النضج ، كبعض قصائد محمود طه ، وعمر ابي ريشه وغيرها من قصائد سليمان العيسى الكثيره وبدوي الجبل وفوزي المعلوف وغيرهم .

واذا ما طالع المرء دواوين الشعراء خلال هذه الفتره لايجد للديوان طابعا معينا تميز الشاعر وتبين منهجه ونزعته عن غيره من الشعراء ، فقد كان الشاعر الغربي تعرف شخصيته منذ أول قصيده في ديوانه بشخصيته كامله اما الشاعر العربي فكانت دواوينه

تشتمل على ألوان متعددة من تهنئة ومدح ورثاء وفخر وتقريظ وغير ذلك مما يعجـــز القارئ أن يصل الى تحديد شخصية الشاعر ، لذلك كانت الدواوين أشبه بمنظومات متنوعة تظهر براعة الشاعر في كثير من المناسبات ، مما ابعد عن الشاعر صفة الوضوح .
ولكن شخصية الشاعر تتحدد معالمها أكثر فأكثر بعد الحرب العالمية الثانية ونجـــد في تطوره تغيرا كبيرا ، فديوان سليمان العيسى مثلا يمكن لأي قارئ أن يستدل منه على تحديد شخصيته ، وديوان فوزي المعلوف ومحمود طه ، وغيرهم من الشعراء بحيث تظهر شخصية الشاعر واضحة المعالم صريحة تنطق عن صاحبها .

رسالة الشعـــر القومـــــى

شعور القوميه فى جميع انحاء العالم موجة من موجات التقدم البشرى فى مراحل وجوده ، ودعوه من دعوات المجتمع الى ابراز شخصيه الامه بكل ماتشتمل عليه من صفات ومميزات تدفعها لان تتقدم فى امكانياتها . وقد صاحب هذه النزعه الايمان بالفرد والعمل فى سبيل حريه الشعب ، وتحقيق العداله والحق والسلام . واذا كانت بعض القوميات قد خرجت عن مبادئ وجودها القومى واصبحت عدوانيه وخطرا على امن شعوب العالم وسلامته ، فانما تكون بذلك قد شوهت وجودها القومى وتنكرت لمبادئ العداله والانسانيه التى بشرت بها قوميات العالم .

ومن غير الادب والفن بوجه عام يمكنه ان يلمس جوانب الحياة الانسانيه فيتعهدها برعايته ويشملها بروحه وينفحها عطر نفحاته ويبعث فيها من احاسيسه مايجعلها نعمه من نعم البشريه على الانسانيه كلها ؟ فالادباء والفنانون هم الذين أستطاعوا ان يخلدوا الوجود البشرى منذ اقدم صوره ، وهم الذين سكبوا من روحهم فيه ما جعله حيا نابضا وهم الذين اسبغوا عليه من فنهم ما اكسبه جمالا وروعه ، ومن غير الشعر يستطيع ان يشعر بنبضات الامه ومشاعرها واحاسيسها ، فيصور بمداد هذه النبضات آمال مجتمعه وآلامه ويصوغ من حاجاته آيات بينات من القول ؟ بل من غير الشعر له القدره على تصوير الاحاسيس البشريه بكل مافيها من عمق المشاعر الانسانيه وانفعالاتها ، فتعانق روحه روحها فى صدق وايمان واخلاص بكل مافيها من خير وجمال .

ولقد قامت محاولات أدبيـــه حول وظيفه الشعر ، فبعضهم نادى بأن الفن للفن فوظيفة الشعر التعبير عن الجمال ، فالشعر فى رأيهم وسيله للتعبير عن وجدان الشاعر ولا يصح ان يوزن الا بموازين الفن الجماليه ، وليس من موضوعه ولا من مهمته ان يخدم الاخلاق او يسخر لأغراض اجتماعيه لان فى ذلك مايخفض من قيمه الفن وقدره .

وكرد فعل لغلاة الحركه التى ابعدت الفن عامه والشعر خاصة عن حاجـــات المجتمع ظهرت حركه نقديه كبيره فى اوربا دارت المعركه فيها حول موضوع الفن للفن والفن للمجتمع

ويذهب اصحاب الفن للمجتمع بأن الفرد فى خدمه الجماعه ، وان الفـــن ككل شيء فى الحياه ينبغى ان يوجه لما فيه خير الناس والمجتمع • والمجتمـــــع لم يخلق من أجل الفنان ولكن الفنان هو الذى خلق من اجل المجتمع ، والشعر فـى أصله كان ينشد مع الموسيقى والرقص ، ويشترك فى ذلك الجماعه فهو اصلا عمل اجتماعى يشترك فيه الشاعر والجماعه • والشاعر لاينشد لنفسه فقط بل لغيره ايضا • فينبغى أن يحس احساسات الجماعه ويعبر عن مشاعرهم ويشاركهم آلامهم وذلك يمنح تجربته العمق والاصاله (١).

وقد ظهر اصحاب مذهب الفن للمجتمع ابان الثوره الشيوعيه عام ١٩١٧ فتبنت تلـك الحركة وأنمتها ، وشعراء هذا اللون يطيلون التفاتتهم الى مناظر البؤس فيصفـــون الاحياء الفقيره وما بها من حرمان ومرض ويبحثون عمن اصابتهم نكبـــات الاستعباد والطغيان فيصورون صدى آلامهم ، وهم يعتبرون انفسهم واقعيين بمـــا يتلقونه من صوره صادقه لواقع مجتمعهم الغرض من ورائهـا توضيح آرائهم فى السياســة المعاصـره •

وهنا لابد لى ان اتساءل هل نفرض على الشعر القومى ان يسلك احـــد المذهبين متحددين له طريقه ونرسم له مواضيعه ونضع له حدودا ، فنطلب من الشاعـــر ان يقول كذا ويشعر بكـذا •••••

هل تستطيع ان نتحكم فى مشاعر النفس البشريه واحاسيسها ؟؟ فكثيـــرا ما يتناول الشاعر بأبسط الحوادث واصغرها قيمه فى نظر الانسان العادى فاذا به يخلق منها لوحه من لوائع البشريه الخالده ، هل نقول للشاعر انزل الى بيوت الفقـــراء وادخل المصانع ، وعش مع اللاجئين ونمنعــه من أن يستنشق الزهره ويلم بعبيرهـا أو يصف النهر ويسبح بخرير أمواجه وما فيه من نعم الحيـاه ؟؟ • هل يمكن لمشاعر الشاعر أن تعيش فى أجواء معينه وقد خلقت منطلقه من حواجز قيودها وفى روحهـــا الحريه وفى احاسيسها الحياه بأوسع نطاقها •

١ــ الادب بين الماديه المثاليه صـ٦ـ ترجمة حامد احمد حمدان ــ مكتبة المعارف ببيروت

الحقيقه أنه ليس بمحدد الفنان أن يكون اداة اصلاح مباشر للجماعـــــــه بوجهها نحو ما يريده ، كما أنه من غير المعقول ان يحيا بعيدا عن مجتمعه منفردا عنه والا فمن أين مداد قلمه ومن أين نبضات قلبه وخفقاته .

ويقول ستيفن سبندر " ان مهمه الشعر لاتعدو مجرد تقرير موقف الحيـــاة الانسانيه على حقيقته ، فلا يستطيع الشعر أن يفعل اكثر من ان يؤكد لنا أن كل من يجور على الحياة يدفع ثمن ذلك غاليـــا .

واذا كان في مقدور الاحساس الشعرى ان يخلق لدى الناس وعيا بحياتهـــم فلابد انهم سيتخذون الخطوات اللازمه للدفاع عن انفسهم ، اما اذا كان لديهـــم احساس مشوه بقيم الحياه واذا كانوا يخلطون بين قيم الحياه وبين مصالحهم الماديه أومصالح فئه معينه صغيره ، حينئذ تتجزأ الحياه السليمه في المجتمع بأســـــره ، لاتصبح القوه الهدامه قوه هدامه لذاتها فحسب بل تصير ايضا قوه انتقام من هـــذه الحياة التى آلت الى العدم [(١)].

فالشاعر في رأيه هو الذى يحقق في فنه وجوده ووجود الآخرين ووجود الطبيعه خارجــه .

ويقول " في الشعر وعى بالحياة ، وقدره على التمييز بين ما هو حى وما هـــو ميت سواء في الافراد أو في العادات والنظم ، وفيه قدره على تطبيق ماهو حى مـــن قيم الماضى على الحاضر [(٢)] . ولا ينكر ستيفن سبندر في موضع آخر أن يقول :

" انما كل ماقصدت اليه أن ابين ضروره المحافظه على وعينا بطبيعـــــه وجودنا وامكانياتنا وآمالنا ـ بوصفنـــا مجتمعا وأفرادا في الوقت عينه ـ ان ابيـــن ضرورة المحافظة على هذا الوعى كمركز لكل فعل سياسى .

١ـ ستيفن سبندر ـ الحياة والشاعر ص ٦٦ ترجمه الدكتور مصطفى بدوى مراجعه الدكتوره سهير القلماوى

٢ـ نفس المصدر ص ١٥٩

وشاعرنا القومي يعيش في قلب أمته ويحياها وهو فرد منها بل أكبر من فرد وأوسع من أمه في مشاعره ، انه عالم من الاحاسيس ودنيا من الانفعالات ، ولكنه ليس بشاعر أمه ذلك الذي يشم أريج الزهر ويعجز عن أن يلمس ويعبر عن نبضات أخرى في جوانب مجتمعه ، بل ليس بشاعر أمه ذلك الذي ينفرد بأحاسيسه عنها متخذا من ذاتيته فلكا يدور حوله • وليس بشاعر أمه ذلك الذي يتألم لمرض ينتابه ولا يحس بآلام مجتمع بأكمله وكل منها ذات قيمة حية ، فلا يوجد شعر لا ينبع من الحياة أو من تجارب عميقة بعمق المجتمع الذي يعيش فيه •

الشاعر القومي هو صاحب رسالة وصاحب نزعة تشعرها به احاسيسه دون أن تملى عليه • يرى رسالته في اى أسلوب من اساليب الشعر ، سواء كان رمزيا أم واقعيا ، رومانتيكيا أم كلاسيكيا ، يراها في الزهرة ورعايته لها اذ في هذا كله تقدير للارض التي انبتتها ولليد التي احتضنتها وللجو الذي حباها عطره وزانها بألوانه ، فيشعر في الجمال يتغلغل احاسيسه ويوقظ فيه الحس والحياة ليعيش حيا في أمته وديعا في أخلاقه يقدس جمال موطنه ليدفعه للمحافظة عليه والذود عن حرمانه وينمي فيه تقديسه لانسانيه جميعها والمحافظة عليها من أيدى التدمير البشري الذي يعده المدمرون لها •

والشاعر يرى رسالته في اى أسلوب يراه وفي اى موضوع تدفعه احاسيسه للكتابه فيه حتى لو كان هذا الموضوع قصة حب • اذ ان نزعته ستظهر فيها عندما يتحدث عن الاحاسيس البشريه ، عندما يرى في من يحب ابنة وطنه ركنا من اركان بيته ، ففي حمايتها والمحافظة عليها حمايه لبيته الكبير الذي تسكنه امته ، وفي الذود عن حياضها ذودا عن حياض وطنه اذا ما اعتدى عليه معتدى ، وفي تقدير جمالها والتسبيح بجاذبيتها انما هو تسبيح الخالق ذلك الذي أعطاه حسا كاملا وذوقا ناجحا وادراكا واعيا وبالتالي فهو تسبيح له اذ جعله فردا من أمه وعضوا

فى وطن ، فحق عليه الوفاء له ومراعاة واجباته اتجاهه وتحقيق رغباته وآماله.ليس معنى كون الشاعر قوميا أن يتحرر من كل نزعة حيه خلاف قومه وشعبه بل الشاعر القومى ان يكون ذات نفس عميقة مضطرمه بالمشاعر والاحاسيس ، ينظر الى إنسانيته الكبيره من خلال قوميته ليسهم اسهاما فعالا فى بناء عالم متحرر من آفات العدوان والاستعمار والرجعيه والانانيه وحماية الحضاره الانسانيه .

ان الشعر القومى ينطوى على رساله انسانيه تؤكد وجود الكيان العربى أولا ، وتسعى للمحافظة عليه لتذوق شتى نواحى الجمال والعزه والكرامه فيه وكلما ازداد شعور المرء بوطنه ازداد شعوره بالحياه كلها وازداد تقديره لرسالة الانسانيه الحضاريه وكان انسانا يشارك فى تقدم العالم وسعادته وتحقيق معانى الطمأنينه والسلام والرخاء له .

لن يكون الشاعر قوميا مالم يحس شعره بأصداء فجر أمته وبأجواء فضائها الرحيب وبما فيها من تجارب الحياه ، فيعلمهم منها معانى فنه بالوان ريشته وتباريح شوقه وهيامه وألحانه أحاسيسه .

يقول العقاد :

" هات لنا الشاعر الذى ينظم قصيده واحده يحبب بها الزهره الى المصريين وانا الزعيم لك بأكبر المنافع الوطنيه وأصدق النهضات واهنأ مسرات المعيشة ومباهج الحياه .

فان أمه تحب الزهره ، تحب الحدائق والتنسيق ، وتحب النظافه والجمال وتحب الطهاره والاصلاح ، ولا تطيق ان تعيش فى الفاقه والجهل والصغار ، وهات لنا الشاعر الذى يعلمنا الغزل الجميل ، وأنا الزعيم لك بأنه من الرجال الكرماء والنساء الكرائم والابناء النجباء ، يدرجون فى حجر العطف والذوق والصحه ، لأن الشاعر الذى يعرف كيف ينظم الغزل يعرف كيف يقوم المرأه بقيمتها فى الامه ، وكيف

يهذب البيوت ويشرع القوانين والدساتير • بل هات لنا الشاعر الذى يعلمنا اللهو والطرب ، وانا الزعيم لك بأنه سيعيش عيش الآدميين ولا تسخر تسخير الانعام • وتصل ليس نهارها للقوت الحيوانى وضرورة الاجساد • وحسن ولاريب أن ينظم الشاعر فى الوطنيات والاجتماعيات ، وان يحض على الحميه والمروءه ومكارم الخصال ولكنـــه اذا لم ينظم فى هذه الاغراض فليس ذلك بالدليل على خلو النهضه من آثاره أو علــى انه عاله على الوطن واصحاب الدعوات (١).

ونحن نقول ان رسالة الشعر القومى رسالة الانسانيه كلها فاذا تناول الشاعر اى موضوع فى الوجود فانما يتناوله من زاويه هذا المجتمع الذى أول مايؤكد فيه وجوده ، ويؤكد حقه فى الحياه لأن فى تأكيد وجوده تأكيد لوجود المجتمع القومى اولا والعالمى ثانيا

فلتكن كل نبضه من نبضات فؤادنا تخفق بما يحيط بنا من هذا الوجـــــود نحس فيه مدادنا لندرك اسمى النواحى الجماليه فى مايحيط بنا أولا لنستطيع أن ندرك بواسطته جمال العالم كلـــه • (١)

١ـ عباس محمود العقاد ـ ساعات بين الكتب ـ جـ١ ـ ص١٦٦ الطبعه الثانيه بالقاهرة

المصـــــــادر

دواوين الشعـــــراء

١ـ أبو ريشة ـ عمر	ديوانـــه	الكشاف	بيروت ١٩٤٧
٢ـ أبو ريشة ـ عمـــر	ديوانــه	العصر الجديد	حلب ١٩٣٦
٣ـ أبو شادي ـ أحمد زكي	مصريـــات	السلفية	القاهرة ١٩٢٤
٤ـ أبو شادي ـ أحمد زكي	وطن الفراعنة		القاهرة
٥ـ أبو ماضي ـ ايليـــا	الجداول	الزهراء	النجـــف
٦ـ أبو ماضي ـ ايليـــا	الخمائـــل		بـــيروت
٧ـ ابراهيم ـ حافظ	ديوانه ٢ جزء	دار الكتب المصريـــة	القاهرة ١٩٣٧
٨ـ أبو الوفا ـ محمود	أشواق	مصر	القاهرة ١٩٤١
٩ـ الأخطل الصغـــير بشارة الخوري	الهوى والشباب	المعارف	القاهرة ١٩٥٣
١٠ـ أرسلان ـ شكيب	ديوانـــه	المنـــار	القاهرة ١٩٣٥
١١ـ الأسمـــر ـ محمد	ديوانـــه		القاهرة
١٢ـ الأسمر ـ محمـــد	تغريدات الصباح	دار المعارف	القاهرة ١٩٤٦
١٣ـ البارودي ـ محمود سامي	ديوانه جـ ٢	الأميرية	القاهرة ١٩٥٤
١٤ـ البحيري ـ حسن	ابتسام الضحى		القاهرة ١٩٤٦
١٥ـ البستاني ـ وديع	الفلسطينيات		بيروت ١٩٤٦
١٦ـ بدوي الجبل ـ محمد سليمان الأحمـــد	ديوانـــــه	العرفان	صيدا ١٩٢٥
١٧ـ الجارم ـ علـــي	ديوانه ٤ أجزاء		القاهرة ١٩٤٧
١٨ـ الحبر ـ شكر الله	الروافـــد		ريودي جانيرو ١٩٤٧
١٩ـ الجندي ـ علـــي	أغاريد السحر		القاهرة
٢٠ـ الجندي ـ علـــي	ألحان الأصيل		القاهرة ١٩٥٠
٢١ـ الجواهري ـ محمد مهدي	ديوانه ٣ أجزاء		بغداد ٤٨، ٥٠، ١٩٥٣
٢٢ـ الحداد ـ نجيب	تذكار الصبا ط ٢		الاسكندرية ١٩٠٥
٢٣ـ الحوماني ـ محمد علي	ديوانـــه	العرفان	صيدا ١٩٢٧
٢٤ـ الخطيب ـ فؤاد	ديوانـــه		القاهرة ١٩٥٦

٢٥ـ الخورى ـ اسكندر	المعلوم المجهول	بيت المقدس	القدس ١٩٣٦
٢٦ـ الخورى ـ اسكندر	الملقسود	بيت المقدس	القدس ١٩٣٦
٢٧ـ دموس ـ حليم	المثالث والمثانى		صيدا ١٩٢٦
٢٨ـ الرصافى ـ معروف	ديوانه ط ٤	الاعتماد	القاهرة ١٩٥٣
٢٩ـ الزركلى ـ خيرالدين	ديوانه	العربية	القاهرة ١٩٢٥
٣٠ـ الشرتونى ـ محبوب الخورى	ديوانـــه		بروكلن ١٩٣٨
٣١ـ شوقى ـ أحمد	الشوقيات ٤ أجزاء	الاستقامة	القاهرة ١٩٥٠،٤٨،٥٠،٥٥،١٩٥
٣٢ـ الصافى النجفى ـ أحمد	ألحان اللهيب	اليقظة	دمشق ١٩٤٦
٣٣ـ طوقان ـ ابراهيم	ديوانه طبعة ٢	دارالشرق الجديدة بيروت	
٣٤ـ العاملى ـ محمد كامل شعيب	الحماسيات		صيدا ١٣٤٣ هـ
٣٥ـ عبد المطلب ـ محمد	ديوانه	الاعتماد	القاهرة
٣٦ـ عريضة ـ نسيب	الأرواح الحائرة		نيويورك ١٩٤٦
٣٧ـ العقاد ـ عباس محمود	عابر سبيل		القاهرة ١٩٣٧
٣٨ـ الغلاييني ـ مصطفى	ديوانه	العباسية	حيفا ١٩٢٥
٣٩ـ غنيم ـ محمود	صرخة فى واد		مصر ١٩٤٧
٤٠ـ الفراتى ـ محمد	ديوانه	بابيل	دمشق ١٩٣١
٤١ـ فرحات ـ الياس	ديوانه	مجلة الشرق	سان باولو ١٩٣٢
٤٢ـ فهمى ـ عزيـز	ديوانه	دار المعارف	مصــر
٤٣ـ فياض ـ الياس	ديوانه	دار الثقافة	بيروت ١٩٥٤
٤٤ـ فياض ـ نقولا	رفيف الأقحوان	الكاثوليكية	بيروت ١٩٥٠
٤٥ـ القروى ـ رشيد سليم الخورى	الأعاصـــير	مجلة الشرق	سان باولـــو
٤٦ـ القروى ـ رشيد سليم الخورى	ديوانـــه		سان باولـــو ١٩٥٣
٤٧ـ قنصل ـ اليـــاس	السمام طبعة ٣		بيونس ايرس ١٩٣٥
٤٨ـ قنصل ـ اليـــاس	على مذبح الوطنية		بيونس ايرس ١٩٣٣
٤٩ـ محرم ـ أحمـد	ديوانه جـ ٢	الفتوح	دمنهور ١٩٢٠
٥٠ـ مطران ـ خليل	ديوانه ٤ أجزاء		القاهرة ١٩٤٩
٥١ـ المعلوف ـ فوزى	ديوانـــه	دار الريحانى	بيروت ١٩٥٧

٥٢ـ ناصرالدين ـ أمين	الالهام	الصفاء	لبنان	١٩٣١
٥٣ـ نعيمة ـ ميخائيل	همس الجنون طبعة ٢	صادر	بيروت	١٩٥٢
٥٤ـ الوليد ـ أبو الفضل	الأنفاس الملتهبة ط٢	الوفاء	بيروت	١٩٣٤
٥٥ـ الوليد ـ أبو الفضل	نفحات الصور		بيروت	١٩٣٤
٥٦ـ اليازجي ـ ابراهيم	العقد	الوفاء	بيروت	١٩٣٤
٥٧ـ يكن ـ ولي الدين		المقطم	مصر	١٩٢٤

((المراجـــع))

١ـ ابن قتيبه ـ الشعر والشعراء ، طبعه أولى ، ١٣٢٢ هـ

٢ـ ابن منظور ـ جمال الدين محمد بن مكرم ـ لسان العرب ، القاهرة المطبعه الاميريه ـ بولاق ـ ١٣٠٠ ـ ١٣٠٧

٣ـ أبو الحجاج ـ يوسف ـ ماهو الجنس ـ من مؤلفات اليونسكو باشراف ادارة الثقافه العامه فى وزارة التربيه ، مراجعة الدكتور محمد محمود الصياد • مكتبة الشرق •

٤ـ أبو ريــة ـ محمود ـ جمال الدين الافغانى تاريخه ورسالته • مؤسسة نصـــار للتوزيع والنشـــــــر •

٥ـ أسد ـ ناصر الدين ـ الاتجاهات الأدبيه الحديثه فى فلسطين والاردن •

٦ـ اشـتر ـ صبرى ـ مختارات من الشعر فى سوريا ، معهد الدراسات العليه ١٩٥٧ •

٧ـ انطونيوس ـ جورج ـ يقظه العرب ـ ترجمة حيدر الركابـى ـ اليقظه

٨ـ البهبيتى ـ نجيب محمد ـ تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى مطبعه دار الكتب المصريه •

٩ـ بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الاسلاميه ـ مطبعة بيروت •

١٠ـ الجندى ـ درويش ـ الرمزيه فى الأدب العربى ـ مكتبه نهضة مصر •

١١ـ جيبـب ـ ارنولد فان وجودانيه رينيــه ـ ترجمة محمد عيتانى • هذه هى القومية ـ دار بيروت للطباعه والنشر • ١٩٥٣ •

١٢ـ الحصرى ـ ساطع • ماهى القوميه ـ دار العلم للملايين • نشوء الفكـــره القوميه ـ طبعــة ٢ ـ القاهرة ١٩٥٠

البلاد العربيه والدوله العثمانيه ـ معهد الدراسات العربيه العاليه •

دفاع عن العروبــه ـ دار العلم للملايين • بيروت

١٣ـ حســين ـ طه ، من أدبنا المعاصـر الشركة العربيه للطباعه والنشر والتوزيع

٢٨ـ الطرابلسي ـ أمجد ـ شعر الحماسه والعروبه في بلاد الشام •
معهد الدراسات العربيه العاليه •
٢٩ـ عز الدين ـ نجلاء ـ العالم العربي ـ دار احياء الكتب العربيـــه
٣٠ـ فشر ـ هـ • أ ـ ل • تاريخ أوروبا ـ العصور الوسطى • ترجمـــه
محمد مصطفى زياده • السيد الباز العريني ، ابراهيم أحمـــد
العدوى ـ دار المعارف بمصـر •
٣١ـ مهدى ـ ماهر حسن • تطور الشعر العربي الحديث ـ مكتبة نهضه مصر •
٣٢ـ كفراوى ـ محمد عبد العزيز ، الشعر العربي بين الجمود والتطـــور ـ
طبعـه • مكتبة نهضه مصر • ١٩٥٨
٣٣ـ كهن ـ هانس ـ القوميه معناها وتاريخها ، ترجمه أمين محمود الشريف •
مطبعه نهضة مصر •
٣٤ـ كامـل ـ محمود ـ العرب تاريخهم بين الوحده والفرقه ـ المطبعه العالميه •
القاهره ١٩٥٦
٣٥ـ لبكـي ـ صلاح • التيارات الادبيه الحديثه في لبنان • معهد الدراســات
العربيه العاليــه •
٣٦ـ ماضـي ـ محمد عبد الله ـ النهضه الحديثه في جزيرة العرب ـ
ط٢ بيروت دار العلم للملايين •
٣٨ـ مندور ـ محمد ـ الشعر المصري بعد شوقي • جـ٣ • معهد الدراســات
العربيه العاليـه •
٣٩ـ ميرزا ـ زهيـر ـ ايليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر • اليقظـــه
دمشق ١٩٥٤
٤٠ـ هداره محمد مصطفى • التجديد في شعر المهجر • طبعه أولـــــى ـ
القاهره ١٩٥٧ •

اشرت الى الدوريات واعداد ها في حواشي البحـث ،،،

١٤ـ حسين • محمد • الاتجاهات الوطنيه فى الأدب المعاصر من الثوره العربيه الى قيام الحرب العالميه الاولى جـ٢ ـ مكتبه الآداب القاهرة ١٩٥٤

١٥ـ الخشاب ـ مصطفى ـ علم الاجتماع ومدارسه ـ طبعه أولى ـ مطبعة لجنة البيان العربى • القاهرة ١٩٥٥ •

١٦ـ خفاجى ـ محمد عبد المنعم ـ مذاهب الأدب • طبعة أولى ١٩٥٣

١٧ـ الرافعى ـ عبد الرحمن ـ شعراء الوطنيه ـ مكتبة النهضة المصريه •

١٨ـ رتشاردز أ • أ • العلم والشعر • ترجمه الدكتور مصطفى البـدوى مراجعة الدكتوره سهير القلماوى ـ مكتبة الانجلو المصريه •

١٩ـ زيدان ـ جرجى ـ تاريخ آداب اللغة العربيه طبعه٣ ـ مطبعة الهلال ـ القاهرة ١٩٣٦ •

٢٠ـ سبندر ـ ستيفن • الحياه والشاعر • ترجمه دكتور مصطفى بدوى ، مراجعه الدكتوره سهير القلماوى • مكتبه الانجلو المصرية •

٢١ـ السحرتى ـ مصطفى عبد اللطيف ـ شعراء مجددون ـ رابطة الادب الحديث

٢٢ـ شكرى ـ محمد فؤاد ـ صراع بين البرجوازيه والاقطاع ـ ١٧٨٩ ـ ١٨٤٨ دار الفكر العربى •

٢٣ـ الشهابى ـ مصطفى ـ محاضرات فى القوميه ـ معهد الدراسات العربية العاليه

٢٤ـ صليبا ـ جميل ، الاتجاهات الفكريه فى بلاد الشام ، معهد الدراسات العربيه العاليه القاهرة ١٩٥٨ •

٢٥ـ صيدح ـ جورج ادبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكيه ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٥٧ •

٢٦ـ ضيف ـ شوقى ـ الأدب العربى المعاصر ـ المعارف القاهرة ١٩٥٧

٢٧ـ طبانه بدوى ـ قدامه بن جعفر والنقد الأدبى ـ مكتبه الانجلو